بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة اليرموك

كلية الآداب

قسم علم الاجتماع

"النشاط الاقتصادي غير الرسمي والحراك الاجتماعي في البادية الشمالية الشرقية"

The illegal economical activity and the Social mobility in the Northeastern Badia

إعداد الطالب

خالد فياض الشرفات

إشراف الأستاذ الدكتور

عبد العزيز علي الخزاعلة

٢٠٠٦

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في علم الاجتماع/ جامعة اليرموك/ اربد/ الأردن.

نوقشت هذه الرسالة وأجيزت بتاريخ ٢٠٠٦/١٢/١١

لجنة المناقشة

أ.د عبد العزيز علي الخزاعلة .... رئيساً ومشرفاً.
أستاذ ورئيس قسم علم الاجتماع والخدمة الاجتماعية.

أ.د فهمي سليم الغزوي .... عضواً.
أستاذ، وعميد كلية الآداب، قسم علم الاجتماع والخدمة الاجتماعية.

د. نايف عودة البنوي .... عضواً.
أستاذ مشارك قسم علم الاجتماع والخدمة الاجتماعية.

أ.د أحمد حمدان الربايعة .... عضواً.
أستاذ الأنثروبولوجيا، رئيس جامعة اربد الأهلية.

حقل التخصص: علم الاجتماع

٢٠٠٦

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى:

"وَقُلْ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى

عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ"

صدق الله العظيم

(التوبة، آية: ١٠٤)

"ما أعطته المشاهدة عين اليقين"

(ابن عربي)

الإهداء

إلى أمي، وأبي، وأخواني .....

إلى الأستاذ الدكتور المرحوم علي الزغل

إلى كل الباحثين عن الحقيقة .....

إلى الذين افنوا أيامهم بحثا وتقصي ودراسة سعيا منهم للوصول إلى اليقين .....

إلى الذين ضحوا من اجل أفكارهم ....

فستباحت أموالهم وأرواحهم، فعانوا، وشردوا، وكابدوا .....

إلى الذين لم يتقبلوا السهل واختاروا طريق الصعاب ......

إلى فرسان الكلمة الحقة، اهدي هذه الدراسة.

الباحث

خالد فيّاض الشرفات

الشكر والتقدير

(من لا يشكر الناس لا يشكر الله)

لا يسعني في هذا المقام إلا أن أتقدم بالشكر الجزيل وعظيم الامتنان للأستاذ الدكتور: عبد العزيز علي الخزاعلة الذي أشرف على هذه الدراسة وتابعها خطوة بخطوة وتحمل عناء التدقيق والتمحيص حتى ظهرت بهذه الصورة، كما أتقدم بالشكر والتقدير لكل من الأستاذ الدكتور: فهمي الغزوي، والدكتور نايف البنوي، والأستاذ الدكتور: أحمد الربايعة، لتفضلهم بقبول مناقشة هذه الدراسة.

كما لا يفوتني أن أقدم الشكر والعرفان لأخي (سعود) الذي قدم لي كل ما يستطيع من دعمٍ مادي ومعنوي خلال فترة الدراسة، وبالأخص خلال فترة إعداد هذه الدراسة، وكذلك أقدم الشكر الجزيل لعطوفة العميد مازن تركي سعود القاضي قائد قوات البادية الملكية الأسبق، وكل من المقدم: توفيق عياط العنزي، والرائد: صلاح صوان الشرفات، من مرتبات البادية الملكية، والمقدم: أنور الطراونة من إدارة مكافحة المخدرات لما أبدوه من تعاونٍ كبير خلال إعداد هذه الدراسة وتقديم الكثير من المعلومات التي أفادتها.

كما أتقدم بالشكر والتقدير لكل من الدكتور: محمد شهبز، مدير مركز بحوث وتطوير البادية الأردنية/ الصفاوي، ومساعدهُ الدكتور: رائد التبيني، وأمين المكتبة الأستاذ: حمد عودة الشرفات، لما قدموه من دعمٍ متواصل ومساعدة كبيرة.

كما أقدم شكري وتقديري لكل من: سعادة مدير التنمية الاجتماعية/ البادية الشمالية الشرقية، الأستاذ: قاسم العيسى، وجميع الموظفين فيها، وسعادة الأستاذ عبد الله السميرات، مدير التنمية الاجتماعية/ المفرق، ومساعدهُ سعادة الأستاذ: خالد علي العموش، والأستاذ: علاء طواها، وسعادة السيد: ليث أبو عويضة، والسيد: ضيف الله عليمات، والسيد خالد الخالدي،والأستاذ: نواف الزامل/ البنك العربي، والأستاذ: فايز المدارمة، والمهندس: باسم العموش، والسيد: مؤمن السردي.

راجياً من الله التوفيق والسداد

الباحث

خالد فياض الشرفات

فهرس المحتويات

فهرس الجداول

فهرس الأشكال

فهرس الملاحـــــق

الملخص

الشرفات،خالد فياض. (٢٠٠٦) (النشاط الاقتصادي غير الرسمي والحراك الاجتماعي في البادية الشمالية الشرقية).

(إشراف الأستاذ الدكتور: عبد العزيز علي الخزاعلة).

هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على اثر النشاط الاقتصادي غير الرسمي في عملية الحراك الاجتماعي في مجتمع البادية الشمالية الشرقية، وتحديدا حاولت الدراسة الإجابة على التساؤل الرئيسي التالي:

هل أثر النشاط الاقتصادي غير الرسمي في الحراك الاجتماعي في البادية الشمالية الشرقية وكيف تم ذلك؟

ولتحقيق هذا الهدف استخدم الباحث منهج دراسة الحالة ،حيث تم اختيار(١٠) حالات من العاملين بهذا النشاط غير الرسمي، تم اختيارهم عن طريق التعاون مع الجهات الرسمية المختصة للتأكد من عملهم بهذا النشاط.

كما تم بناء استبانة بحثية مكونة من (٤٢) فقرة ،وتم التأكد من صدقها وثباتها عن طريق عرضها على لجنة تحكيمية متخصصة من جامعة اليرموك، في قسمي علم الاجتماع ،والانثربولوجيا . وبعد ذلك تم توزيعها على عينة عشوائية صدفية مكونة من (٤٠٠) مبحوث في منطقة البادية الشمالية الشرقية . وقد اظهرت نتائج الدراسة ما يلي:

١- ان هناك اثرا واضحا للنشاط الاقتصادي غير الرسمي (التهريب) في احداث عملية الحراك الاجتماعي في منطقة البادية الشمالية الشرقية (منطقة الدراسة) .

٢-ان هناك حراكاً اجتماعياً صاعد متأثرا بنشاطات التهريب في منطقة البادية الشمالية الشرقية، في مجال تعليم الابناء، والاستقرار،والالتحاق بالوظائف الحكومية والعمل ببعض

المهن الحرفية،وصعود السلم الاجتماعي بالحصول على الجاه والمكانة الاجتماعيه المرتفعة.

٣-ان هناك حراكاً اجتماعياً هابط كان متأثرا بنشاطات التهريب في البادية الشمالية الشرقية ، تمثل في عدم استغلال الاموال المتحصلة من التهريب بالاستثمارات المنتجة ،واصابة الكثير من المهربين باصابات بليغة واعتقال وسجن وموت احيانا كثيرة.

وخلصت الدراسة إلى مجموعة من التوصيات منها:

١- تشجيع اقامة المشاريع الاستثمارية من قبل الحكومة لاستيعاب اكبر عدد ممكن من الايدي العاملة في المنطقة لصرفها عن الاتجاه نحو العمل بالنشاطات الاقتصادية غير الرسمية(التهريب).

٢- عمل الخطط والبرامج التنموية التي تهدف الى الحد من الفقر والبطالة في هذه المنطقة، علما بان لواء البادية الشمالية الشرقية يعد احد جيوب الفقر في المملكة وان نسب الفقر فيه مرتفعة جدا .

٣- نشر التوعية بخطورة العمل بنشاطات التهريب، فالتعاون بهذا المجال يكون بين قوات الامن العام وقوات البادية وحرس الحدود والفعاليات الشعبية والمدنية ،ووزارة التنمية الاجتماعية والدوائر الحكومية الاخرى في المنطقة، حيث يتم اطلاع الاهالي على حجم الخسائر التي يتعرض لها الكثير من المهربين ،من سجن واعتقال واصابات بليغة ،والموت في احيان كثيرة.

٤- اعادة تأهيل جميع من تعرض للسجن والاعتقال او الاصابات البليغة جراء العمل بهذه النشاطات لاعادة دمجه بالمجتمع واصلاحه بحيث يصبح انسان منتج ومنتمي ،يتم ذلك من خلال دراسات خاصة تقوم بها وزارة التنمية الاجتماعية بالتعاون مع وزارة الصحة وصندوق المعونة الوطنية والجهات الامنية المختصة.

الفصل الأول

خلفية الدراسة

١-١: المقدمة.

١-٢: أهمية الدراسة.

١-٣: مشكلة الدراسة.

١-٤: أهداف الدارسة.

١-٥: تساؤلات الدراسة.

١-٦: الدراسات السابقة.

١-٧: تعريف النشاط الاقتصادي غير الرسمي(التهريب) قانونياً.

١-٨: النشاط الاقتصادي غير الرسمي (التهريب) في مجتمع الدراسة.

١-٩ المفاهيم الإجرائية.

١-١٠: صعوبات الدراسة ومحدداتها.

١-١: المقدمة:

تعتبر المملكة الأردنية الهاشمية من المناطق الصحراوية وشبه الجافة وتعتبر مناطق البادية الأردنية الثلاث الشمالية الشرقية والوسطى و الجنوبية من المناطق الأشد تصحراً وجفافاً، كما تبرز من بينها منطقة البادية الشمالية الشرقية كإحدى أهم هذه البوادي التي تتميز بالجفاف والتصحر، وقلة سقوط الأمطار السنوية، وملاصقتها لثلاثة حدود دولية مهمة وخطيرة في نفس الوقت، فمن الجنوب الشرقي تحدها الحدود السعودية ومن الشرق الحدود العراقية، ومن الشمال الحدود السورية، وهذا ما جعلها منطقة متحركة لم تعرف الاستقرار الحقيقي إلا نهاية فترة الثلاثينيات من القرن الغابر.

إن سكان المنطقة الصحراوية ذو الأصول الاجتماعية السورية لم يعهدوا حياة الاستقرار بسكن دائم إلا حديثاً، ولم تكن أعمالهم تتعدى رعي الأغنام وتربيتها والاعتماد عليها في حياتهم، وقد شجعت هذه الأنماط الاقتصادية هؤلاء الناس على عدم الاعتراف بالحدود السياسية التي لم يعهدوها من قبل؛ لذلك فقد كانت حركتهم طبيعية عبر ثلاثة الحدود الدولية سابقة الذكر، بالأخص وبشكل بارز الحدود السورية، إذا كان هؤلاء الناس موزعين بين المملكة الأردنية الهاشمية(الإمارة ذات النشوء الحديث) والقطر السوري الذي بقي لفترة طويلة يعاني من الانقلابات العسكرية المتتالية وعدم الاستقرار.

وقد ساعدت مجموعة من العوامل منها السياسية ومنها الاقتصادية في إحداث تحول ملحوظاً وجذرياً في حياة هؤلاء البدو الرحل وأشباه الرّحل، إذ أحدث تشكيل إمارة شرقي الأردن ١٩٢١ شرخاً كبيراً في حياة هؤلاء غير المستقرة، وجاء هذا الحدث حاملاً معه مجموعة من العوامل التي ساعدت على البدء بالإرهاصات الأولى لتغيير حياة أبناء البدو الذين كانوا يعتمدون على "الكسب" في حياتهم ويتخذوه أسلوب حياة.

ثم كان لمد خط سكة حديد الحجازدور بالغ في إحداث تغيير في حياة أبناء البادية، حيث عمل هؤلاء بهذه الشركات العاملة، وكذلك مد الطريق الدولي (خط بغداد) الذي يربط بين الأردن والعراق، ثم إقامة خط أنابيب النفط (كركوك- حيفا) ومرورها بمنطقة البادية الشمالية الشرقية، وقيام شركة (IPC) (شركة البترول العراقية)، حيث عمل الكثير من أبناء البادية بهذه الشركات واكتسبوا الكثير من إيحاءات الحياة الحضرية المدنية: كالإلتزام بالوقت، واحترام النظام والركون بموقع ثابت.

عملت الكثير من هذه العوامل على إحداث تخلخل اجتماعي في الكثير من القيم البدوية سواء قيم الحياة: الكرم، الشجاعة...، أو قيم العمل: قيم التعليم والعمل الحديث وقيم التعصب والغزو وعلى الرغم من ذلك ظل البدوي يحتفظ ببعض هذه القيم، وتخرج بين الحين والآخر كإرث اجتماعي متأصل يحتاج لوقت لكي يخبو ويزول.

مرت مناطق البادية الشمالية الشرقية بظروف اقتصادية صعبة للغاية فالجفاف المتواصل، وتآكل المراعي الزراعية، وغلاء الأسعار عالمياً ومنها الأعلاف وغلاء أسعار المياه... وعدم توفر فرص العمل والاستثمار في منطقة البادية، وحربي الخليج الأولى والثانية واجتياح العراق، وبالتالي تم إغلاق الحدود البرية، وبالأخص مع العراق إذ ضيق إغلاق الحدود على أبناء البادية الذين كانوا يعتمدون بشكل شبه كلي على التجارة الحدودية (التهريب) بالأخص الحدود العراقية، وقد شهدت هذه المنطقة مراحل ازدهار اقتصادي كبير إلا أنها ما لبثت أن انهارت الحياة المزدهرة نتيجة لإغلاق الحدود وتشديد الحراسة من قبل القوات الأردنية وتعزيز الحراسة بقوات من الجيش.

كان لموقع البادية الشمالية الشرقية دورٌ كبيرٌ في تحول النشاط الاقتصادي لعدد من سكان البادية من نشاط اقتصادي معتمد على الرعي، والعمل بالوظائف الحكومية إلى أنشطة غير رسمية تمثلت بالتهريب عبر الحدود البرية، ولكن نتيجة للرقابة وضبط الحدود كانت الاستفادة من هذه النشاطات لفئات محدودة فقد استفادت فئات معينة من هذه النشاطات غير الرسمية خلال فترة معينة من الزمن كانت فيها حركة التهريب قوية وتشكل مصدراً أساسياً للكسب والحصول على ثروات كبيرة خلال فترات زمنية قصيرة.

إن الانتعاش الاقتصادي الذي عاشتهُ منطقة البادية الشمالية الشرقية جراء هذه النشاطات الاقتصادية غير الرسمية لم يكن أحادي الاتجاه أعني أن هناك ثمناً باهظاً دفعه الكثير من الناس أثناء عمله بهذه الأعمال غير الرسمية، فهناك من قبض عليه وأودع في السجون وحكم عليه لعشرات السنين وهناك من أصيب إصابات بليغة وأصبح مقعداً لا يقوي على الحراك، وهناك من خسر كامل ثروته، وهناك من فقد حياته أثناء الاشتباك مع قوات الأمن،هذه الحالات كثيرة ومتواجدة بقوة في منطقة البادية الشمالية الشرقية، وهذا ما يحفزنا على دراسة أثر هذه الأعمال في عملية الحراك الاجتماعي سواء الحراك الصاعد أو الهابط، وهذا ما يمنح هذه الدراسة أهميتها.

ففي ظل هذه الأحداث والأوضاع الواقعية "فإن أهمية هذه الدراسة تنبع من كونها محاولة علمية موضوعية للتعرف على الدور الذي لعبه "النشاط الاقتصادي غير الرسمي" (التهريب) في إحداث عملية الحراك الاجتماعي الذي شهده مجتمع البادية الشمالية الشرقية ولا يزال يشهده، وعلى سلسلة التفاعلات والعلاقات والتغيرات الاجتماعية الناتجة عن هذا النشاط الاقتصادي غير الرسمي".

وفي ضوء ما سبق تحاول الدراسة الحالية تحقيق الأهداف التالية:

١- التعرف على طبيعة أنشطة التهريب وأعماله التي مارسها بعض أبناء البادية خلال فترات معينة وأثرها في عملية الحراك الاجتماعي الذي حصل والذي لا يزال يحصل. وهو الهدف الرئيسي في دراستنا لهذه المنطقة.

٢- التعرف على الأسباب والظروف الاقتصادية التي دفعت بعض أبناء البادية الشمالية الشرقية للعمل بهذه النشاطات .

٣- التعرف على الآلية والكيفية التي أدت إلى التأثير (تأثير النشاطات الاقتصادية غير الرسمية (التهريب) في إحداث عملية الحراك الاجتماعي في البادية الشمالية الشرقية.

٤- محاولة رصد التحولات الاجتماعية- والاقتصادية التي تمر بها منطق البادية الشمالية الشرقية ومدى تأثرها بحركة النشاطات الاقتصادية غير الرسمية (التهريب).

١-٢ أهمية الدراسة:

تتميز منطقة البادية الشمالية الشرقية بأنها منطقة في مرحلة تحول اجتماعي اقتصادي، وهي مرحلة يتم فيها تغير في أساليب الحياة الاقتصادية والاجتماعية وأنماطها، فهناك تحول في نمط الإنتاج، فبعدما كان نمط الإنتاج الرعوي هو السائد أصبح نمط الإنتاج المختلط المكون من الأعمال الزراعية والنشاطات التجارية والعمل في الوظائف الحكومية (مدني، عسكري) هو الأبرز في هذه المنطقة.

كما أن هذه المنطقة تتميز كذلك بأنها منطقة حدودية، بمعنى أنها تقع ضمن ثلاث حدود دولية: الحد السعودي، الحد العراقي، الحد السوري، وأن سكان هذه المنطقة هم من أصول تعود إلى القطر السوري، وإن لم يكن جميع السكان كذلك فإن الغالبية العظمى منهم

(أهل الجبل، والغياث) هم من أصول سورية، ولا زال جزء كبير من هذه العشائر يقيم هناك وخاصة في المناطق القريبة (السويداء، درعا....).

ونتيجة لظروف اجتماعية- اقتصادية معينة فقد عمل الكثير من أبناء هذه المناطق بالتجارة الحدودية (التهريب) وبالأخص عبر اختراق الحدود العراقية والحدود السورية، ولسهولة اختراق هذين الحدين فقد عمل هؤلاء على إنعاش تجارة لها عوائد مالية كبيرة وقد كانت لهذه التجارة أثرٌ كبيرٌ في إحداث تغيرات سواء في الأوضاع الاقتصادية أو الاجتماعية، بالإضافة إلى التغير في الكثير من القيم البدوية التي تبعت هذا الانتعاش التجاري غير الرسمي، وأصبح من الملاحظ بهذه المنطقة أن هذه الأعمال والنشاطات الاقتصادية غير الرسمية هي السبب الرئيسي في إحداث الحراك الاجتماعي- الاقتصادي.

ففي ضل هذه الأحداث والوقائع فإن أهمِّيَة الدراسة تنبع من كونها محاولة علميَّة موضوعيَّة للتّعرف على دور النشاط الاقتصادي (التهريب) وأثره في إحداث عملية الحراك الاجتماعي الذي شهده مجتمع الدارسة، وعلى سلسلة التفاعلات والعلاقات والتغيرات الاجتماعية الناتجة عن هذا النشاط الاقتصادي غير الرسمي.

١-٣ أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى:-

أولا: التعرف على الأسباب المؤدية ببعض أبناء البادية الشمالية الشرقية للعمل بالنشاط الاقتصادي غير الرسمي (التهريب).

مثلا: هل كان للموقع الجغرافي دور بارز في ذلك، كون هذه المنطقة تقع على حدود ثلاث دول هي: السعودية، العراق، سوريا.

- هل أثرت الظروف الاقتصادية الصعبة التي يعيشها أبناء هذه المنطقة للعمل بهذا النشاط غير الرسمي وغير القانوني.
- هل أثرت الظروف السياسية (حرب الخليج الأولى والثانية واجتياح العراق على تشجع هؤلاء للعمل بهذا النشاط كون هذه الظروف سمحت بانعدام الحراسة والأمن على الحدود العراقية.

ثانياً: التعرف على طبيعة النشاط الاقتصادي غير الرسمي (التهريب) وشكله المنتشر في منطقة البادية الشمالية الشرقية.

ثالثا: التعرف على الأثر الحقيقي للنشاط الاقتصادي غير الرسمي (التهريب) في إحداث عملية الحراك الاجتماعي في منطقة البادية الشمالية الشرقية (الصاعد والهابط).

رابعاً: التعرف على طرق وأساليب المهربين العاملين بهذا النشاط الاقتصادي غير الرسمي وغير القانوني في منطقة البادية الشمالية الشرقية وكيفية تأثيره في إحداث عملية الحراك الاجتماعي.

خامساً: التعرف على التحولات الاجتماعية- الاقتصادية التي شهدتها منطقة البادية الشمالية الشرقية جراء العمل بالنشاط الاقتصادي غير الرسمي.

١-٤ مشكلة الدراسة:

تنبع مشكلة الدراسة من محاولة التعرف على أثر النشاطات الاقتصادية غير الرسمية (التهريب) في الحراك الاجتماعي الصاعد والهابط في البادية الشمالية الشرقية، ومدى تأثير هذه النشاطات في المساهمة في التحولات الاجتماعية- الاقتصادية والتغيرات التي تحدث في ذلك المجتمع ورصد أهم هذه التحولات والتعرف عليها وفي ضوء ذلك ستحاول الدراسة التالية الإجابة على التساؤلات التالية:

١-٥- تساؤلات الدراسة:

حاولت هذه الدراسة الإجابة عن التساؤل الرئيسي التالي:

"هل أثّر النشاط الاقتصادي غير الرسمي"التهريب" في إحداث عملية الحراك الاجتماعي في منطقة البادية الشمالية الشرقية".

ويتبع هذا التساؤل تساؤلات فرعية:

١- ما هي طبيعة النشاط الاقتصادي غير الرسمي الذي يسود في منطقة البادية الشمالية الشرقية؟

٢- ما هي الأسباب والدوافع التي أدت بكثير من السكان العمل بهذا النشاط غير الرسمي؟

٣- هل أثر النشاط الاقتصادي غير الرسمي (التهريب) فعلاً في إحداث عملية الحراك الاجتماعي في منطقة البادية الشمالية الشرقية؟

٤- ما هي طرق المهربين وأساليبهم المستخدمة في هذا النشاط الاقتصادي غير الرسمي والتي أدت بدورها إلى إحداث عملية الحراك الاجتماعي؟

٥- ما هي طبيعة التحولات الاجتماعية- الاقتصادية التي تمر بها منطقة البادية الشمالية الشرقية جراء هذا النشاط الاقتصادي غير الرسمي؟

١-٦ الدراسات السابقة:

هناك مجموعة من الدراسات السابقة التي تعرضت لموضوع النشاطات الاقتصادية غير الرسمية منها ما هو محلي وعربي وأجنبي.

أولاً: الدراسات المحلية

دراسة محمد أبو حشيش، بعنوان: "توطن البدو التلقائي في البادية الأردنية"، وهي عبارة عن أطروحة ماجستير قدمت للجامعة الأردنية(١٩٨٧م).

درس الباحث في هذه الأطروحة ظاهرة البداوة زمانياً ومكانياً، وبحث في دوافع التوطن التلقائي، والتعرف على التغيرات البيئية الناجمة عن توطن البدو، وكذلك بحث في التحولات الاجتماعية والاقتصادية للبدو في المجالات المهنية وأنماط المعيشة، وأنماط السكن، ومستويات التعليم.

وقد توصلت هذه الدراسة إلى مجموعة من النتائج:

١- أن هناك تحولات مهنية لدى البدو المستقرين حيث ظهرت مجالات عمل جديدة بعدما استقر هؤلاء البدو في أماكن ثابتة، كالعمل في الزراعة، وفي القوات المسلحة الأردنية، وفي الوظائف المدنية في القطاعين العام والخاص حيث كانت تربية المواشي هي المهنة الوحيدة قبل التوطن.

٢- هناك تحولٌ في أنماط المساكن وأشكالها فظهرت البيوت الأسمنتية والحجرية بعد التوطن في حين كانت سابقاً تبنى بيوت الشعر لأغراض السكن.

٣- هناك تحولٌ في مجالات التعليم، حيث اتجه البدو نحو التعليم النظامي في المدارس الحكومية المنتشرة وكان ذلك في شتى مستويات هذا التعليم.

لكن نلاحظ بأن هذه الدراسة لم تتطرق لبعض الأسباب الاقتصادية والنشاطات التجارية التي ساعدت على التوطن والاستقرار، ولم تبحث ميزة الموقع الجغرافي والجيوسياسي لمنطقة البادية والذي أدى إلى انتشار ظاهرة التهريب عبر الحدود فلم يشر الباحث لهذه الأهمية علماً بأن أحد أهم الأسباب الرئيسة في الاستقرار في هذه المناطق هو قربها من الحدود البرية وخاصة في البادية الشمالية الشرقية حيث استفاد هؤلاء السكان من هذا الموقع كثيراً وعملوا بالنشاطات التجارية غير الرسمية واستفادوا مادياً من هذه النشاطات وكانت أحد الأسباب الرئيسة في التوطن والاستقرار التلقائي لسكان هذه المناطق الحدودية.

دراسة أسمهان حتّر، بعنوان: "الواقع الاقتصادي والاجتماعي لمنطقة قضاء الموقر في البادية الوسطى، وهي رسالة ماجستير قدمت في الجامعة الأردنية،(١٩٩١م).

في هذه الدراسة حاولت الباحثة التعرف على الواقع الاقتصادي والاجتماعي لمنطقة محددة هي لواء الموقر والذي يقع ضمن البادية الوسطى، ومعرفة أنماط النشاطات الاقتصادية وأنواعها التي يمارسها الأفراد هناك حيث توصلت لمجموعة من النتائج التي لم تختلف عن نتائج الدراسات السابقة والتي أجريت على أقسام البادية الأخرى، كما في دراسات الباحث محمد الدماني: "الواقع الاقتصادي والاجتماعي لمنطقة البادية الجنوبية" ١٩٩٥ ودراسة حسين العثمان:" الخصائص الاجتماعية- الاقتصادية لمنطقة البادية الشمالية الشرقية١٩٩٢، ودراسة رحاب العمري بعنوان: "العوامل المؤثرة في استقرار البدو في منطقة وادي عربة ١٩٩٦، وكذلك دراسة أبو حشيش، بعنوان:"توطن البدو التلقائي في البادية الأردنية"١٩٨٧... وغيرها من الدراسات الأخرى.

أما بالنسبة لنتائج هذه الدراسة فقد جاءت على النحو التالي:

١- كان هناك بروز واضح في عمل الأفراد في قطاعات الحكومة المختلفة وخاصة في المؤسسة العسكرية (جيش، أمن) إضافة إلى أعمال الزراعة غير المروية مثل القمح والشعير.

٢- كان هناك تدني وانخفاض في نسب الدخل عند الأفراد والجماعات.

٣- النقص في فرص العمل والافتقار للتدريب وخاصة الفني والمهني .

٤- انخفاض نسبة مشاركة المرأة في الإنتاج وانخفاض فرص تعليمها.

٥- ارتفاع مستويات الفقر والبطالة وخاصة عند الإناث.

كان من الواجب على الباحثة وبما أن هذه المنطقة تعتبر من مناطق البادية شبة الحدودية (الحدود السعودية) أن تتطرق لنشاطات اقتصادية غير رسمية ملاحظة هناك وخاصة في مناطق مثل سحاب، أبو علندا، وغيرها، حيث أعمال (التهريب) وخاصة الدخان والتي تشكل نشاط اقتصادي يعمل به الأفراد.

دراسة حسين العثمان، بعنوان: "الخصائص الاجتماعية- الاقتصادية لمنطقة البادية الشمالية الشرقية في الأردن" دراسة في تنمية المجتمعات المحلية. وهي عبارة عن أطروحة ماجستير قدمت للجامعة الأردنية، (١٩٩٢م).

تطرق الباحث في هذه الدراسة أهم الخصائص الاجتماعية- الاقتصادية التي تتميز بها منطقة البادية الشمالية الشرقية، فوجد أنها تعاني من شح الموارد الاقتصادية والاستثمارية، وتدني فرص تعليم الأبناء، وتدني مستوى الخدمات العامة... وقلة وشح فرص تدريب واستثمار أعمال المرأة وغياب برامج التدريب، وانخفاض مستوى الاستثمارات المادية... وارتفاع نسب الإعالة وانخفاض نسب المشاركة من سوق العمل، كما أن هناك أعداداً كبيرة

من الأعمار الصغيرة المعالة تشكل ضغطاً متزايداً على المرافق الأساسية وخاصة المرافق التعليمية والصحية كما توصلت الدراسة أن نسبة الأمية مرتفعة في هذه المنطقة وهناك أيضاً تسرب من المدارس، وعزوف عن الاتجاه نحو التعليم المهني، كما أن نتائج مثل: تدني دخل الأسر والأفراد، تدني مستوى معيشة الأفراد ورفاهيتهم، وجود عادات اجتماعية سيئة (إظهار المكانة والهيبة الاجتماعية، تتمثل بالتبذير والإسراف في مظاهر الضيافة وحفلات الأعراس لإظهار الكرم والقدرة المادية والهيبة الاجتماعية، وضعف مشاريع الاستثمارات الفردية والجماعية كانت حاضرة بقوة.

ومن النتائج الأخرى التي توصلت لها هذه الدراسة، انخفاض العاملين في الأعمال المهنية والحرفية، وأن غالبية العاملين هم في قطاعي الحكومة: العسكري والمدني، وأن أعمال الزراعة مُشاهدة لكنها ضعيفة وأن أعمال الأفراد والجماعات في الرعي وتربية الماشية أصبحت من الأعمال المشرفة على الاندثار على الرغم من ارتفاع نسب العاملين بها في بعض الأماكن، إلا أن الاتجاه السائد في من منطقة البادية الشمالية هو الاتجاه نحو الأعمال الزراعية في الزراعة المروية والزراعة المعتمدة على الأمطار.

دراسة روجر أوكلي ورائد التبيني: "طبيعة وأهمية تجارة الأغنام في البادية الشمالية الشرقية" (١٩٩٦م).

' The Nature and Significance of livestock Trading in the North East Badea of Jordan'(١٩٩٦).

وفي هذه الدراسة عالج الباحثان أهم النشاطات الاقتصادية التي يقوم بها أبناء البادية وهي تجارة الأغنام، فقد وجد الباحثان أن هذه التجارة من أهم النشاطات الاقتصادية التي مارسها أبناء البادية في المنطقة الواقعة على ثلاثة حدود، ومنها أسواق تجارية من أغنى الأسواق العربية: المملكة العربية السعودية، والعراق، بالإضافة إلى سوريا، فقد مارس أبناء هذه المنطقة هذا النشاط الاقتصادي المهم والذي وفر لهم دخول كبيرة ومكاسب مادية ضخمة، وقد ساهمت هذه الأرباح في حراك اجتماعي ملحوظ عند أبناء البادية، وقد عمل هؤلاء على فتح أسواق للتصدير والاستيراد، فبالإضافة للسوق المحلية الموجودة في مدينة المفرق، عمل الكثير من تجار الأغنام في البادية على تصدير الأغنام إلى أسواق خارجية: لكل من السعودية، وسوريا، وقد كان هؤلاء في كثير من الأحيان يستوردون هذه الأغنام بأسعار رخيصة من العراق، وقد كانت للظروف السياسية والاقتصادية التي مر بها هذا القطر الأثر الكبير في رخص الأغنام، وبالتالي فإن الكثير من التجار من أبناء البادية يستغل هذا الانخفاض بالأسعار فيستورد ثم يعيد تصدير هذه الأغنام للأسواق الخليجية.

وفي كثير من الأحيان كانت هذه التجارة تأخذ شكلاً غير مشروع من خلال تهريبها عبر الحدود والثغرات وإدخالها إلى الأردن بشكل غير رسمي وبالتالي أخذت هذه النشاطات شكلاً غير رسمي على حد تعبير الباحثان وكبدت خزينة الدولة الكثير من الخسائر، وانتعش في المقابل مجموعة من المهربين الذين كان لهم امتدادات ومعارف خارجية في كل من

السعودية وسوريا، والأسواق الخليجية. ووجد الباحثان أن الجانب غير الرسمي من هذا النشاط الاقتصادي قد ساعد بشكل كبير على إحداث طفرة في زيادة مداخيل هؤلاء التجار، وبالتالي أحدث حراكاً اجتماعياً في هذه المنطقة الصحراوية التي تعاني ظروف مادية وجغرافية صعبة.

دراسة دوخي عبد الرحيم الحنيطي، بعنوان: "الاتجاهات الاقتصادية والاجتماعية في تنمية البادية الأردنية(دراسة ميدانية على منطقة البادية الشمالية الشرقية) ،(١٩٩٧م).

عالج الحنيطي في هذه الدراسة مجمل الحياة الاجتماعية والاقتصادية والديمغرافية فقد تطرق للوضع العشائري وسكان هذه المنطقة وكذلك عالج موضوع نشاطات السكان الرئيسية وركز على النشاطات الأساسية لهؤلاء السكان ووجد أن الأغلبية تعمل بالرعي فكان نمط الإنتاج الرعوي هو السائد في هذه المنطقة، ثم تناول في البحث الأعمال الإدارية التي اتجه لها أبناء هذه البادية، ووجد أن الزراعة لم تشكل نسبة عالية في نشاط هؤلاء، ولم يحدد الحنيطي طبيعة التجارة التي حازت على نسبة (١٢,٦%).

كما بين (الحنيطي) أن القوى العاملة من الذكور بلغت (٦٩,٨%) في مقابل (٣٠,٢%) من الإناث، كما أشار (الحنيطي) إلى أن معظم سكان البادية يعانون من مشكلات مثل: تدني مستوى المعيشة، وانتشار الفقر والبطالة بأنواعها المختلفة، وعدم توفر بعض الخدمات الاجتماعية الأساسية، كما أن المرأة في هذا المجتمع تعاني من مشكلات منها: تدني المهارات الإنتاجية، وانتشار الأمية، ولعل "الحنيطي" وإن لم يشر بشكل مباشر إلى النشاطات الاقتصادية "التجارية" غير الرسمية قد ألمح إلى أن هناك تغير اجتماعي وحراك اجتماعي واقتصادي قد يصعب معرفة مصادره بشكل جلي ودقيق فوجود بعض الإرهاصات الأولى وبوادر الطفرات تطل في أحيان كثيرة وتختفي، لكن مصادر وآليات الكثير في الطفرات

الاقتصادية تكاد تكون مخفية وغير ظاهرة وتتظافر مجموعة من الأسباب في عـدم رؤيتهـا ووضوحها. لعل السرية في العمل وخطورته واشـتراك بعـض الأطـراف (ذات المواقـع الحساسة) وهو ما يعطي هذه النشاطات غموضاً أكبر.

إلا أن الباحث لم يتطرق مباشرة لأعمال التهريب التي كانت خلال سنوات إعداد هذا الأطروحة على أشدها فربما حساسية هذا الموضوع وقلة المصادر وخطورته هي ما جعلت الباحث وغيره من الباحثين يغضون الطرف عن موضوع مهم له ماله من أهمية في إحـداث عملية الحراك الاجتماعي.

دراسة آلن رو بعنوان: " إدارة الثروة الحيوانية للبدو والاقتصاد الاجتمـاعي فـي البادية الشمالية الشرقية" (١٩٩٨م).

" Bedouin Livestock Management and Socio- economics in the North estern Badia" (١٩٩٨)

في هذه الدراسة عالج الباحث كيفية طرق وأساليب تربية المواشي في البادية الشمالية الشرقية، واستعرض العشائر التي تقطن هذه المنطقة وقارن بينها من خلال ملكيتها للمواشـي وإعدادها وكيفية الاستفادة منها وطرق تربيتها وأهميتها في حياة البدوي منذ القدم، واستنتج أنه على الرغم من انحسار هؤلاء المربين للماشية بسبب الظروف البيئية والاقتصادية إلا أن أبناء البادية لا يزالون متمسكين بهذه النشاطات التي تدر عليهم الكثير من الحاجات الأساسية فـي حياتهم مثل: الحليب ومشتقاته، اللحوم، الصوف، الشعر، والتجارة بهذه القطعان سواء داخليـاً أو عبر الحدود البرية مع الدول المجاورة (سوريا، السعودية، العراق) بالإضافة إلى النشاطات التجارية غير الرسمية في استيراد وتصدير هذه المواشي: (الأغنام، الماعز). ودرس مجموعة من الحالات الذين لا يزالون يهتمون بتربية الماشية لهذه الأيام، واستنتج أن هناك ثلاث فئات

من المالكين، وجميعهم مستفيدين من تربية الماشية والمتاجرة بها سواء كانت هذه التجارة رسمية عبر الأسواق المحلية، أو الأسواق العربية، أو عن طريق تهريب هذه الأغنام عبر الحدود البرية.

وهذه الفئات الثلاث هي:

- مالكي الأغنام القليلة: قطعان قليلة العدد.
- مالكي الأغنام الكبيرة: قطعان كبيرة العدد.
- مالكي الأغنان الكبيرة جداً: مجموعة قطعان كبيرة العدد.

وجميع هذه الفئات المالكة استفادت كثيراً من ملكية هذه المواشي على الرغم من الظروف التي مرت وأدت إلى الجفاف وارتفاع أسعار الأعلاف، وانخفاض أسعار الماشية، إلا أن التهريب عبر الحدود كان في كثير من الأحيان يعوض على هؤلاء هذه الخسائر.

أما بالنسبة لدراسة ممدوح السرور: "التغيرات البيئية والأنماط الرعوية في البادية الشمالية الشرقية، (١٩٩٩م).

وقد تناولت هذه الدراسة الظروف المناخية والبيئية المؤثرة على حركة الرعاة خلال السنة، والتعرف على أشكال وأنماط الطرق الرعوية، ومحاولة التعرف على الظروف البيئية الصعبة على حركة هؤلاء الرعاة طوال السنة وكيف تؤثر هذه الحركة الدؤوبة إلى استنزاف المراعي أولاً ثم استنزاف قدرة هؤلاء الرعاة أنفسهم من خلال رحلتي الصيف والشتاء، كما تعرف الباحث على أهم سكان هذه المنطقة، والتحولات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي مرت بها: ثم تطرق الباحث لأشكال الإنتاج البدوي حيث توصل إلى أن أهم أشكال الإنتاج السائدة في منطقة البادية الشمالية الشرقية كانت تعتمد على تربية الماشية ورعايتها والاستفادة مما تجود به هذه المواشي من: حليب، وصوف، ولحوم...

وقد تعرض الباحث للخصائص المميزة لتنقل هؤلاء الرعاة طوال السنة ووجد أن وجهة هؤلاء تتجه نحو المناطق الأكثر شتاءً حيث المراعي التي تحتمل أغنامهم فأينما وجدت هذه المراعي فإن الحركة تكون صوب هذه المراعي والمناطق.

لكن ما يُلاحظ على هذه الدراسة أنها لم تتعرض لأعمال السكان ونشاطاتهم المختلفة وخاصة أن مناطق مثل البادية الشمالية الشرقية تعتبر من المناطق الحدودية وأن العلاقات مع دول الجوار هي علاقات شبه مفتوحة وخاصة الحد السوري، فربما تمتد حركة الرعاة إلى داخل الحدود السورية وربما تدخل نشاطات اقتصادية غير رسمية جراء هذا الدخول فهناك نشاطات كثيرة مشتركة بين رعاة المناطق السورية ورعاة المناطق الأردنية، كان من الواجب على الباحث التطرق لها، حتى لو كان ذلك بالذكر.

دراسة بعنوان: " الخصائص الاقتصادية والاجتماعية لمنطقة الرويشد" أجراها مركز بحوث وتطوير البادية الأردنية، (٢٠٠٠م).

وفي هذه الدراسة توصل فريق البحث إلى أن هناك ظروفاً خاصة تميز هذه المنطقة الصحراوية والتي تعاني من مشكلات اجتماعية واقتصادية متعددة كان من أهمها الهجرة الداخلية إلى المناطق الحضرية والريفية (المفرق، الزرقاء، إربد) وارتفاع مستويات الفقر والبطالة، وتدني مستوى التعليم، التسرب المدرسي، والافتقار لفرص العمل، وقلة الموارد المادية وانعدام الاستثمارات الخارجية التي من الممكن أن تساعد على تشغيل أبناء هذه المنطقة، انعدام فرص تعليم المرأة، والافتقار للتدريب والتأهيل المهني بمختلف أنواعه.

وقد توصلت هذه الدراسة أيضاً إلى نتائج مهمة منها مثلا: أن النشاطات الاقتصادية الرئيسية للسكان التي كانت بالسابق تشكل عصب الحياة بهذه المنطقة وهي الرعي والاعتماد على الثروة الحيوانية أصبح شبه معدوم وهناك أسباب أدت لذلك منها: قلة وانحسار الأمطار

لسنوات متعددة، تأكل المراعي الطبيعية، غلاء أسعار الأعلاف، إغلاق الحدود البرية، وتشديد الرقابة الأمنية عليها تلك التي كانت تشكل مصدراً مهماً لكل ما يحتاجه سكان هذه المناطق بداية من الأعلاف، والأغنام، والمواد الغذائية، والدخان، والأسلحة، والأدوات، المنزلية وغيرها من الحاجات والمواد.

وقد أشارت هذه الدراسة وركزت على أن عملية إغلاق الحدود وخاصة مع العراق، وتشديد الرقابة عليها قد أثر بشكل كبير على قطاع كبير من تجار المنطقة وأبنائها ففي السابق كانت هذه المنطقة تعج بكل ما يحتاجه الناس بدءاً بالمواد الغذائية والأغنام والماعز، والأسلحة، والسجاد، والعطور والأدوات الكهربائية، وقد شهدت هذه المنطقة خلال فترة السبعينيات حياة اقتصادية مزدهرة جداً وقد نشط الناس هناك واستفادوا كثيراً من حركة التهريب عبر الحدود وخاصة الحدين: العراقي والسعودي، وذلك لاقتراب هذين الحدين في هذه المنطقة بشكل كبير إلا أن الأوضاع تغيرت منذ منتصف التسعينيات وجاءت الحرب العراقية والهجمات الأمريكية على العراق، والظروف السياسية ومن ثم احتلال العراق لينهي هذه الفترة من الازدهار الاقتصادي والاجتماعي والحراك الذي يسير بوتيرة مرتفعة .

والحقيقة أن هذه الدراسة والتي من الواجب أن تعالج أهم النشاطات في هذه المنطقة لم تتطرق بشكل مباشر لذلك النشاط الاقتصادي الرئيسي والبارز في هذه المنطقة فهذه المنطقة كما هو معروف تعتبر من المناطق الحدودية المشهورة بانتشار ظاهرة التهريب عبر الحدود البرية، فقد مارس أغلب سكان هذه المنطقة هذا النشاط الاقتصادي غير الرسمي لسنوات طوال، وقد استفادوا كثيراً من هذه العمليات، ويشهد على ذلك ما كان يتمتع به سكان هذه المنطقة من امتلاك المستلزمات الحضرية كافة بدءاً بالبيوت الفاخرة والكبيرة والتي ما تزال شاهدة على تلك الفترة المزدهرة، واقتناء أفخر أنواع السيارات والتي يقدر سعر الواحدة منها

بمئات الآلاف وصولاً إلى اقتناء أفخر المستلزمات الكمالية في البيوت من أثاث فاخر، وسجاد من أجود الأنواع وأغلاها، إلى امتلاك أنواع من الأسلحة الخفيفة والثقيلة والتي كان سكان هذه المنطقة يتباهون ويتفاخرون باقتنائها واستخدامها في أوقات الأفراح في الأعـراس وحفـلات النجاح على الحدود.

وقد ساعدت هذه النشاطات كثيراً في إحداث حراك اجتماعي واضح حيـث اسـتغل الكثير من التجار العاملين بهذه النشاطات استثمار بعض ما تدره عليه هـذه النـشاطات فـي امتلاك بعض المحلات التجارية أو اقتناء وملكية وسائط نقل مع خطوطها وفي أحيان كثيـرة عمل الكثير على تعليم الأبناء في المدارس والجامعات والمعاهد والكليات المختلفة وبالتالي فإن هذا الحراك أثر كثيراً في إحداث نقله نوعية في مثل هذه المناطق النائية وكثيراً ما كان يستغل البعض وضعه المادي الجيد في خلق وبناء علاقات مع الكثير من المسؤولين المتنفذين داخـل الدوائر الحكومية ومن هنا وجد بعض هؤلاء بهذه العلاقات موطأ قدم لاحتلال مكانة اجتماعية داخل عشيرته، وفي المجتمع المحلي، حيث كانت في كثير من الأحيان تلعب هذه العلاقـات دوراً في جعل أحد هؤلاء التجار الأغنياء أحد عليّه القوم أو وجهائها الذين سوف يقومون فيما بعد بدور الوسيط بين أبناء هذه العشائر والدوائر الحكومية المختلفة من جيش وأمن ودوائـر خدمية أخرى.

وبذلك لعبت هذه النشاطات دوراً مهماً في إحداث حراك اجتماعي مزدهر كان -وإن لم يستمر طويلاً- أحد أهم الأسباب في إحداث الكثير من التغيرات الاجتماعية فـي الباديـة الشمالية الشرقية بشكل عام.

دراسة علي الزغل، بعنوان: "الحياة الاجتماعية في البادية الأردنية دراسة اجتماعية- اقتصادية على البادية الشرقية، (٢٠٠٢م).

"Social Life in a Jordan Badia :"A Socio – Economic study of the northeastern Badia'(٢٠٠٢).

وقد أجريت على منطقة البادية الشمالية الشرقية وبحث خلالها الحياة الاجتماعية والاقتصادية لسكان البادية الشمالية الشرقية، ووجد أن هناك حراكاً اجتماعياً متصاعداً عند أجيال أبناء البادية المختلفين فالانتقال من أعمال الرعي إلى الزراعة والأعمال التجارية والاستقرار بالمنازل الثابتة واقتناء الأدوات الكمالية الحديثة هي من أهم النتائج التي توصل لها من خلال هذه الدراسة كما أن الاتجاه إلى الأعمال الحكومية: كالتربية والتعليم، والجيش والأمن العام، والقطاعات الحكومية المختلفة كان سمة غالبة على أعمال الأجيال الحديثة لسكان تلك المنطقة وقد توصل إلى أن هناك مجموعة من الأسباب أدت بأبناء البادية وخاصة الأجيال المتلاحقة إلى الانتقال من حياة البداوة وأعمال الرعي إلى أعمال الزراعة والتجارة والقطاعات الحكومية المختلفة وكان من أهمها:

١- غلاء أسعار الأعلاف المقدمة للماشية.

٢- شُح الأمطارو إنحسارها، مما أدى إلى سنوات متتالية من القحط والجفاف.

٣- كان لانتعاش حركة العمران الكبيرة سبب مباشر لانحسار المراعي الطبيعية.

٤- صعوبة الحركة والتنقل طلباً للكلأ والماء.

٥- الاهتمامات الحكومية المتتالية بالسكان وتقديم المستلزمات الخدمية كافة من مدارس ومراكز صحية، وشبكات طرق حديثة، وشبكات كهربائية وإنارة، وشبكات مياه، ومراكز ومكاتب وزارة التنمية الاجتماعية.

وبالتالي فإن الأعمال السابقة والنشاطات الاقتصادية سواء كانت منها المشروعة: كالرعي وتربية الأغنام، أو نشاطات وأعمال التهريب عبر الحدود البرية لم تعد هي الأولوية لسكان هذه المناطق، حيث أثرت جميع تلك الأسباب مجتمعة على نظرة أبناء البادية، ورأوا أن الأعمال الرسمية والمشروعة أكثر أمناً وأكثر ضمانة من تلك الأعمال التي أصبحت خسائرها أكثر من ربحها.

دراسة عبد العزيز خزاعلة "التوزيع المكاني للسكان وعلاقته بالنظام البيئي في البادية الشمالية الشرقية(٢٠٠٥م).

وقد أجرى دراسته على منطقة البادية الشمالية الشرقية تحديداً وتطرق خلالها لأعمال أبناء البادية والنشاطات الاقتصادية المختلفة التي يعملون بها والتحولات التي أصابت هذه المهن والنشاطات الاقتصادية التي يعمل بها أبناء البادية ووجد أن هناك تحولاً وتغيراً كبيراً بهذه المهن والنشاطات الاقتصادية عبر الأجيال: الأجداد، فالآباء، فالأبناء، فارتفعت نسبة الأبناء الذين تركوا أعمال الرعي واتجهوا نحو الزراعة والتجارة والحرف والالتحاق بالقطاع الوظيفي (مدني،عسكري) وبالتالي فإن أعمال التهريب ونشاطاته والأعمال الحرة والتي جاءت تحت مسمى "أعمال متعددة (أكثر من مهنة) كانت عند الأجداد بنسبة (١,٨%) ولكنها ارتفعت عند الآباء إلى (٢٨%) وبنسبة (٣,٨%) ولكنها قلت بشكلٍ ملاحظ عند جيل الأبناء الحالي.

يلاحظ الخزاعلة من خلال هذه الدراسة أن هناك مجموعة من الأسباب أدت إلى أن يتجه أبناء البادية نحو الإنتاج الاقتصادي المتعدد بعدما كان النمط الإنتاجي معتمداً على الرعي واستغلال الماشية في عمليات الإنتاج المختلفة، إلا أن هناك مجموعة من الأسباب ساهمت في تحول هذا النمط وتغيره إلى أنماط إنتاجية متعددة تعتمد على الوظائف الحكومية وأعمال الزراعة، وبعض الأعمال التجارية الأخرى وبالتالي أوجبت هذه النشاطات والمهن الجديدة أن

يترك أبناء البادية حياة التنقل والترحال وأن يتجهوا تدريجياً نحو النشاطات والمهن الاقتصادية المختلفة التي تستوجب الاستقرار بسكن دائم وعدم التنقل والترحال.

ويذكر الخزاعلة من هذه الأسباب:

١- تأسيس الدولة الأردنية عام ١٩٢١، وقد أدى ذلك إلى انخراط أعدد كبيرة من البدو بالأنشطة الاقتصادية المرتبطة بالدولة الأردنية متخلين بذلك عن الأنشطة الاقتصادية المرتبطة بحياة البدو السابقة حيث حلت العصرية والتحديث محل الأنماط التقليدية السابقة.

٢- إن علاقات الإنتاج الجديدة قد دمجت جماهير البدو في الأنشطة الاقتصادية الحديثة المرتبطة بالدولة وحولتهم إلى جنود وموظفين أو عمالٍ زراعيين في المشاريع الزراعية الكبيرة التي أنشأها مستثمرون من خارج منطقة البادية.

٣- عمل الحكومات المتعاقبة على احتواء جماهير البدو وزعماء العشائر المختلفة وتوزيع الواجهات العشائرية وتسجيل أبناء هؤلاء في القوات المسلحة الأردنية وإقامة المشاريع الخدمية في البوادي والأرياف مثل: شبكة الطرق الحديثة وربطها بمدينة المفرق، شبكة مياه حديثة، مد خطوط التيار الكهربائي لجميع التجمعات السكانية، إيصال خدمة الاتصالات والهاتف، فتح المراكز والمستشفيات الصحية، فتح المدارس الحديثة لجميع المراحل الدراسية وكذلك مدارس الثقافة العسكرية، وفتح وتقديم خدمات صندوق المعونة الوطنية، ووزارة التنمية الاجتماعية.

وبذلك فإن النظرة إلى النشاطات السابقة التي كانت سائدة قبل الاستقرار اختلفت وأصبحت الكثير من النشاطات الاقتصادية السائدة سابقاً تعتبر من الماضي إلا أن نشاطات بديلة مثل: عمليات التهريب عبر الحدود قد ازدهرت خلال فترة من الفترات وذلك يعود

لبعض الظروف العسكرية والسياسية والاجتماعية، سواء في الأردن أو في الدول المجاورة وخاصة العراق وسوريا.

دراسة موفق الحماد: " الاستقرار وتغير بعض القيم الاقتصادية في البادية الشمالية الشرقية، وهي عبارة عن أطروحة ماجستير قدمت لجامعة اليرموك، (٢٠٠٥م).

وقد أجرى الباحث دراسته هذه في منطقة البادية الشمالية الشرقية مركزاً على نجاح عملية الاستقرار الجماعي للأفراد في هذه المنطقة وبالتالي تغير قيمهم الاقتصادية السابقة على الاستقرار بمكان معين وقد بحثت هذه الدراسة في الجدلية القائمة فيما بين عملية أو ظاهرة الاستقرار وظاهرة تغير بعض القيم الاقتصادية للأفراد في هذه المنطقة وبناءاً على هذه العلاقة الجدلية فقد توصل الباحث من خلال هذه الدراسة لمجموعة من النتائج المهمة نذكر منها:

١- تزايد وتيرة الاستقرار من جيل الأجداد إلى جيل الآباء والأبناء وازدياد الاعتماد على الزراعة كنشاط اقتصادي وتناقص الاعتماد على تربية المواشي كنشاط اقتصادي.

٢- بالرغم من قلة الاعتماد على المهن الحرفية كنشاط اقتصادي في عينة الدراسة إلا أن نظرة أفراد العينة تغير بشكل واضح تجاه مثل هذه المهن مقارنة مع جيل الأجداد والآباء لهم.

٣- القوات المسلحة هي القطاع المفضل لعمل الأبناء لدى أفراد العينة تلاه قطاع المهن الحكومية.

٤- يؤيد (٤٦,١%) من عينة الدراسة عمل المرأة المنزلي، واعتبره (٣٩,٥%) منهم بأنه ضروري وهذا يعتبر تغير أيضاً في قبول عمل المرأة.

٥- ارتفاع تكاليف المعيشة هي أحد الأسباب الرئيسية في قبول عمل المرأة.

٦- أن هناك تغير في نظرة المجتمع البدوي للتطورات التكنولوجية الحديثة، حيث تهافت أفراده على اقتناء هذه التطورات باختلاف أنواعها وأشكالها بالرغم من حداثة بعضها في الأسواق واعتبروا أن اقتناء مثل هذه الأدوات تعكس مكانـــة اجتماعيـــة خاصـــة للأفراد.

ثانياً: الدراسات العربية

على الرغم من وجود الكثير من الدراسات العربية التي عالجت موضوع القطاع غير الرسمي إلا أنها عالجت بعض جوانب هذه الظاهرة ومن أشهر الدراسات التي عالجت موضوع التجارة الحدودية.

دراسة لوريس الراعي، بعنوان: "التغير الاجتماعي في مجتمع بدوي مستقر" دراسة ميدانية لمنطقة وادي خالد في لبنان، وهي عبارة عن أطروحة ماجستير قدمت للجامعة اللبنانية(١٩٨٧م).

في هذه الدراسة عالجت الباحثة أهم التغيرات الاجتماعية- الاقتصادية التي طرأت ولا تزال على مجتمع يتصف بالبداوة ببنيته الاجتماعية وعلاقاته إلا أنه مجتمع مستقر أي أن أبناءه يقيمون ببيوت من اللِبن والحجر ولا يعتمدون على نمط الحياة المتنقل، وكذلك تعرضها للتغيرات الديموغرافية الحاصلة في منطقة الدراسة (وادي خالد).

وقد توصلت الباحثة لمجموعة من النتائج والخلاصات والتي استنتجتها من خلال تحليل الاستمارات البحثية وبناء الجداول:

أولاً: تراجع تربية المواشي والإتجار بها تراجعاً كبيراً، إذ اختفت تقريباً القطعان الكبيرة التي ميزت حياة البداوة في سعيها وراء الكلأ والماء.

ثانياً: رعي الماشية والاهتمام بها لقاء أجر معين أو حصة ما لم يعد موجوداً وتلك التي كانت تهرب من سورية إلى طرابلس أصبحت قليلة.

ثالثاً: وفي قطاع التجارة وجدت أن هناك مجموعة من المخازن موجودة في القرى المجاورة للحدود الشرقية اللبنانية مع سوريا(قرحة) تعتمد في تجارتها ونشاطها على التهريب

تهريب البضائع المختلفة وهي تعتمد على زبائن دائمين يشترون البضائع جملة ويدخلونها إلى سوريا.

رابعاً: ساهمت هذه النشاطات الاقتصادية غير الرسمية (غير القانونية) في إحداث حراك اجتماعي على الصعيد الخاص فتحسين المنازل وبنائها بشكل منظم ولائق هي في طليعة هذه المشاريع الخاصة وكذلك شراء الأراضي فتح مخازن تجارية في (طرابلس) تعليم الأولاد، شراء سيارات شحن، شراء سيارات خاصة، وشراء الآلات الزراعية المتطورة كالتراكتور والحصادة... كما أن التأكيد على الهيبة والمكانة كان من خلال الزواج بأكثر من واحدة فهذا من جهة يظهر الشخص بأنه قادر اقتصادياً على إعالة أكثر من زوجة ومن جهة أخرى فإن إنجاب أكبر عدد ممكن من الأبناء خاصة الذكور يعتبر من أهم مقومات العزوة والثقة بالنفس والهيبة والمكانة الاجتماعية في المجتمعات البدويةو الريفية.

خامساً: وجدت الباحثة أن المجتمع في منطقة وادي خالد هو مجتمع متحول اجتماعياً واقتصادياً أي أنه في طور الانتقال من مرحلة لأخرى أو بمعنى آخر في مراحل التشكل.

سادساً: لاحظت الباحثة بالنتيجة أن الإقبال على العلم قد ازداد مع انفتاح أهالي وادي خالد على مختلف البيئات والمستويات من خلال عملهم بالتجارة وأدراكهم أهمية العلم إذ أخذ الأهالي يرسلون أبناءهم إلى المدارس.

سابعاً: كانت النشاطات الاقتصادية متذبذبة بين التجارة والزراعة حسب الظروف المحيطة من جهة وقيمة المردود الذي يجنى من النشاطين من جهة أخرى.

ثامناً: أن هناك تحولاً في النظرة إلى المهن الحرفية ونسبة الإقبال عليها إذ ازدادت القابلية على المهن الحرفية مثل صناعة الأحذية، وأعمال الحدادة، مراكز تصليح السيارات، العمل في المصانع المختلفة.

لكن على الرغم من أن هذه الدراسة الوحيدة التي تطرقت بشكل شبه مباشر لنشاطات التهريب والتجارة الحدودية كما أسمتها إلا أنها لم تستمر ولم تتعمق في شرح العلاقة بين النشاط التجاري غير الرسمي الحدودي بين (لبنان وسوريا) وبين عمليات الحراك الاجتماعي التي ذكرتها نتيجة هذه التجارة الحدودية ولم تقدم لنا الباحثة من جهة أخرى ما هي طبيعة هذه الجماعات التي كانت تنشط عبر الحدود على الرغم من شرح طبيعة العلاقة بين القطرين السوري واللبناني لكنها اكتفت بشرح هذه العلاقة بشكل عابر وذكرت بعض الظروف السياسية والاقتصادية والديمغرافية الدافعة لمثل هذه العمليات.

الدراسات الأجنبية:

هناك بعض الدراسات الأجنبية التي عالجت موضوع القطاع الاقتصادي غير الرسمي بتسمياته المختلفة وقد كانت معالجات هذه الدراسات والأبحاث تأتي وفق خصوصية كل بلد تجري به هذه الدراسات.

فقد جاءت دراسة (باردج كانداجيما) بعنوان **"الاتجاه المباشر لقياس الاقتصاد الخفي في أميركا"** (١٩٨٢م) لتعالج أهم النشاطات الاقتصادية غير الرسمية التي تنتشر في الولايات المتحدة الأمريكية، وقد أخذت هذه الدراسة طابع الدراسات المسحية القومية وقد تطرقت هذه الدراسة لعدد هائل من النشاطات الاقتصادية غير الرسمية في أميركا بدءاً من تهريب الأشخاص من دول العالم الثالث لدخول أميركا، وصولاً إلى نشاطات غسيل الأموال، وبيع الأعضاء البشرية المختلفة.

وقد عالج الباحث الكثير من هذه النشاطات بشكل منفرد أحياناً إلا أنــه رأى أن هــذه النشاطات المختلفة تشكل قطاع اقتصادي خفي وغير منظم وغير قانوني في آن معاً وعــالج الخسائر التي يتكبدها الاقتصاد الأمريكي والناتج القومي جراء هذه النشاطات غير الرســمية والتي لا تدخل في حسابات الدوائر الحكومية، ولا تحسب ضمن الناتج الإجمالي وتبرز فــي المجتمع الأمريكي نشاطات اقتصادية قد لا تظهر ضمن الناتج الإجمالي. وهنــاك نــشاطات اقتصادية قد لا تظهر بنفس الحدة والظهور في دول أخرى، (فالتهرب الضريبي) يعتبر مــن الأعمال أو النشاطات الاقتصادية غير القانونية التي يجني أصحابها الكثير من الأموال جراء ممارستها بشكل متكرر ومستمر فهذه النشاطات تكبد الخزينــة الأمريكيــة ســنوياً ملايــين الدولارات.

تأتي هذه الدراسة من الدراسات التي اتخذت الطابع المسحي القومي والتعدادي والتي ركزت بشكل كبير على مسح لهذه النشاطات وتعدادها لوضعها في إحصائية جاهزة يــستفاد منها ولم تركز كثيراً على تحليل معمق لهذه الظاهرة من شأنه أن يقدم حلول مقترحة وعمليه للمسؤولين الحكوميين فيما بعد.

أما دراسة (آرون جوهين) بعنوان: "الاقتصاد الخفي في النــرويج" (١٩٨٢م) فقــد عالجت هذا القطاع بمجمل نشاطاته غير الرسمية في مجتمع متقدم كــالنرويج وبينــت هــذه الدراسة أن هناك قطاع اقتصادي غير رسمي (خفي) يعمل إلى جانب القطــاع الاقتــصادي الرسمي في البلاد وقد تعددت هذه النشاطات الاقتصادية غير الرسمية لكنها حملت طابع هــذا البلد الاسكندنا في المتقدم فقد جاءت نشاطات اقتصادية غير رسمية متطورة مثــل:قرصــنة الكمبيوتر، انتهاك الملكية الفكرية، بالإضافة إلى نشاطات القتل الرحيم، والتهرب مــن دفــع الضرائب من أهم النشاطات الاقتصادية غير الرسمية في هذا البلد ثم تعرض الباحث لنشاطات

اقتصادية غير رسمية مثل: بيع الأعضاء، شبكات غسيل الأموال، الدعارة، الإتجار بالمخدرات وتهريبها عبر الحدود.

وفي هذه الدراسة أيضاً تطرق الباحث لأهمية هذا القطاع وحقيقته ومدى تأثيره على الاقتصاد الوطني النرويجي ورأى أن مجمل هذه النشاطات تؤثر بشكل سلبي على هذا الاقتصاد وبذلك فقد رأى هذا الباحث أن تعمد الحكومة الى مراقبة نشاطات هذا القطاع الكبير ومحاولة تنظيم النشاطات القانونية غير المنظمة لكي تخضع للرسوم والخدمات والتسجيل الرسمي ومحاربة تلك النشاطات غير القانونية كتجارة المخدرات والأسلحة، والدعارة، وعمليات التهريب بأنواعها وبالتالي تنظيم شامل لهذا القطاع الاقتصادي غير الرسمي الحيوي في البلاد.

يؤخذ على هذه الدراسة تعرضها لمشكلات ونشاطات اقتصادية غير رسمية خاصة بالدول المتقدمة كما أن هذه الدراسة لم تقدم لنا تحليلاً عميقاً للأثر المترتب على تأثير هذا القطاع على الاقتصاد الوطني، كما أن هذه الدراسة عالجت نشاطات خاصة جداً قد لا توجد إلا بمجموعة الدول الاسكندنافية، مثلا: القتل الرحيم".

دراسة (اليخاندرو بورتيس) بعنوان: "القطاع غير الرسمي في أورجواي،(١٩٨٦م).

في هذه الدراسة حاول الباحث التوصل للحجم الحقيقي للقطاع غير الرسمي في أورجواي، ورصد أهم النشاطات الاقتصادية داخل هذا القطاع الكبير، وتوصل إلى أن هناك وجود فعلي لهذا القطاع وأنه مؤثر بشكل كبير على اقتصاد الأورجواي تلك البلد الفقيرة التي تعاني من الفقر والبطالة وانتشار شبكات الفساد المالي، والإداري وحتى الأخلاقي.

وقد توصل الباحث في هذه الدراسة إلى أن مجمل النشاطات الاقتصادية التي يتكون منها القطاع الاقتصادي غير الرسمي في أورجواي هي من نوع النشاطات العائلية وغير

القانونية وغير المنظمة والتي تكبد خزينة الدولة الكثير من الخسائر وتستنزف الكثير من طاقاته الاقتصادية المختلفة.

وفي دراسته هذه تعرض الباحث للنشاطات الاقتصادية غير الرسمية الحدودية جراء قرب الأورجواي من حدود البرغواي والبيرو والأرجنتين بحيث نشأت بين حدود هذه الدول نشاطات اقتصادية غير قانونية هي نشاطات "التهريب" فالأسلحة والمخدرات والسلع المختلفة هي من أهم البضائع والسلع التي ينشط التجار في جلبها عبر الحدود البرية بين هذه الدول.

إلا أن هذه الدراسة لم تتعرض كثيراً للعلاقة بين نجاح هذه النشاطات وبين تدهور الاقتصاد الوطني في أورغواي ولم تشرح كذلك العلاقة بين نمو هذه النشاطات غير الرسمية وبالتالي مجمل هذا القطاع والأوضاع المادية وحالات الفقر والعازة التي يعيشها الأفراد في أورغواي.

دراسة (كلاوديوساردني) بعنوان: "القطاع غير الرسمي: تقدير الأثر في الاقتصاد الإيطالي، (١٩٩٠م).

وفيها عالجت الباحثة أهم النشاطات الاقتصادية غير الرسمية التي تشكل مجتمعه القطاع الاقتصادي غير الرسمي وقد تعرضت للكثير من هذه النشاطات الاقتصادية التي تنتشر في معظم المدن الإيطالية وتأخذ طابعاً بارزاً للعيان فالنشاطات غير القانونية كثيرة ومتعددة في إيطاليا وقد عالجت الباحثة بالتحليل الأثر المترتب على هذه النشاطات الاقتصادية غير الرسمية وتوصلت إلى أن هذه النشاطات الاقتصادية غير الرسمية تأثر بشكل مباشر وكبير على مجمل الاقتصاد الإيطالي والناتج الإجمالي القومي فالتهرب من دفع الضرائب والرسوم والجمارك واستغلال الأموال الحكومية في الأعمال الخاصة، وبناء شبكات غسيل الأموال، والتهريب، والمراهنات غير الرسمية وتجارة المخدرات والأسلحة وشبكات الدعارة كلها

نشاطات خارجة عن القانون أولاً، وغير ملتزمة بما يترتب عليها من رسوم وضرائب وجمارك وخدمات وبهذا فإن هذه النشاطات تكبد الحكومة الإيطالية الملايين من الليرات سنوياً.

يؤخذ على هذه الدراسة طابعها القومي والمسحي وعدم تعرضها لعصابات (المافيا) بالشكل الذي يبرز نشاطات هذه العصابات الدولية ونشاطاتها التي لا تخفي على أحد فتجارة الأسلحة، والمخدرات، والرقيق الأبيض، والرشاوي والابتزاز وعمليات التصفية الجسدية كلها من النشاطات التي تعمل بها هذه العصابات المنتشرة بكل أجزاء إيطاليا وتكبد الدولة الملايين من الليرات سنوياً، ولا تدخل حسابات هذه العصابات من ضمن الناتج القومي على الرغم من امتلاك هذه العصابات لآلاف الشركات والمصانع الضخمة في قطاعات خدمية كبيرة: كالنقل، والاتصالات، والصناعات الثقيلة، والتكنولوجيا والصناعات الحربية، مصانع البترول، ومناجم المعادن الثقيلة ومعظم مرافق الدولة الحيوية والجامعات ومراكز البحوث المختلفة وحتى الصحف وقنوات التلفزيون والإذاعة والمجلات.

في معظم الدراسات السابقة التي تم مناقشتها والتي أجريت على نفس منطقة البحث البادية الشمالية الشرقية والدراسات الأجنبية (أميركا، الأرجواي، النرويج، إيطاليا) لم تتطرق معظم هذه الدراسات، إذ لم يكن جميعها بشكل مباشر للعلاقة بين النشاط الاقتصادي غير الرسمي والحراك الاجتماعي واقتصرت هذه الدراسات على وصف وتعداد نشاطات القطاع الاقتصادي غير الرسمي الكلي متجنبة الخوض في نشاط اقتصادي مُعين تسلط عليه أدوات التحليل الموضوعي والخروج بنتائج ودلالات مباشرة.

ففي الدراسات المحلية تم التركيز على أعمال ونشاطات السكان الاقتصادية (التجارية) وأعمالهم المختلفة في منطقة البادية الشمالية الشرقية، ولم تتطرق أي دراسة منها لنشاطات

التهريب وأثرها في عملية الحراك الاجتماعي التي شهدته تلك المنطقة ولا تزال فقد اقتصرت دراسة علي الزغل ودراسة الخزاعلة وآلن رو، والعثمان، والبدور، وروجر أوكلي والتبيني، على شرح التغيرات والتبدلات الاجتماعية والاقتصادية التي تشهدها منطقة البادية الشمالية الشرقية وتغير نمط الإنتاج الرعوي إلى نمط إنتاجي مختلط وتوجه أبناء البادية للوظائف الحكومية، وترك أعمال الرعي لأسباب اقتصادية واجتماعية.

فقد ركز كل من الحنيطي،و مركز بحوث وتطوير البادية الأردنية، ودراسة الحماد، والسرور، وأبو حشيش، وحتر، على موضوعات التغير والاستقرار في البادية وتغير قيم العمل وتغير أنماط المهن، ولم تتعرض للنشاطات الاقتصادية غير الرسمية (التهريب)مثلاً.

أما الدراسات الأجنبية فقد كانت تعالج أوضاع خاصة ضمن البلد التي تجري به، على الرغم من خصوصية كل مجتمع من هذه المجتمعات واختلافه عن المجتمع العربي وبالتالي عن المجتمع الأردني، وأضيف أكثر إذا ما انتقلنا لمنطقة البادية الشمالية الشرقية –على الرغم من ذلك– فإنني أرى أن عملية المقاربات الاجتماعية–الاقتصادية تأتي من الأهمية بمكان إذا ما أردنا أن نضيء جميع جوانب الظاهرة المدروسة.

فقد أجرى (باردج كانداجيما) دراسة في أميركا تعرض من خلالها للنشاطات الاقتصادية غير الرسمية التي تشكل عبئاً ثقيلاً على الاقتصاد الأمريكي وأستعرض مجموعة من النشاطات غير القانونية (غير الرسمية) التي تنتشر في الولايات المتحدة الأمريكية مثل: تهريب المخدرات، وغسيل الأموال، وبيع الأعضاء البشرية، وقرصنة الكمبيوتر ... وغيرها إلا أنه لم يبحث العلاقة بيت هذه النشاطات وعملية الحراك الاجتماعي كما أنه لم يتطرق لأعمال التهريب عبر الحدود البرية بين أميركا والمكسيك والتي تشكل مشكلة من أكبر المشاكل التي تواجه أميركا.

وأجريت كذلك الباحثة (كلود يوساردني) دراسة على المجتمع الإيطالي تعرضت فيها لأهم النشاطات الاقتصادية غير الرسمية التي توجد في إيطاليا ودرست أثر هذه النشاطات على الاقتصاد الوطني الإيطالي وتوصلت إلى أن هذه النشاطات تؤثر سلباً على الاقتصاد الوطني.

أما (أليخاندرو بورتيس) فقد درس القطاع الاقتصادي غير الرسمي في أورغواي وعدد مجموعة هائلة من النشاطات التي تدخل تحت سياق هذا القطاع الكبير وتعرض لمجموعة من النشاطات ذات الميزات العائلية الشخصية صغيرة رأس المال لكنها مدرة للدخل وتدخل في سياق سد الحاجة والفقر وعمليات التشغيل للعمالة القادرة على العمل لكنه لم يتعرض لعمليات التهريب التي تحدث بين مجموعة البلاد المجاورة للأرغواي (بيرو الأرجنتين، باراغواي...) وأثر هذه النشاطات غير القانونية في إحداث عملية الحراك الاجتماعي، والمساعدة في تشغيل الكثير في الأيدي العاملة.

وتأتي دراسة (آرون جوهين) على النرويج من الدراسات الأجنبية لهذا القطاع ذلك لأن هذا المجتمع يعتبر من المجتمعات المتقدمة والمتحضرة بدرجة كبيرة حتى يخيل للكثير من الناس أن الأعمال غير الرسمية لا تجد لها مكان بمثل هذه البلدان لكن المفاجئة عندما نشاهد الزخم والتعدد لمثل هذه النشاطات الاقتصادية غير الرسمية فقد عالج الباحث مجموعتين من هذه النشاطات منها: الاعتداء على الملكية الفكرية، قرصنة الكمبيوتر نشاطات (القتل الرحيم) نشاطات الدعارة، نشاطات تجارة الرقيق الأبيض، وجميع هذه النشاطات الاقتصادية غير رسمية وغير قانونية وتنتشر بشكل كبير في المجتمع النرويجي وقد شدد الباحث على أهمية تنظيم هذا القطاع لأنه يكبد الخزينة سنوياً الملايين من الدولارات.

وفي هذه الدراسة لم يهمل الباحث بعض النشاطات غير الرسمية من التحليل المباشر وأثرها السلبي على الاقتصاد النرويجي لكنه لم يتعرض لأعمال التهريب التي قد تحدث وتشكل حركة تجارية نشطة تساهم في عملية الحراك الاجتماعي واكتفى ببعض هذه النشاطات التي ذكرت آنفاً.

وعلى الرغم من أهمية الدراسات السابقة ضمن الثلاثة أقسام التي ناقشناها (المحلية، العربية، الأجنبية) إلا أنها لم تبحث مباشرة أو بالشكل المخصص لموضوع هذه الدراسة التي نهم بانجازها فمهمة هذه الدراسة هي محاولة استجلاء العلاقة بين أحد النشاطات المهمة (الفرعية) في القطاع الاقتصادي غير الرسمي وهو التهريب وأثره في إحداث الحراك الاجتماعي.

ففي هذه الدراسة سوف نحاول التوصل إلى العلاقة المفترضة بين أحد النشاطات الاقتصادية غير الرسمية (غير القانونية) وإحداث عملية الحراك الاجتماعي في منطقة محدودة هي البادية الشمالية الشرقية في محافظة المفرق.

١-٧: تعريف النّشاط الاقتصادي غير الرّسمي (التهريب) قانونياً:

جاء في المادة (٤٨) من قانون الجمارك الأردني (النقل براً) لسنة ١٩٩٨ والمعدل لسنة ٢٠٠٠: ينبغي سوق البضائع المستوردة براً من الحدود إلى أقرب مركز جمركي، وعلى ناقليها أن يلزموا الطرق المعينة المؤدية مباشرة إلى هذا المركز ويحظر على ناقلي هذه البضائع أن يتجاوزوا بها المركز الجمركي دون ترخيص، أو أن يضعوها في منازل أو أمكنة أخرى قبل سوقها إلى هذا المركز.(الزعبي،٢٠٠٣ :٧٦١).

وفي المادة (٢٠٣) من نفس القانون (التهريب وعقوباته) جاء ما يلي:

التهريب هو إدخال البضائع إلى البلاد، أو إخراجها منها بصورة مخالفة للتشريعات المعمول بها دون أداء الرسوم الجمركية والرسوم والضرائب الأخرى كليا أو جزئيا أو خلافا لأحكام المنع والتقييد الواردة في هذا القانون....(الزعبي، ٢٠٠٣: ٧٨٨).

وتنص المادة (٢٠٤) من نفس القانون أيضا (التهريب وعقوباته) على ما يلي: يدخل في حكم التهريب بصورة خاصة ما يلي(الزعبي، ٢٠٠٣: ٧٨٨):

أ) عدم التوجه بالبضائع عند الإدخال إلى أول مركز جمركي.

ب) عدم اتباع الطرق المحددة في إدخال البضائع وإخراجها.

ج) تجاوز البضائع في الإدخال أو الإخراج عن المراكز الجمركيّة دون التصريح عنها.

د) اكتشاف بضائع غير مصرح عنها في المركز الجمركي موضوعه في مخازن بقصد إخفائها أو في فجوات أو فراغات لا تكون مخصصة عادة لاحتواء مثل هذه البضائع.

وبذلك يتضح لنا بأن المشرع الأردني قد بين بصراحة ما هو المقصود بالنشاط الاقتصادي غير الرسمي (التهريب) وخصته بقانون صريح ضمن مواد قانونية فرعيّة تعالج جميع جوانب هذه المشكلة سواء من حيث، تعريف هذا النشاط (التهريب)، وتحديد المواد المهربة، وعقوباتها والأحكام الجزائية والغرامات المادية الرادعة لكل من يحاول التهرب من

دفع الرسوم والمرور عن الإجراءات الرسميّة التي تنظم عملية التجارة، وإدخال البضائع عبر الحدود الأردنية.

والنشاط الاقتصادي غير الرّسمي (التهريب) هو محاولة لإدخال البضائع عبر الحدود، سواء أكانت هذه الحدود بريّة أو جوية-عبر مطارات-أو بحرية عبر الموانئ البحرية، وفي جميع هذه الحالات تكون هذه المحاولة بقصد التهرب من دفع الرّسوم والضرائب والغرامات-إن وجدت- التي حددها القانون وفق نصوص واضحة وصريحة، والهدف وراء ذلك بالطبع الحصول على المرابح المالية الكبيرة التي يوفّرها المهربون عن طريق التخلص من دفع هذه الرسوم والضرائب؛ لأن معظم السلع المجلوبة للبلاد تتميز بانخفاض أسعارها في تلك البلدان التي تُجلب منها، وغالبا ما تكون هذه السلع والبضائع غير خاضعة للضرائب والرسوم في تلك البلدان.

إلا أن هذه العمليّة (التهريب) تعتبر من جهة أخرى هدرا لأموال الخزينة، ومضيعة لكثير من الإيرادات المالية خاصة عندما تنجح مثل هذه العمليات ليتمّ التملص من دفع الرسوم والضرائب، ويتم إدخال البضائع إلى السوق المحليّة، حيث المستفيد الأول هو التاجر المهّرب والمتضرر من هذه العمليات هي الحكومة، والتجار الذين يُخضعون بضائعهم وسلعهم للرسوم الجمركيّة.

وبهذا فإن عمليات التهريب بشتى أشكالها ومداخلها، سواء أكانت بريّة أو جويّة أو بحريّة تعدّ من العمليات التي تدخل ضمن عملية الهدر الاقتصادي لمقدرات الدّولة، ونوع من أنواع الفساد التجاري الذي يتعدى ضرره إلى الأفراد والجماعات وخاصة إذا ما علمنا بأن هناك سلعاً مهربة تدخل ضمن الممنوعات، والتي حدد لها القانون الأردني قوانين ومواد قانونية خاصة تنظم دخولها وأحياناً تمنعها منعاً باتاً مثل: المخدرات والمؤثرات العقلية

والحبوب المخدرة، وكذلك الأسلحة والذخائر المختلفة، فكل من هاتين السلعتين تعتبران من السلع الخطرة جداً، سواء على الدولة وأمنها القومي والاجتماعي، أو على الأفراد والجماعات بنفس الوقت، فقد نبه المشرع الأردني إلى خطورة عمليات التهريب، وخاصة المخدرات والمؤثرات العقليَّة والأسلحة والذخائر وخصّها للاستخدام الحكومي ضمن اتفاقيات منصوص عليها بين الأردن والدول الأخرى، وتم إصدار ذلك بقانون: المخدرات والمؤثرات العقلية وقانون الأسلحة والذخائر.

١-٨: النشاط الاقتصادي غير الرّسمي (التهريب) في مجتمع الدراسة:

تقع منطقة الدراسة في الجزء الشرقي لمحافظة المفرق، وتعرف هذه المنطقة بلواء البادية الشرقية، وهي منطقة حدودية، صحراوية تحدها ثلاث دول هي: سوريا من الشمال الشرقي، العراق من الشرق، المملكة العربية السعودية من الجنوب الشرقي، وكغيرها من المناطق الحدودية ينتشر فيها ما يعرف (بالتجارة الحدودية) وغالباً تأخذ هذه شكلاً غير رسمي، فتصبح هذه النشاطات نشاطات اقتصادية غير رسميَّة، أي غير خاضعة للرسوم الجمركيّة وغير ملتزمة بالشروط والتعليمات القانونية الحكوميَّة.

ونتيجة لخصوصيَّة المنطقة الحدودية والمناخية والجغرافية، ولإنشار الفقر والبطالة جَراء سنوات انحباس الأمطار، وقلة فرص العمل، والتحولات الاقتصادية في هذه المنطقة فقد اشتغل قسم كبير من سكان هذه المنطقة بالتهريب عبر هذه الحدود البرّية، وفي كثير من الأحيان كانت تشكل هذه النشاطات العمل والمهنة الوحيدة التي يتكسب منها هؤلاء ويعدونها مصدراً للرزق، وقد استفاد الكثير من هؤلاء من هذه التجارة،وشكلت لهم مصدراً جيداً للدخل، وكانت هذه النشاطات سبباً في ثراء بعض هؤلاء التّجار خلال فترة من الفترات، إلا أن البعض لم يستفد من هذه النشاطات فكثيرا ما خسر بعض التّجار كل ما يملكون بسبب هذه النشاطات، وأحياناً كانت هذه النشاطات تسبب للبعض السجن لفترات طويلة أو الإصابات البالغة، حتى الوفاة.

وقد عرفت هذه المنطقة تهريب الكثير من السلع التجارية التي نشط بها بعض التجار (المهربين) مثل: المخدرات بأنواعها، الأغنام، الأسلحة والذخائر، الدّخان، والمحروقات. حيث كانت هذه السلع الخمس من أهم السلع التي يعمل بها التجار (المهربين)، وكانت لكل سلعة من هذه السلع المكان الحدوديّ التي يشتهر بها، فمثلاً: كانت الأغنام تهرب من الحدود العراقية، وكذلك المحروقات والدّخان، بينما اشتهرت منطقة الحدود السورية بتهريب المخدرات والأسلحة.

أولاً: المخدرات:

وهي من السلع الثمينة التي اشتغل بها الكثير من المهربين في منطقة البادية الشمالية، وقد كانت تهرب بشكلٍ كبير عن طريق الحدود السوريَّة، وهذه المادة تعدّ من أغلى أنواع السلع المهربة، ولها عدة أشكال مثل: الحشيش، الكوكائين، الهيروين، بالإضافة إلى الحبوب المخدّرة، كما أن تهريب هذه السلعة يتميز بالغزارة والتدفق لسهولة حركة المهربين، ولطول هذه الحدود الصحراوية، ولمعرفة الكثير من المهربين الثغرات والطرق التي يخترقون عن طريقها هذه الحدود.

وقد كان المهربون يستخدمون في كثير من الأحيان الحيوانات والدّواب في نقل هذه السلعة، أو عن طريق حملها والسير بها على الأقدام ليلاً، أو في أوقات الصباح الأولى، فقد كانت "الجمال" و"البغال" و"الحمير" من أهم الدّواب التي يستخدمها هؤلاء المهربون "بحيث تحمل الكمية جراء إدخالها للأردن بإحدى هذه الدّواب، وتقاد إلى منطقة الحدود ثم تترك لتعبر الحدود حيث يكون أحد المهربين بانتظارها، ويتم تسليمها واستلام البضاعة المحملة.

وأحيانا كان بعض المهربين يستخدمون سيارات النقل الصغيرة المعروفة (بالبك- أب) pick-up، وذلك لسرعة هذه السَّيارة وقدرتها على المسير في الطرقات الوعرة، والطرق الترابيَّة.

أما نقل البضاعة مشياً على الأقدام فيتطلب:-(الاخباري رقم :٣ ، ث.ع.م.ع).

أولاً: القدرة على المغامرة والمجازفة لإمكانية التعرض لإطلاق النار من قبل حرس الحدود،

ثانياً: المعرفة الجيدة بالطرق والثغرات الحدودية.

ثالثاً: تحمل التعب والمشقة فمنطقة الحدود طويلة وهي عبارة عن أراضٍ وعرة يصعب المسير عليها.

والمخدرات من السلع الخطرة على المجتمعات لما لها من تأثير على حياة الكثير من المتعاطين، إلا أن ما تدرّهُ هذه السلعة من مرابح كبيرة على كثير من التجار هو ما يغري ويشجع هؤلاء على الاتجار بها وتهريبها.

ثانياً: (الأغنام):

وتأتي في المرتبة الثانية من حيث مكاسبها الكبيرة إلا أنها تتميز بسهولة النقل والترحيل عبر الحدود، وقد تميزت الحدود العراقية بسهولة نقل الأغنام، عبر وجود (الثغرات) التي كان التجار يعرفونها حق المعرفة، ونظراً لانشغال حرس الحدود العراقيين ببعض المشاكل السياسيَّة، وظروف الحروب التي مرّت بالعراق، كان التجار أكثر نشاطاً، وأكثر دأباً وحركة عبر هذه الثغرات، وكانت وسيلة النقل ذاتية، وليس هناك حاجة إلى توفير آليات نقل

خاصة، ذلك أن قطعان الأغنام كانت تُساق وتجلب بشكل قطعان يتم ترحيلها عبر الثغرات الخاصة، وأحياناً كثير كان يصحب هذه (الشلايا)* راعٍ أو راعيين حسب كمية وعدد الأغنام (الاخباري رقم:٩،خ.ع.ن).

ثالثاً: الأسلحة ومعداتها:

تتميز هذه السلع **أولاً:** بصعوبة نقلها كونها تشكل سلع خطرة وحسّاسة، **ثانياً:** كونها تتسم بصعوبة تصريفها تجارياً، **ثالثاً:** كون أسعارها متذبذبة، وغير ثابتة، حيث تخضع لطلب المجتمع المحلي لها (الاخباري رقم :٥ ،ع.هـ .ع.ش).

رابعاً: الدُّخان:

يعتبر من النشاطات الاقتصادية التي أستدلّ عليها السّكان في وقت متأخر مقارنة مع تجارة الأغنام والمخدرات والأسلحة، وتتميز هذه السلعة **أولاً:** بأن مكاسبها غير مضمونة فيما قد يلحق بها من أذى وخراب أثناء النقل والتخزين، **وثانياً:** أن أسعارها غير ثابتة في السوق المحلية، **ثالثاً:** في أن هناك صعوبة في نقلها حيث لا يصلح لنقل هذه السلعة إلا الشاحنة الكبيرة التي تسمى (الحصنيَّة)* والتي تتميز بها وسائط النقل في البادية الشمالية الشرقية، أو سيارات الشحن المتوسطة (GMC)، وهاتان الوسيلتان للنقل تتميزان في أن الأولى كبيرة الحجم يسهل مشاهدتها عن بعد، كما أنها بطيئة الحركة، وهذا ما قد يعيق عملية نجاح المهمة، في حين تتميز الثانية في أنها تشكل خطورة على حياة السائق (المهرب) لسرعتها الفائقة وبالتالي إمكانية تدهورها، وفي أنها تستهلك كميات كبيرة من الوقود (الاخباري رقم :٧ ر. ن .غ.ل).

(*) الشلايا: جمع شلية، وهي قطيع من الأغنام يقدر بحوالي (٢٠٠) رأس وأحياناً يصل ل(٥٠٠) رأس وذلك حسب حجم القطيع.

(*) الحصنيّة: وهي سيارة شاحنة كبيرة الحجم يستخدمها البدو (سكان المنطقة) لنقل الأطعمة والماء والحلال عند الرحيل.

خامساً: المحروقات

وهي من السلع الحديثة التي عمل بها سكان البادية الشرقية، وقد عرفها سكان المنطقة بعيد حرب الخليج الأولى بشكل أكبر وأصبح تهريبها من النشاطات التجارية المزدهرة في تلك المنطقة، حيث عمل الكثير من التجار بتهريب أنواعها: البنزين والديزل، ونظراً لرخص هذه المواد في القطر العراقي، فقد أصبح سائقو الشاحنات يعدون مخابئ وخزانات سرية معدة خصيصاً لنقل هذه المحروقات، وتهريبها للأردن، وبيعها بالأسعار المرتفعة (الاخباري رقم: ٨،م.م.س.م)

وتدخل هذه السلعة بشكلها غير الرّسمي عن طريق الحدود العراقية فقط، وتتميز بأنها سهلة التهريب نسبياً، وهي من السلع المربحة، كما أن القبض على المهرب في كثير من الأحيان لا يكلفه إلا التخلص من كميات المحروقات المهربة وبالتالي خسرانها. وأكثر المستفيدين من تهريب هذه السلعة هم أصحاب صهاريج نقل مشتقات البترول، وأصحاب سيارات السفريات ذات الأحجام الكبيرة (GMC) (الاخباري رقم: ١٠،ج.ع.خ)

وقد انتشرت تجارة هذه السلعة بشكل كبير في منطقة البادية الشرقية نظراً لسهولة العمل بها، فهي من جهة لا تحتاج إلى مهارات خاصة لتهريبها أو عرضها وبيعها، ومن جهة أخرى يلاقي البنزين والديزل العراقي إقبالا شديدا من قبل السائقين في تلك المناطق نظرا لبيعه بأسعار تقل عن الأسعار المحلية بنسبة جيدة (الاخباري رقم: ١٢م.ج.غ)

والزائر لمنطقة البادية الشرقية يلاحظ مدى انتشار ورواج تجارة هذه السلعة، فعلى جانبي الطريق العام (طريق بغداد) نلاحظ انتشار خيام وأكشاك بيع هذه المحروقات المهربة، ونلاحظ وجود عدد لا بأس به من سكان المنطقة يقيمون هذه (الخرابيش والأكشاك، حيث

يضعون البراميل والجالونات المعبأة بالمحروقات إلى جانب وجود (محركات) الشفط الخاصة بتعبئة خزانات السيارات، وأصحاب المزارع التي تشغل (محركاتها) على هذه المحروقات.

من الملاحظ أن هذه النشاطات الاقتصادية غير الرسمية كانت شكلت العمل الرئيسي لقطاع كبير من أبناء البادية الشمالية الشرقية بشكل عام (خلال فترة من الزمن) ، وبشكل خاص لسكان منطقة الرويشد، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن نوعية السلع المتاجر بها كانت تختلف من منطقة حدودية عن الأخرى، فمثلاً السلع (المهربة) عبر الحدود العراقية، والتي كان ينشط بها الكثير من سكان الرويشد بقراها المختلفة، نلاحظ أنها تركز على تهريب سلعة معينة أكثر من غيرها، فقد كانت الأغنام والمحروقات هي السلعة الرئيسية، ثم يأتي بعد ذلك المخدرات فالأسلحة (بمعداتها مثل العتاد) فالدّخان. بينما نتعرف على سلعة رئيسية اشتهرت بها المناطق الواقعة بمتاخمة الحدود السورية، فهناك تبرز سلعة "المخدرات" كسلعة تتصدر لائحة السلع المهربة، فالأسلحة فالأغنام ومن ثم الدخان، ويتبع ذلك أن تتميز وسيلة النقل الرئيسية في تهريب هذه السلع، فبينما تبرز السيارات ذات الأحجام الصغيرة والمتوسطة ال(pick-up) ذات القمرة الواحدة، وال(GMC) في نشاطات المهربين عبر الحدود العراقية، تتصدر الدُّواب مثل: (الحمير، والبغال، والجمال) أهم آليات النقل (عبر الحدود-السورية) ويرجع ذلك إلى نوعية السلع المنقولة وكميتها، وطرق لتحميلها وأوزانها، حيث تنقل هذه الدّواب- بل تتميز بنقل مادة المخدرات) وخاصة الحشيش الذي يتطلب نقله وضعه (بأخراج) (*) خاصة، والأسلحة والذخيرة (الاخباري رقم : ١١، ع. م.س.ش).

(*) جمع خرج، وهو ما يوضع على ظهر الدابة، أكان من الجمال أو الخيول أو الحمير وغالبا مايصنع من الصوف أو الشعر أو الخيش.

١-٩: المفاهيم الإجرائية:

١- النشاط الاقتصادي غير الرسمي (التهريب):

أعني بالنشاط الاقتصادي غير الرسمي (التهريب) في هذه الدراسة تمكن بعض الأشخاص من إدخال السلع المختلفة والتي حددت بالسلع التالية: (المخدرات، الأسلحة ومعداتها، الأغنام، الدخان، المحروقات)، بطريقة غير خاضعة للرسوم الجمركية والخدمات المختلفة التي حددتها الدولة والضرائب المترتبة على هذه السلع ويكون ذلك عن طريق حملها أو إخفائها في أماكن مخفية عبر الثغرات والفجوات أو الشقوق المختلفة وإدخالها إلى البلاد براً.

٢- الحراك الاجتماعي:

أعني بالحراك الاجتماعي في هذه الدراسة تغير أوضاع الأفراد والجماعات صعوداً وهبوطاً في حياتهم الاجتماعية والاقتصادية وانتقالهم من أوضاع اجتماعية- اقتصادية وأماكن متأخرة إلى أوضاع اجتماعية واقتصادية متقدمة أو العكس.

١-١٠ صعوبات الدراسة ومحدداتها

١. صعوبات الدراسة:

نظرا للحساسية التي يتميز بها موضوع هذه الدراسة فقد واجه الباحث مجموعة من الصعوبات ،فسواء على المستوى الفردي (الأفراد العاملين بالنشاطات الاقتصادية غير الرسمية (التهريب) أو على المستوى الرسمي كانت هناك تحفظات كثيرة للإدلاء بالمعلومات حول طبيعة هذه النشاطات من حيث هي مخالفة للقوانين والأنظمة من جهة ، وفي أنها معلومات (أمنيَّة) سّرية وشخصية لا يمكن الإطلاع عليها من جهة أخرى .

أولا: الصعوبة بالحصول على المعلومات من الجهات الرسمية المختصة بضبط واحصاء أعمال النشاطات الاقتصادية غير الرسمية (التهريب) ،فقد رفضت بعض هذه الدوائر الرسمية أي تعاون بهذا الشأن .معتبرة هذا الموضوع من الموضوعات الأمنية والسرية التي لا يمكن الاطلاع عليها إطلاقاً.

ثانيا: الصعوبة بالوصول لهؤلاء العاملين بالنشاطات الاقتصادية غير الرسمية (التهريب)

فالكثير من هؤلاء لا يقيم بمكان محدد، فهو أما مسافر، أو أنه بعيد عن المنطقة ، أو أنه يتهرب من المقابلة .

ثالثا: الصعوبة في إقناع الكثير من العاملين للإدلاء ببعض المعلومات حول هذه النشاطات الاقتصادية غير الرسمية ، على اعتبار أن هذه النشاطات ممنوعة وتشكل خطرا على العاملين بها بالإضافة إلى عدم الثقة عند هؤلاء المهربين .

رابعا: الصعوبة في الحصول على بعض المعلومات الدقيقة والصحيحة حتى بعد الموافقة بالإدلاء بها من قبل العاملين بهذه النشاطات ، فقد كانت هناك الكثير من المعلومات غير الصحيحة والمضللة في كثير من الأحيان، مما أضطر الباحث لمقابلة الكثير من هؤلاء والاستعانة بالكثير من الإخباريين وقد عمل الباحث على التعرف على هؤلاء الإخباريين الذين كان لهم إطلاع كبير على عمل هؤلاء المهربين، وكانت في كثير من الأحيان تجمعهم علاقات خاصة وهذا ما ساعد في تخطي بعض الصعوبات في الحصول على المعلومات.

ب.محددات الدراسة :

كانت هناك مجموعة من المجالات حددت هذه الدراسة بشكلها الحالي:.

أ. فقد أجريت هذه الدراسة في منطقة معينه هي منطقة البادية الشمالية الـشرقية ،تلـك المنطقة التي تظم لواء ين وخمسة أقضية ، وتقع إلى الشرق من محافظـة المفـرق ،وتتميز بأنها من المناطق الصحراوية الجافة أو شبه الجافة .

ب. اجتماعيا حددت هذه الدراسة بأنها أجريت على عينة ممثلة من المجتمع الكلـي فـي منطقة البادية الشمالية الشرقية التي تتميز ببناءها القبلي العشائري .

ج.زمانيا حددت هذه الدراسة بفترة زمنية امتدت من شهر(٢/٢٠٠٥_١١/٢٠٠٦).

الفصل الثاني

إجراءات الدراسة الميدانية

٢-١: مجتمع الدراسة.

٢-٢: عينة الدراسة.

٢-٣: منهجية الدراسة وطرق جمع المعلومات.

٢-٤: أداة الدراسة.

٢-٥: الصدق والثبات.

٢-٦: إجراءات تطبيق الأداء.

٢-٧: متغيرات الدراسة.

٢-٨: المعالجة الإحصائية للدراسة.

٢-١: مجتمع الدراسة

بلغ عدد سكان البادية الشمالية الشرقية (٥٧٢٨٤)نسمة وذلك في عام ٢٠٠٤(دائـرة الإحصاءات العامة، التعداد العام للسكان والمساكن ،٢٠٠٤). ويقسم هذا المجتمع إداريا إلـى :لواءين هما: لواء البادية (القصبة) ويضم خمسة أقضيه هي : قضاء الـصالحية ، قـضاء أم الجمال ،قضاء صبحا وصبحيه ، قضاء أم القطين ،وقضاء دير الكهف .أما اللواء الثاني فهو لواء الرّويشد الذي يضم بدوره مجموعة من التجمعات السكانية والقرى.

أما التجمعات السكانية فقد بلغت (٧٤) تجمعاً سكانياً، وقد تم اختيـار (٩) تجمعـات سكانية من بين هذه التجمعات تمثل مناطق مختلفة من حيث موقعها وعدد سكانها ،منها ما يقع على طول الطريق الدولي (خط بغداد) ،ومنها ما يقع في المنطقة المتوسطة .والأخرى تقع في أقصى الشرق على الحدود العراقية.

٢-٢: عينة الدراسة

تكونت عينة الدراسة من (٤٠٠) فرد من سكان البادية الشمالية الشرقية تم اختيارهم بالطريقة الصدفية.

٢-٣:منهجية الدراسة وطرق جمع المعلومات:

تفرض طبيعة هذه الدراسة منهج معين هو المنهج السوسيو- أنثروبولـوجي والـذي يعتمد في جزء منه على الدراسة الحقلية الميدانية والذي يتصور أن المجتمع عبارة عن نسق اجتماعي كبير مؤلف من أجزاء حيث يؤدي كل جزء منه وظيفة معينة كما كان هذا المـنهج يعتمد على الاستعانة بالأساليب الإحصائية في جمع البيانات والمعلومات وتحليلهـا بـصورة أرقام وجداول وقد كانت أهم مصادر جمع المعلومات من خلال:

- محاولة جمع وقراءة كل ما أمكن من الأبحاث والدراسات التي أجريت على منطقة البادية الشمالية الشرقية (مجتمع الدراسة) والاعتماد على بعض الصور الفوتوغرافية والخرائط في مجتمع الدراسة.
- الاستعانة ببعض الأخباريين من كبار السن في مجتمع الدراسة والذين لهم دراية ومعرفة بالمجتمع والمشكلة المدروسة.
- الملاحظة بالمشاركة، والتي تعتمد على تسجيل وقائع السلوك، وهي طريقة ذات أهمية مباشرة في فهم السلوك كون الباحث يعيش في نفس المنطقة وله احتكاك مباشر مع الكثير من السكان وكذلك طبيعة عمله جعلت منه ملاحظاً مشاركاً في الكثير من الحالات .
- بناء الاستبانة البحثية (استمارة بحث) توزع على المجتمع المدروس وبحيث يتم جمع معلومات دقيقة ومقننة.
- دراسة الحالة: حيث تم اختيار (١٠) حالات ممن سبق لهم وعملوا بالنشاطات الاقتصادية غير الرسمية وتم إجراء مقابلات معمقة معهم حول أسباب عملهم بهذه النشاطات وأهم التغيرات التي حصلت لهم وأهم الأحداث في حياتهم جراء هذه النشاطات.
- السجلات الرسمية التي تؤخذ من الدوائر الحكومية المختصة مثل: دائرة مكافحة المخدرات وقيادة البادية الملكية ، ودائرة الجمارك العامة، والنشرات والإحصاءات من دوائر مثل مديرية زراعة البادية الشمالية، ومتصرفية البادية الشمالية، ومديرية التنمية الاجتماعية في المنطقة.

٢-٤: أداة الدراسة

تم الاعتماد في جمع بيانات هذه الدراسة على الاستبانه التي قام الباحث ببنائها معتمدا بشكل أساسي على الأدب النظري السابق الذي تم الاطلاع عليه حول موضوع الدراسة ،وعلى آراء بعض المختصين في هذه الدراسات حيث تم توزيع هذه الاستمارات بشكل عشوائي صدفي على مجتمع الدراسة لأخذ آرائهم حول هذه الظاهرة وكان عددها (٤٠٠) استمارة بحثية .

وتكونت من ثلاث فقرات:

-**الفقرة الأولى** :حول موضوع المهربات وطرق تهريبها ،واشتملت على سبع أسئلة .

-**الفقرة الثانية** :حول موضوع أسباب التوجه للعمل بالتهريب .واشتملت على ١٤سؤال .

- **الفقرة الثالثة**:حول موضوع آثار التهريب على المهربين ،واشتملت على (٢١) سؤال.

بالإضافة للمعلومات الأساسية عن المبحوث (المعلومات الشخصية) والتي اشتملت على: الجنس، والعمر، ومكان الولادة، والحالة الاجتماعية، والمستوى التعليمي، والمهنة .

وقد حصل الباحث في خلال هذه الاستمارة على البيانات المتعلقة بالخصائص الديمغرافية والاقتصادية والاجتماعية في مجتمع الدراسة والإجابة على تساؤلات الدراسة.

٢-٥: الصدق والثبات

أ. صدق الأداة:

تم عرض أداة الدراسة على بعض المختصين في قسمي علم الاجتماع والأنثربولوجيا في جامعة اليرموك وذلك لتحكيمها،وبعد الإطلاع عليها تم إبداء بعض الملاحظات من حيث تعديل بعض الأسئلة،وتغيير بعض مواقعها، وشطب بعض الفقرات والأسئلة، وإضافة بعض الأسئلة .

ب.ثبات الأداة:

لضبط ثبات أداة الدراسة فقد تم توزيع (٥٠) استمارة بحثية على أفراد من نفس مجتمع الدراسة لكن من غير المشمولين بالعينة ، وبعد الاطلاع على الإجابات تم تغيير بعض الأسئلة وتغيير بعض مواقعها وشطب بعضها وإعادة ترتيب بعضها الآخر بحيث تتناسب وعينة الدراسة.

٢-٦: إجراءات تطبيق الأداة

تم في هذه الخطوة مقابلة أفراد عينة الدراسة في منطقة البادية الشمالية الشرقية ،كما تم تفريغ إجاباتهم مباشرة على استمارة البحث ،وقد شارك الباحث في هذه العملية أربعة من الباحثين الذين سبق لهم العمل بتفريغ الإجابات على الاستمارات وإجراء المقابلات، بالإضافة إلى التدريب المسبق على هذه الاستمارة وتوضيح أهداف هذه الدراسة وأسئلتها.

٢-٧: متغيرات الدراسة

اشتملت هذه الدراسة على اثنين من المتغيرات :

أولا: المتغير المستقل: النشاط الاقتصادي غير الرسمي (التهريب)

ثانيا: المتغير التابع: الحراك الاجتماعي.

٢-٨: المعالجة الإحصائية للدراسة

بعد أن جمعت البيانات من عينة الدراسة تم تفريغها وتحليلها إحصائياً باستخدام برنامج spss. حيث الاعتماد على الإحصاء الوصفي ممثلا بالنسب المئوية والتكرارات لكل سؤال من أسئلة الدراسة .

بالإضافة إلى الاعتماد على بناء الإستبانة البحثية وتحليلها إحصائياً للوصول إلى النتائج والإجابة على تساؤلات الدراسة فقد قام الباحث باستخدام منهج دراسة الحالة ،حيث تم

اختيار (١٠) حالات ممن مارسوا عمليات التهريب بشكل فعلي وتم التعرف عليهم عن طريق الدوائر الرسمية بالإضافة للمعرفة التي تحصلت للباحث خلال فترة عمله بالمنطقة وإقامته فيها. ولمحاولة تعزيز الإجابة على التساؤلات وتحقيق أهداف الدراسة .فقد تم مقابلة كل واحد من هؤلاء العشرة بطريقة المقابلة الشخصية المعمقة للتعرف على التغيرات والحراك الاجتماعي الذي تحصل لهم، ومدى تأثير هذه الحراكات الاجتماعية والتبدلات سواء على المستوى الشخصي لهؤلاء الأفراد أو على المستوى العام (مجتمع الدراسة)، وللإجابة على تساؤلات الدراسة الرئيسية والفرعية.

الفصل الثالث

مجتمع الدراسة

٣-١: الخلفية التاريخية لمجتمع الدراسة.

٣-٢: الخصائص الطبيعية لمجتمع الدراسة.

٣-٣: التنظيم الاجتماعي والقرابي في البادية الشرقية.

٣-٤: التقسيم الإداري والتجمعات السكانية لمجتمع الدراسة.

٣-١. الخلفيّة التاريخية لمجتمع الدراسة:

تعتبر منطقة البادية الشمالية الشرقية من المناطق القديمة تاريخياً، وتدل معظم الدراسات الأثارية التي أجريت في المنطقة على أنها سكنت لفترات طويلة من الزمن، وهذا ما تؤكده النقوش والآثار الماثلة للآن في تلك المنطقة، وقد أستدل على ذلك من خلال بقايا الشواهد المادية المتنوعة. كآثار جاوا، والتي يعود تاريخها للعصور البرونزية المبكرة، وقد بنيت في الألف الرابع قبل الميلاد على تل يشرف على وادي راجل في أعماق الحرة البازلتية، وتشتهر هذه المنطقة بنظام الحصاد المائي فيها والذي يعد من أقدم الأنظمة المعروفة في العالم، وبوجود أقدم سد لجمع المياه في العالم، وآثار أم الجمال والتي تم بناؤها في عصر الأنباط في نهاية القرن الأول قبل الميلاد. (حرا حشة، ٢٠٠٠: ٢١).

وهناك أيضاً في هذه المنطقة آثار أم القطين والكوم الأحمر وصبحا وصبحيَّة، وبعض القصور الصحراوية مثل: قصر برقع الصحراوي، وتشير المصادر التاريخية إلى أن جذور الاستيطان في هذه المناطق يرجع إلى العصر الحجري الحديث (مكتب آثار المفرق، ٢٠٠٥).

وفي الفترات الإسلامية بقيت هذه المنطقة مأهولة بالسكان واتخذها الكثير من الخلفاء الأمويين مكاناً خاصاً لهم بنو فيه القصور الصحراوية للاستمتاع بحياة الصحراء وإقامة رحلات الصيد والاستجمام، كما تزخر هذه المنطقة بالكثير من المواقع الأثرية التي شيدت منذ آلاف السنين فهناك آثار عمرة وعميرة، ورسم الحصان، والدفيانة وغيرها، وقد عاصرت هذه المناطق معظم الحقب التاريخية القديمة وشهدت استيطان الكثير من الأمم، حيث لا تزال الآثار والنقوش وبرك جمع المياه شاهدة على هذه الحقب التاريخية والاستيطانات البشريّة.

وتشير الظواهر الأركيولوجية والجيولوجيّة إلى أن البادية كانت في زمن من الأزمان خصبة التربة، غزيرة الأمطار، حتى أنها كانت تعيل عدداً كبيراً من البداة المستقرين في أزمنة ما قبل التاريخ، ويعد تاريخ البدو من فيهم بدو منطقة الدراسة هو تاريخ العرب الحضر نفسه في الجاهلية والإسلام، إذ أنهم من أرومة العنصر العربي، الذين شرعوا يهجرون البادية تباعاً، ويبلغون الهلال الخصيب، أي أطراف العراق والشام ومصر طلباً للكلأ والماء (حرا حشة، ٢٠٠٠: ٢٣).

وبذلك تبين لنا بأن تاريخ القبائل في منطقة البادية الشمالية الشرقية (منطقة الدراسة) يعود إلى تاريخ القبائل العربية نفسها التي نزحت من الجزيرة العربيَّة، حيث كانت هذه الهجرات تأتي بشكل موجات متتالية أو متباعدة حسب الحاجة للكلأ والماء، إلا أننا لا نستطيع التأكيد على تحديد فترة معينة لاستيطانها في هذه المنطقة، علماً بأن هذه القبائل لم تستقر كلها في منطقة معينة واحدة، بل كان مجالها كامل البادية السورية، والعراق وبلاد الحجاز.

وقد تميزت العلاقات بين هذه القبائل بالصراع والنزاع ولم تكن علاقات مبنية على الود والاحترام المتبادل، بل كانت علاقات تنافسية صراعية للسيطرة على البادية والاستئثار بمناطق الرعي الشاسعة وقد كانت آلية الصراع تقوم على مبدأ التحالفات العشائريَّة، والعشائر الكبيرة والقوية تسيطر على العشائر الصغيرة قليلة العدد، إذا قامت بحمايتها فإنها تأخذ منها (خاوة) جراء هذه الحماية، وهناك أمثلة على هذه التحالفات والصراعات، فقد كان الصراع على أشدهُ بين عشائر بني صخر وعشائر السردية، والصراع بين عشائر عنزة وعشائر السرحان وبني صخر، والتحالف بين عشائر السرحان والسردية وبني صخر والفحيليَّة والذي عرف (بحلف الشمال) للتصدي لعشائر عنزة القادمة من شبه الجزيرة العربية، إضافة إلى العداء بين عشائر أهل الجبل (المساعيد، الشرفات، العظامات، والزبيد)، وعشائر الرّولة وبني

صخر والعيسى والسرحان فضلاً عن التحالفات التي كانت تتم بين عشائر أهل الجبل أنفسهم (حرا حشة، ٢٠٠٠: ٣٢).

يمثل الصراع بين القبائل في منطقة الدراسة استمراراً للصراع مع الطبيعة أصلاً وكل ذلك في سبيل البقاء، فالصراعات هي التي تعزز الأقوى وهي التي تحدد من يسيطر ويفرض نفوذه للسيطرة على مستلزمات الحياة القبليّة من كلأ وماء ومراعي للماشية.

بقيت هذه المنطقة تمور بالصراعات إلى وقت ليس بالبعيد، وظلت بعض القبائل البدوية الكبيرة تفرض نفسها وتسيطر على القبائل الصغيرة وبعض القرى والتجمعات السكانية، وحتى علاقاتهم مع الدولة لم تكن علاقات ودية بل كانت هذه العلاقات سيئة للغاية ولم تستطع الدولة التركية من بسط نفوذها وسيطرتها على كثير من هذه القبائل فبقيت بعيدة عن حكم الباب العالي لفترات طويلة، حتى أن هذه الدّولة اضطرت للتعاون مع شيوخ القبائل لحماية الحجاج من اعتداءات العشائر فقد كانت هذه العشائر تحصل على مبالغ مالية أشبه ما تكون بخاوات في مقابل حماية الحجيج، وعدم تعرضه للغزو والنهب من قبل أبناء العشائر.

يذكر (الخزاعلة، ٢٠٠٥: ٧٦) أن المنطقة شهدت صراعاً بدوياً مستمراً طوال القرنيين الثامن عشر والتاسع عشر كون المنطقة كانت تشكل طريقاً للحج الشامي وعبر أراضيها تتم التجارة بين الجزيرة العربية والشام، وكانت القبيلة الأقوى هي التي تقوم بحماية هذه الطرق والقيام ببعض الخدمات مقابل إتاوات سنوية من الدولة العثمانية. كما كانت القبائل القوية تفرض إتاوات على هذه القوافل لقاء مرورها في مناطق نفوذها، وإلى الانتفاع من تأجير دوابها كوسائل نقل لهذه القوافل، ولهذه الأسباب كان الصراع للسيطرة على هذه المنطقة يأخذ طابع الحرب، فالمنطقة لم تنعم بالاستقرار؛ بل شهدت غزوات بدوية متكررة بسبب عدم كفاية موارد البادية لسكانها، وتمثل الصراع الاجتماعي في البادية في هيمنة قبيلة معينة على

منطقة لفترة معينة، ثم تفقد هذه القبيلة الهيمنة نتيجة للغزوات البدوية المتكررة للجماعات البدوية الوافدة من مناطق الحجاز والعراق وسوريا.ونتيجة لغارات البدو الرحل المستمرة على مناطق البادية البعيدة عن مراكز الاستقرار والتحضر، شهدت المنطقة سيطرة أو استقرارا مؤقتاً لبعض القبائل القوية على بعض مناطق البادية، وذلك للاستفادة من هذه السيطرة (الاستقرار) المؤقتة في تقديم خدمات أو فرض إتاوات على الحجاج أو التجار المارين عبر هذه المنطقة، إن القبائل التي تصارعت للسيطرة على المنطقة أستقر بعضها بشكل دائم على الطرف الغربي الشمالي للبادية الأردنية كعشائر السردية والسرحان والعيسى وبعضها أستقر خارج البادية الشمالية الأردنية كعشائر العمرو وعنزة (خزاعلة، ٢٠٠٥: ٧٦).

وبعد ذلك ومع تأسيس الدّولة وفرض سلطتها على مناطق البادية زاد الاستيطان والاستقرار بهذه المنطقة. خصوصاً على طرق المواصلات الرئيسية كطريق بغداد الذي شهد استيطاناً واضحاً على جانبيه، لتوافر إمكانيات العيش والحياة الأساسية، والمتمثلة بوجود بعض البيوت الجاهزة والحجارة المقصوبة التي يسهل بناؤها، والبرك التي يمكن ترميمها بسهولة، يضاف إلى ذلك اتجاه الدولة لتجنيد أبناء العشائر البدوية في القوات المسلحة، فقد ساعد ذلك في الانتقال من حياة البداوة إلى حياة الاستقرار في قرى ثابتة (خزاعلة، ٢٠٠٥: ٧٦).

إن الاستيطان والاستقرار تم أول الأمر بشكل جماعي لجماعات قرابيَّة (فخذ، حمولة، عشيرة) ومع مرور الوقت اتجهت جماعات قرابية بدوية للاستقرار والاستيطان، وقد ترتب على ذلك تغيرات في مجالات عديدة، (خزاعلة، ٢٠٠٥: ٧٦) وبعد ذلك أصبحت هذه الجماعات تتكاثر ونتيجة للهجرة المتتالية للعشائر وخاصة من القطر السوري فقد نشأت الكثير من القرى الحديثة التي لم تكن موجودة في السابق. فقد شهدت منطقة البادية الشمالية الشرقية (منطقة الدراسة) موجات من الهجرة وبالتالي الاستيطان والاستقرار في قرى وتجمعات

سكانية منتشرة، مما حدى بالدولة أن تهتم بهذه المنطقة التي أصبحت مأهولة من خلال تقـديم خدمات البنى التحتية من مواصلات وسكن وطرق حديثة، وشبكة مياه، وكهربـاء وخـدمات صحية واتصالات، وتقديم بعض المشروعات التنموية.

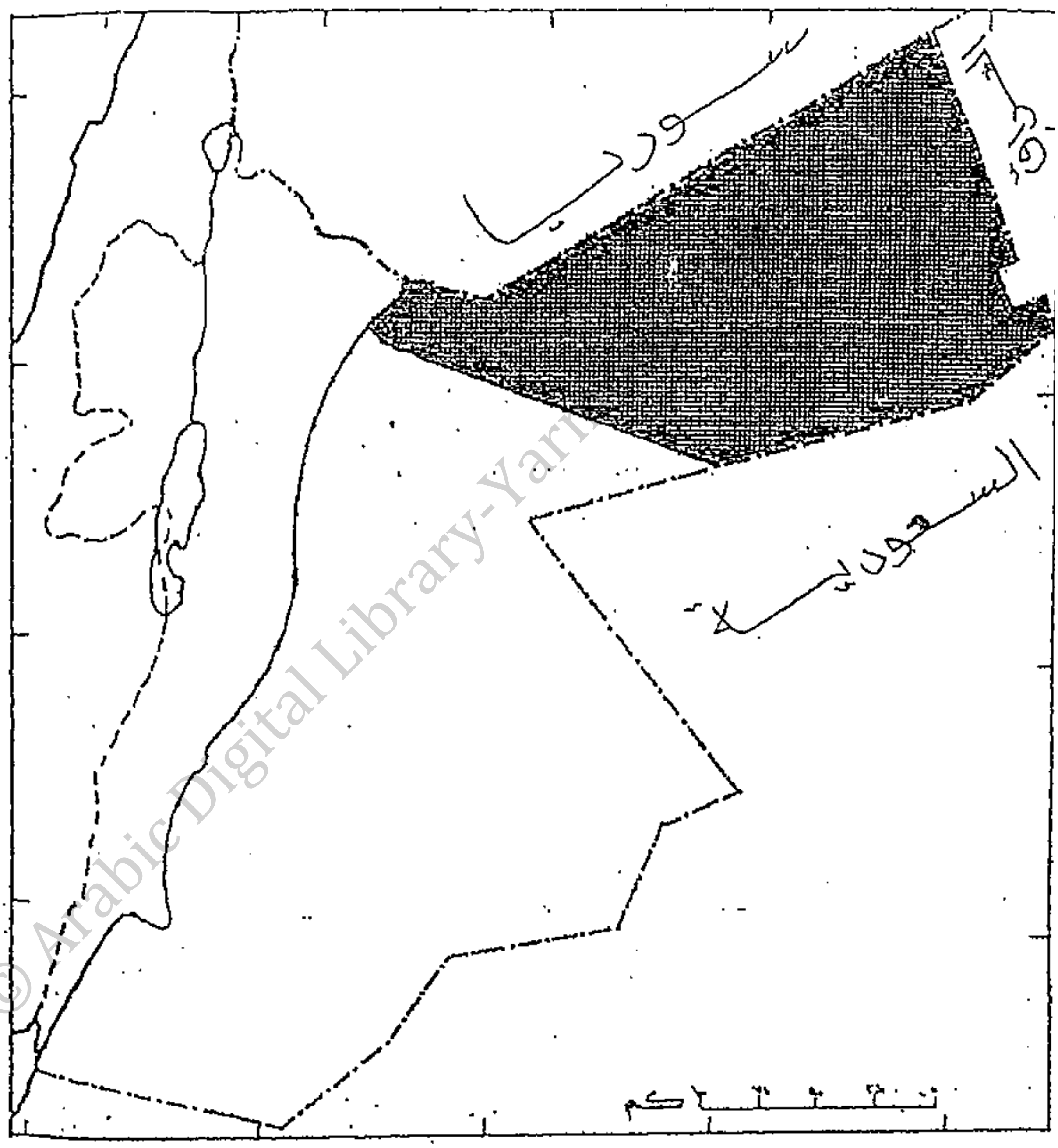
٣-٢.الخصائص الطبيعية لمجتمع الدراسة:

لابد لأي جماعة كانت من الناس أن يعيشوا ضمن مكان جغرافي محدد له سمات جغرافية ومناخية معينة، ولابد لهذه السمات والظروف المناخية والجغرافية أن تؤثر في حياة هؤلاء الناس وتعطيهم طابع معين ومميز تبعاً لتلك الظروف.

والتأثير البيئي المناخي عادة ما يؤثر بشكل كبير على المجتمعات البسيطة البدويـة والريفية والتي لا تملك من الوسائل الكفيلة لتطويع هذه الظروف السيئة لصالحهم، فنجد هـذه الجماعات في هذه المجتمعات تأقلم نفسها وتتماشى مع تلك الظروف وبذلك فإن التأثر بالبيئـة والمناخ والظروف الطبيعية الأخرى يكون واضح بشكلٍ كبير في هذه المجتمعات، وغالباً مـا يتميز هؤلاء الأفراد تبعاً لظروفهم المناخية والبيئية، ويكون التأثير واضـحاً فـي الملـبس، ونوعية الأطعمة، ونوعية المساكن وحتى الأمور النفسية، لأن هذه البيئة تصبح أهم مكونـات الشخصية في تلك المجتمعات.

أ-الموقع:

تقع منطقة البادية الشمالية الشرقية ضمن الجزء الشمالي الشرقي من المملكة الأردنية الهاشمية وبين خطي طول ٣٠ ٣١° و ٣٠ ٣٤ وخطي عرض ١٥ ٣٦° و ٣٩° ٣٠°وتحدها الحدود السورية من الشمال، وتمتد حتى الحدود العراقية من الشرق، وتحدها المملكة العربيـة السعودية من ناحيتيها الجنوبية والشرقية. (حرا حشة،٢٠٠٠ :٢٨)، وتبلغ مساحة لواء البادية



شكل رقم (١) خارطة تبين موقع منطقة لواء البادية الشمالية الشرقية

المصدر: (متصرفية لواء البادية الشمالية الشرقية(٢٠٠٥)

الشمالية الشرقية (٢٥٨٤,٠٣) كم٢ من مساحة المملكة الإجمالي (المركز الجغرافي الملكي،٢٠٠٥).

ومن الناحية الطبوغرافية والجيومورفولوجية تقع منطقة الدراسة في الجزء الذي يعرف بـ منطقة الحماد وأرض الصوان وتتصف هذه المنطقة باستواء سطحها وتكسوها صخور الصوان والحجارة المختلفة (حرا حشة، ٢٠٠٠: ٢٨).

ب-الخصائص المناخية:

يتميز مناخ المنطقة بشكل عام بكونه حاراً جافاً صيفاً وبارداً شتاءاً حيث تعتبر المنطقة من المناطق شبه الجافة، التي يزداد تأثير الجفاف فيها بالاتجاه شرقاً وجنوباً ويصبح المناخ عند أقصى التخوم الشرقية جافاً صحراوياً، ويبلغ المعدل السنوي لدرجات الحرارة في المنطقة ١٨ ْم، والمعدل الفصلي لدرجات الحرارة يبلغ أقصاه في فصل الصيف حيث يصل إلى ٢٦ ْم، وأدناه في فصل الشتاء حيث يبلغ ٩ ْ (دائرة الأرصاد الجوية، ٢٠٠٠).

وتتصف الأمطار في المنطقة، بتغيراتها الشهرية والسنوية، وبعدم انتظامها ويبلغ معدل السقوط في المنطقة بحدود (١٠٠-٢٠٠ ملم سنوياً) تمتاز بعدم انتظام توزيعها الشهري حيث تكون على شكل عواصف مطريّة في أيام معدودة خلال شهر أو شهرين (وزارة التخطيط، حزمة الأمان الاجتماعي، برنامج بحث وتطوير البادية الأردنية، ٢٠٠٢). ويقل هذا المعدل كلما اتجهنا إلى الشرق والجنوب حيث يصل إلى ٥٠ ملم وأقل، وتعزى قلة الهطول المطري إلى أسباب مختلفة متعددة منها البعد عن البحر الأبيض المتوسط، واستواء السطح وقلة التضاريس والمرتفعات. وأن هذه الكمية البسيطة من الأمطار، لا تكاد تكفي لظهور غطاء نباتي مخلخل يظهر بعد هطول المطر (حرا حشة، ٢٠٠٠: ٢٩).

وفي ما يلي جدول(أ) يبين معدل الأمطار الشهري والسنوي لبعض المحطات في منطقة الدراسة (١٩٦٧، ١٩٩٥).

(جدول أ)

معدل الأمطار الشهري والسنوي لبعض المحطات في منطقة الدراسة

الشهر / المحطة	كانون ثاني	شباط	آذار	نيسان	أيار	حزيران	تموز	آب	أيلول	تشرين أول	تشرين ثاني	كانون أول	المعدل السنوي
الرويشد	٩,٥	١١,٣	١١,٣	١٠,٤	٦,٢	٠,١	٠	٠	٠,٢	٥,٨	١٠,٥	١٢	٧٧,٣
الصفاوي	١١,٨	١٢,٢	١٠,٤	٦,٥	٢,٣	٠	٠	٠	٠,١	٣,٩	١٠,٦	١١,٦	٦٩,٤
أم القطين	٣١,٥	٣٢,٦	٢٨,٨	٨,٧	٢,٨	٠	٠	٠	٠,٤	٥,٦	١٤,٨	٢٨,٤	١٥٣,٢
الآريتين	٢٨	١١,٣	١٣,٩	٧,٢	١,٢	٠	٠	٠	٠,١	٩,٣	١١,٣	١٣,٢	٩٥,٤
تلول الأشاقف	١٢	١٣,٨	١٠,٦	٧,٤	١	٠	٠	٠	٠	٤,٢	١١	١٠,٥	٦٩,٨

المصدر: (حرا حشة، ٢٠٠٠: ٢٩)

أما بالنسبة للعلاقة بين السكان والبيئة الطبيِّعية فلابُدّ أنها علاقة تحدي في الدرجة الأولى، ذلك أن البيئة القاسية والتي تحدثنا عنها سابقاً تفرض على هؤلاء السكان أن يتأقلموا ويحوروا الكثير من الأدوات والمسلكيات لكي يستطيعوا التعايش والاستمرار، ولا شك في أن سكان هذه المنطقة استطاعوا ذلك بدرجة كبيرة إلا أن هذا التأثير ظهر جلّياً على الكثير من عاداتهم وتوزيعهم وحتى تحركاتهم وأنشطتهم الاقتصادية والاجتماعية.

فقد عملت الظروف القاسية في منطقة البادية الشمالية الشرقية، ولعبت دوراً رئيسياً في توزيع السكان مكانياً، وكذلك حدّت من تحركاتهم، إذ لوحظ أن تجمع السكان واستقراهم قد تمركز حول المناطق التي تتوفر فيها الشروط المناسبة للتجمع والاستقرار، خصوصاً حول مصادر المياه، فالجماعات البدوية في حركة دائمة للبحث عن الكلأ والماء، (حراحشة، ٢٠٠٠: ٣١).

كما يلاحظ بأن الجماعات البدوية قديماً، - وهذا ما بقي ظاهرا حتى الآن- تسعى للاقتراب من مصادر المياه لذلك جاء هذا الاستقرار والاستيطان قريبا من هذه المصادر، ويؤكد على ذلك (الخزاعلة، ٢٠٠٥: ٧٤) حيث يقول: أن السكان في البادية قد اتجهوا للاستقرار تاريخياً في مناطق البادية التي تزداد فيها كميات سقوط الأمطار نسبياً عن غيرها من المناطق، وهي التي تتدفق إليها السيول القادمة من منطقة جبل العرب، الأمر الذي أدى إلى زيادة عدد البرك والسدود في الخط المحاذي لسفوح جبل العرب والأمثلة على ذلك كثيرة: أم الجمال، الكوم الأحمر، عمرة وعميرة، رسم الحصان، كوم الرَّف، سبع صير، صبحية، صبحا، منشية القبلان، أم القطين، مكيفته، أبو الفرث، منشية القنو، قاسم، أم حسين، الرفاعيات، دير الكهف، تل الرماح، خشاع القن، دير القن، الجدعا، مثناه راجل.

أما حديثاً ومنذ خمسينات القرن العشرين تسابقت التجمعات السكانية من العشائر للاستقرار إلى جانبي خط بغداد؛ وذلك للاقتراب من خطوط المواصلات وتوفر الخدمات المختلفة، فقد نشأت الكثير من القرى الحديثة وبسرعة فائقة نتيجة لتوفر البنى التحتية.

والعوامل الطبيعية انعكست على نمط الحياة الاجتماعية والاقتصادية للسكان، فعوامل البيئة من أمطار، وتربة، وتضاريس ومواقع سكانية، كان له أكبر الأثر في تكوين الجماعات وتجانسها وتقارب نشاطاتها الاجتماعية، وعاداتها وتقاليدها، والنشاطات الاقتصادية والأعمال الأخرى، فقد عملت هذه الظروف الطبيعية على توحيد النشاط الاقتصادي عند هؤلاء الناس، فكان الرّعي وتربية المواشي هو النشاط الأبرز لدى السكان، وكانت كذلك العادات والتقاليد الاجتماعية متشابهة وتكاد لا تختلف عند جميع تلك الجماعات في هذه المناطق، كما أن هذه الظروف عملت على أن يكون هناك تقارب مكاني لإقامة هؤلاء فغالباً ما كانت بيوت الشعر تنصب إلى جانب بعضها بعضاً وهذا بدوره ساعد على أن تكون هناك

ألفة وتماسك وتكافل في التعايش مع هذه الظروف، فنشأ التناسب والتقارب بين تلك القبائل والعشائر التي كانت تسكن هذه المناطق، وبقيت هذه العلاقات إلى يومنا هذا.

إن العوامل الطبيعيَّة والظروف المناخيَّة الصعبة كفيلة بأن توجد علاقات من التعاضد بفعل التقارب المكاني أولاً، ثم بفعل الخضوع النفسي لهذه الظروف، فكان أن اتحدت أغلب هذه العشائر بأحلاف للتصدي لأي عدوان قبلي خارجي، وكان أيضاً لهذه الظروف أن صبغت النشاط الاقتصادي بصبغة موحدة، فكان الاهتمام بالماشية والرعي هو النشاط الذي يكاد يكون هو الوحيد، وبسبب ذلك ظلت عشائر منطقة الدراسة بسعي دائب نحو إيجاد المراعي الغنية ومصادر المياه، والمساحات الواسعة تلبية لحاجة قطعانها الكبيرة.

٣-٣: التنظيم الاجتماعي والقرابي في البادية الشمالية الشرقية:

من المعروف أن الظروف البيئية القاسية التي يعيشها البدو تفرض عليهم تنظيماً اجتماعياً واقتصادياً وحتى مسلكياً يختلف عن غيره، من المناطق، الأخرى بل وتدخل هذه الظروف بشكل رئيسي للمساهمة في تشكيل السمات الشخصيَّة لهؤلاء، وكذلك السمات والصفات النفسيَّة والجسدية، فظروف البيئة الطبيعية فرضت على البدوي أن ينتظم بتنظيم اقتصادي معين يتلاءم مع هذه البيئة فكان أن اعتمد البدوي على الحيوان وتربيته، وبعض التجارة مع القبائل والعشائر الأقل قوة، أو بالإغارة على القرى والتجمعات السكانية الريفية، وأحيانا كثيرة كان الهجوم على الممتلكات الحكومية أحد أهم مصادر التكسب، فقد كانت القبائل الكبيرة في هذه المنطقة تغير على مواكب الحجاج المارة بمضاربها والمتجهة إلى الحجاز لأداء مناسك الحجّ، وقد أرقّ ذلك الحاكم التركي فنصَّب الكثير من شيوخ وزعماء هذه القبائل حراسا لهذه القوافل مقابل إتاوات سنوية يدفعها هذا الحاكم لهم، وفي حال لم تعجبهم هذه الإتاوات كانوا يهجمون على هذه القوافل وينهبوها.

يسكن هذه المنطقة مجموعة من العشائر والقبائل البدوية، وعلى الرغم من عدم وجود أية روابط دموية مباشرة بين هذه العشائر إلا أنها كانت دائماً ترتبط بروابط التعاضد والتحالف، والكثير من روابط ووشائج النسب والمصاهرة.

يوجد في منطقة الدراسة مجموعة من العشائر لكن الأغلبيَّة تعود لعشائر يطلق عليها (عشائر أهل الجبل) وهذه العشائر لا ترتبط بأية علاقات قرابية دموية، فقط سميت كذلك بحكم تواجدها تاريخياً في مكان معين كان هذا المكان هو ما يطلق عليه (جبل العرب)، وأحياناً (جبل الدروز) وظلت هذه العشائر تنتقل مع بعضها، وتنزل إلى جانب بعضها إلى أن أصبحت تشكل حلفاً دفاعياً بوجه القبائل الأخرى، كما يوجد في هذه المنطقة قبيلة السرديَّة وهي القبيلة التي عرفت تاريخياً بزعيمها (المحفوظ السردي).

وهناك قبيلة العيسى التي تسكن مناطق الدّفيانة، منشية القبلان، وقبيلة الغياث التي نزحت من القطر السوري منذ الثمانينات من القرن الماضي، وكذلك قبيلة (بني خالد) والتي تقيم في منطقة الرويشد، بالإضافة إلى أجزاء كبيرة من قبيلة النعيم، وعنزة، وشمّر.

وبالنسبة للتقسيم العشائري فإن كُل قبيلة تقسم إلى: حمولة، وفخذ، وعائلة، وهذا هو التقسيم الاجتماعي والزعامي (السياسي) عند كل العشائر (القبائل) الموجودة في هذه المنطقة، (الزغل، ٢٠٠٢: ٦).

فالقبيلة أو (العشيرة) تتكون من مجموعة من الحمائل، والحمولة تتجسد في أكثر من فخذ ، وهذه الأفخاذ تتكون بدورها من مجموعة من العائلات أو البيوت التي تقيم في نفس المكان عادة. (الزغل، ٢٠٠٢: ٦).

والجدول (ب) يبين توزيع القبائل في منطقة الدراسة وحمائلها وأماكن تواجدها وشيوخها:

(جدول ب)

توزيع العشائر وأسماء الحمائل وأماكن تواجدها وشيوخها

عشائر أهل الجبل	اسم العشيرة/ الحمائل	أماكن التجمعات وأسماء القرى	اسم شيخ العشيرة
- الشرفات - المساعيد - الزبيد - العظامات	الشرفات -الحمائل ١-الخمسة ٢-الزرقة	الصالحية، المنارة، السعادة، البشرية، الأشرفية، نايفة، روضة الأمير حمزة(*)، الصفاوي(*)، تل رماح، دير القن، مدور القن، خشاع القن، الجدعاء، المكيفتة، حي العودة، منشية القنو	- أبن صفيان - ابن عنيزان -الشرابي - الغازي
	المساعيد - الحمائل ١- العصافير ٢- الغنيم ٣- السمارات	حي السهيلي، أم الجمال، روضة الأميرة بسمة*، عمرة وعميرة السعيدية، العاقب، رسم الحصان، الزهور، الرحمات، دير الكهف، الثلاج، أبو الفرث، المنيصة، قاسم، الجبيًا، روضة الأمير حمزة، أم حسين، الرفاعيات، طيبة المساعيد، منشية اللويبد،	- ابن السرور - ابن بريك
	الزبيد - الحمائل ١- الحسن ٢- الشنابلة	الزبيدية، المريجب، عالية، الشويعر، الصفاوي*، الحميدية، البستانة، خشاع سليتين، الحسينية.	الشيخ ممدوح ذعار الجمعة
	العظامات- الحمائل ١-المعرعر ٢- الشملان	الكوم الأحمر، أم القطين، نايفة(*)، رحية ركاد، مثناة راجل، غدير، الناقة، الصفاوي	- ابن المعرعر - ابن سويعد
	الغياث - الحمائل ١-الكلابنة ٢- العطنة	منشة الغياث، الرويشد، جسر الرويشد، الرقبان.	- السعيّد - العتقة

(*) قرى تشمل وجود أكثر من عشيرة.

	اسم العشيرة/ الحمائل	أماكن التجمعات وأسماء القرى	اسم شيخ العشيرة
	السردية – الحمائل ١-الفواز ٢- العون	صبحا وصبحية ، الحرارة ، زملة الأمير غازي ، الفيصلية ، سبع صير.	- الفواز
	العيسى – الحمائل ١- العلي ٢- السويلم	الدفيانة ، منشية القبلان ، أم السرب .	- الماضي
	بني خالد -الحمائل ١-الصبيحات ٢-القاضي	الرقبان، الرويشد، الريشة، الفيضة	القاضي، محمد سعود القاضي، الصبيحات،فلاح العطين
	النعيمات – الحمائل ١- النميرات ٢- الطحاينة	صالحية النعيم الرويشد المنصورة	عبدالحميد النعيمي، ابن الطحان، محمد شتيوي
	عنزة – الحمائل ١- الشعلان ٢- الطيار	الرقبان ، الرويشد ، الريشة ، الفيضة	ابن شعلان ، الثامر بن مهيد
	شمر – الحمائل ١- الجربا ٢-الهاملي	الريشة ،الصفاوي، الرويشد	فيصل بن الجربا

تأثر التنظيم القرابي في مجتمع الدراسة تأثراً كبيراً كما تبين لنا سابقاً بالظروف المناخية القاسية، فقد قوي ذلك النظام أولاً من خلال وجود القرابة الطبيعية والتي هي القرابة الدموية المباشرة، فقد كانت لهذه القرابة الدموية أثراً كبيراً بشكل التنظيم وأسسه وقواعده،

فغالباً ما تكون العشيرة. وهذا ما يتصوره أبنائها - أن جدهم واحد، وهم بذلك ينتسبون إلى أب واحد حتى لو كان بعيداً، وهذا التصور يترك عند البدوي الذي يعيش في ظروف المناخ والبيئة الصعبة نوعاً من التوحُّد مع أبناء عشيرته، ومن هُنا تتشكل العصبيَّة القبليَّة المدعمة بعصبية القرابة الدموية، وأصبحت أكثر تأثيرا في حياة البدوي اليوميَّة.

كما وتعتبر علاقات المصاهرة أهم الروافد التي تخلق مستقبلاً من الروابط الدمويَّة بين هذه القبائل، فيصبح التنظيم الاجتماعي خاضعاً أساساً لعلاقات القرابة الدموية، ثم علاقات المصاهرة ثم علاقات التجاور المكاني، وبعد ذلك فإن التنظيم الاجتماعي لابد أن يتأثر بهذه العلاقات الثلاث: (الدم، النسب، المكان).

فالروابط القبلية تقتضي بدورها توزيع أفراد العشيرة (القبيلة) إلى مناطق سكنية، حيث أن كل مجموعة تربطها علاقات دموية واحدة تسكن إلى جانب بعضها البعض وهكذا، وهذا بدوره يفرز عصبيَّة قبليَّة تقوم على وحدة النسب (حراحشة، ٢٠٠٠: ٤٣).

ويعبر ابن خلدون عن الأهمية الاجتماعية للنسب، وقدرتها في إيجاد النصرة والنعرة والالتحام، حيث يقول: "إن النسب إنما فائدته في الالتحام الذي يوجب صلة الأرحام حتى تقع المناصرة والنعرة، وما فوق ذلك مستغنى عنه، إذ النسب أمر وهمي لا حقيقة له؛ ونفعه إنما هو في هذه الوُصلة والالتحام ". (ابن خلدون، ب.ت:٤٨٤).

والبدو في هذه المنطقة يدينون بالولاء للقبيلة فهي رأس التنظيم القبلي وولائهم يكون لزعيمها الشيخ،والقبيلة هي وحدة البناء الاجتماعي الأساسية. وعلى الرغم من تبدل الكثير من المفاهيم وتطوّر الحياة الاجتماعية والاقتصادية لا زالت العلاقات القرابية هي المؤثرة ، والتي بدورها تستقطب أكبر عدد من الأفراد حولها، بحيث تصبح هي النواة الرئيسيَّة التي من خلالها تمر معظم القضايا الاجتماعية والاقتصادية السياسيَّة.

يورد (بركات،١٩٩٨: ٦٨) أن هناك علاقة مباشرة بين التنظيم الاجتماعي البدوي، والبيئة الصحراوية، وضرورات الارتحال والرَّعي والدفاع عن الذات وتدبير المعيشة، وإن مواجهة الصحراء بكل قسوتها وأتساعها وندرة مواردها، ونشدان الماء والمراعي، وحماية الذات من الأخطار الفادحة، وتأمين المعيشة؛ إن كل هذه الأوضاع والضرورات الحياتية اقتضت قيام عصبية قبلية تقوم في أساسها على علاقة القربى الدموية ونشوء وحدات قتالية شديدة البأس والفروسية والشجاعة. بكلام آخر أن القبلية والعصبيّة لها والفروسية في الدفاع عنها وتأمين معيشتها، هي التنظيم الأنسب في مثل هذه البيئة الصحراوية.

وتلعب العشيرة أو (القبيلة) التي تتألف من مجموعة من الأفخاذ عادة محور النشاط السياسي، ويلعب الشيخ دوراً مهماً في هذا المجال، وتشكل القبيلة الدائرة الاشمل ، أو الإطار العام الذي ينتمي اليه جميع الذين ينتسبون الى جد او أصل واحد في الزمن البعيد. وتكوّن وحدة اجتماعية وسياسة واقتصادية من حيث شبه اكتفائها الذاتي وصلتها بالقبائل الأخرى والمجتمع والعالم (بركات، ١٩٩٨: ٦٩).

إن التنظيم الاجتماعي الخاص بالبداوة يقوم على مبدأ قرابة الدم الذي يحدد الولاءات والعصبيّة حتى تكاد القبيلة أن تشكل مجتمعاً قائماً بذاته ولذاته خلال تاريخ طويل. (بركات، ١٩٩٨:٧٠) ولا شك في أن البدو في منطقة البادية الشرقية لا زالوا متأثرين بهذا التنظيم الاجتماعي الذي يعتمد على صلة القرابة الدموية، والتي تشكل فيه القبيلة محور النشاط الاجتماعي والسياسي والاقتصادي.

٣-٤. التقسيم الإداري والتجمعات السكانية لمجتمع الدراسة:

تقسم منطقة البادية الشمالية الشرقية مجتمع الدراسة إدارياً إلى لوائين وأربعة أقضية، فهناك لواء البادية الشمالية الشرقية (القصبة) ولواء الرويشد، أما الأقضية فهي: قضاء أم الجمال، وقضاء صبحا وصبحيَّة، وقضاء أم القطين، وقضاء دير الكهف وكل من هذه الأقضية يضّم مجموعة من القرى والتجمعات السكانيَّة، حيث يتوزع وفق ذلك مجموعة عشائر معينة تقطن ضمن هذه الأقضية وتجمعاتها السكانية:

أولاً: لواء البادية الشمالية الشرقية:

ويضم مجموعة القرى والتجمعات السكانية الواقعة على طول خطّ بغداد القصبة وتبلغ مساحته الإجمالية حوالي (٢٥٨٤,٠٣)كم[٢] (المركز الجغرافي الملكي، ٢٠٠٥).

- الصالحيّة، وزملة الأمير غازي، والبستانة، والحميدية، ورحبة ركاد، ونايفة، والأشرفية، والسعادة، والمنارة، وروضة الأمير حمزة،(حليوة سابقا)، وحمراء السحيم، والبشرية، وعالية الشويعر، ومنشية الخليفة، والهاشمية، والصفاوي.
- قضاء أم الجمال: تبلغ مساحته الإجمالية حوالي (١٤٠,٣٨ كم٢) (المركز الجغرافي الملكي: ٢٠٠٥).

ويضم القرى والتجمعات السكانية التي تقع إلى الشمال الشرقي من منطقة اللواء وهي:

- أم الجمال، (روضة الأميرة بسمة، وحيّ السهيلي، والكوم الأحمر، والعاقب، والسعيدية والنزهة، ورسم الحصان، منشية اللويبد، وطيبة المساعيد) بداية خط بغداد.
- قضاء صبحا وصبحيَّة. وتبلغ مساحته الإجمالية حوالي (١٧٤,٦٨كم[٢]) (المركز الجغرافي الملكي، ٢٠٠٥) ويضم القرى والتجمعات السكانية الواقعة إلى الشمال من خط بغداد،

حيث تتوسط هذه المنطقة ما بين قضاء أم الجمال وقضاء أم القطن في أقصى الشمال الشرقي، وتجمعاتها هي:

- منطقة صبحا، وصبحيَّة، والفيصليَّة، والحرارة، وكوم الرّف، والدفيانة، وسبع صيرّ، ومنشية القبلان.
- قضاء أم القطين: تبلغ مساحته الإجمالية حوالي ،(٦١، ٨٦كم٢) (المركز الجغرافي الملكي: ٢٠٠٥). ، حيث يقع هذا القضاء إلى أقصى الشمال الشرقي بين قضائي صبحا ودير الكهف.
- ويضم القرى والتجمعات السكانية التالية: أم القطين، والحسينية، والمكيفتة، وحي العودة، وغدير الناقة، ومنشية القنو، المعزولة، وخشاع سليتين.
- قضاء دير الكهف: تبلغ مساحته الإجمالية حوالي(٢٨و٦٦٥كم٢) (المركز الجغرافي الملكي:٢٠٠٥) يقع هذا القضاء بتجمعاته وقراه في المنطقة الشمالية الشرقية المحاذية للحدود السورية، وتعتبر قرية (مثناة راجل) الواقعة ضمن حدود هذا القضاء آخر قرية أردنية على الحدود السورية. ويضم هذا القضاء مجموعة من القرى والتجمعات هي:
- دير الكهف، روضة الأمير علي (أبو الفرث سابقاً)، والمنيصة، والثلاّج، وقاسم، والرفاعيات الشمالية، ، وأم حسين، والجبيّا، وتل الرماح، ومدور القن، وخشاع القن، ودير القن، والمريقب (المريجب)، والجدعا، والمنصورة، مثناة راجل، وكما هو معروف فإن هذه التجمعات السكانية تعتبر قريبة للحدود السوريَّة.

ثانياً: لواء الرويشد:

تبلغ مساحة اللواء الإجمالية حوالي، (٤٩و٢١٦٢١)كم٢ (المركز الجغرافي الملكي: ٢٠٠٥) حتى بداية العشرينيات لم تكن منطقة الرويشد مكاناً دائماً للسكن إطلاقاً، إلا عندما قامت شركة البترول العراقية (IPC) في الثلاثينات من القرن العشرين ببناء خط أنابيب بترول من كركوك في العراق إلى حيفا في فلسطين عبر البادية الشمالية الشرقية الأردنية، والذي أدى إلى إنشاء محطات ضخ بترولية خاصة كان يقع بعضها في مناطق سُميت على التوالي الأجفور (الرويشد حالياً (H٤) والإجفايف (H٥) (الصفاوي حالياً).

يقع لواء الرويشد في الجزء الشمالي الشرقي من المملكة الأردنية الهاشمية في منطقة الحماد الأردني، وعلى ثلاثة حدود دولية: الحدود السورية في الشمال، والحدود العراقية في الشرق، والحدود السعودية في الجنوب وتعتبر المنطقة ذات ظروف بيئية ومناخية صعبة جدا لوقوعها في المنطقة شبه المدارية والتي يغلب عليها الشكل الصواني و يمتاز مناخها بقلة وتذبذب كميات الأمطار السنوية (حوالي ٧٠-١٥٠كم٢) سنوياً مع عدم انتظامها وتوزيعها الشهري: (مركز بحوث وتطوير البادية الأردنية، ٢٠٠٠).

أما بالنسبة للقرى والتجمعات السكانية التي يتوزع عليها السكان فهي تسع تجمعات سكانية، يسكنها خليط من العشائر، فهناك عشائر أهل الجبل: الشرفات، المساعيد، العظامات، الزبيد، وهناك عشائر بني خالد، وقسم كبير من عشيرة (عنزة) (وشمَّر) وكذلك الأكثرية العشائرية لعشائر "الغياث"، وبعض الأعداد من العائلات غير البدوية والتي قدمت للمنطقة عندما كانت منطقة استقطاب تجاري، فهناك مثلاً وخاصة في نفس منطقة الرويشد-عائلات من الرّمثا واربد ومعان وبئر السبع...، والقرى والتجمعات هي: الرويشد، ومنشية الغياث، وصالحية النعيم، والريشة الشرقية، والريشة الغربية، وجسر الرويشد، الفيضة، والرقبان، وروضة البندان. (مركز بحوث وتطوير البادية الأردنية، ٢٠٠٠).

الفصل الرابع

الأنشطة الاقتصادية في البادية

ا لشمالية الشرقية

٤-١: النشاط الاقتصادي لمجتمع الدراسة.

٤-٢: التحول الاجتماعي - الاقتصادي لمجتمع الدراسة.

٤-١- النشاط الاقتصادي لمجتمع الدراسة:

لا شك إن النشاطات الرئيسية لسكان البادية الشمالية الشرقية تبرز في مجال الرعي إذ تعتبر هذه المنطقة الصحراوية من المناطق التي ينتشر بها النمط الرعوي، حيث يعتمد سكان هذه المناطق على تربية قطعان من المواشي وخاصة الأغنام بحيث يعتمدون على هذه القطعان في حياتهم اليومية، إذ يبيعونها في موسم الربيع حيث تشكل تجارة دائمة ومربحة للكثير من المربين، وعلى الرغم من شح الأمطار في هذه المنطقة وتآكل الأراضي الصالحة للرعي وغلاء الأعلاف المقدمة لتلك القطعان، إلا أن هذا النشاط لا يزال هو النشاط الرئيسي لأغلب السكان، وكلما اتجهنا لجهة الشرق أكثر كلما برزت لنا الصورة أكثر بالاعتماد على هذه التجارة.

وعلى الرغم من التغيرات التي أصابت البادية الشمالية الشرقية، وأثرت في الاعتماد المتزايد على تربية المواشي، إلا أن السمة البارزة للسكان هي ملكية قطعان هذه المواشي، طبعا على اختلاف أعداد هذه القطعان فهناك من يملك قطعان كبيرة العدد، وهناك من يملك قطعان متوسطة العدد، وكذلك قليلة العدد من (١٠-٥٠ رأس) وهناك بالطبع من لا يملك نهائياً لهذه الثروة، بل يعتمد في معيشته على الأعمال الزراعية البسيطة وبعض الأعمال التجارية الحرة كبيع الأراضي، وبعض المحاصيل، أو العمل في المزارع المنتشرة في المنطقة، والتي تعود ملكيتها غالبا إلى أناس من خارج منطقة البادية، طبعاً علينا أن لا ننسى أن هناك الكثير من أبناء البادية أصبحوا اليوم يعتمدون بشكل كبير على الوظائف الحكومية وخاصة في المؤسسة العسكرية (الجيش والأمن العام)، كما يمكننا ملاحظة الانتقال التدريجي من حياة البداوة إلى حياة الأرياف، ونستطيع رؤية أغلب المساكن المستقرة تحتفظ بمجموعات صغيرة من المواشي والطيور التي تعتمد عليها اقتصادياً مثلاً: نلاحظ أن الكثير من المنازل

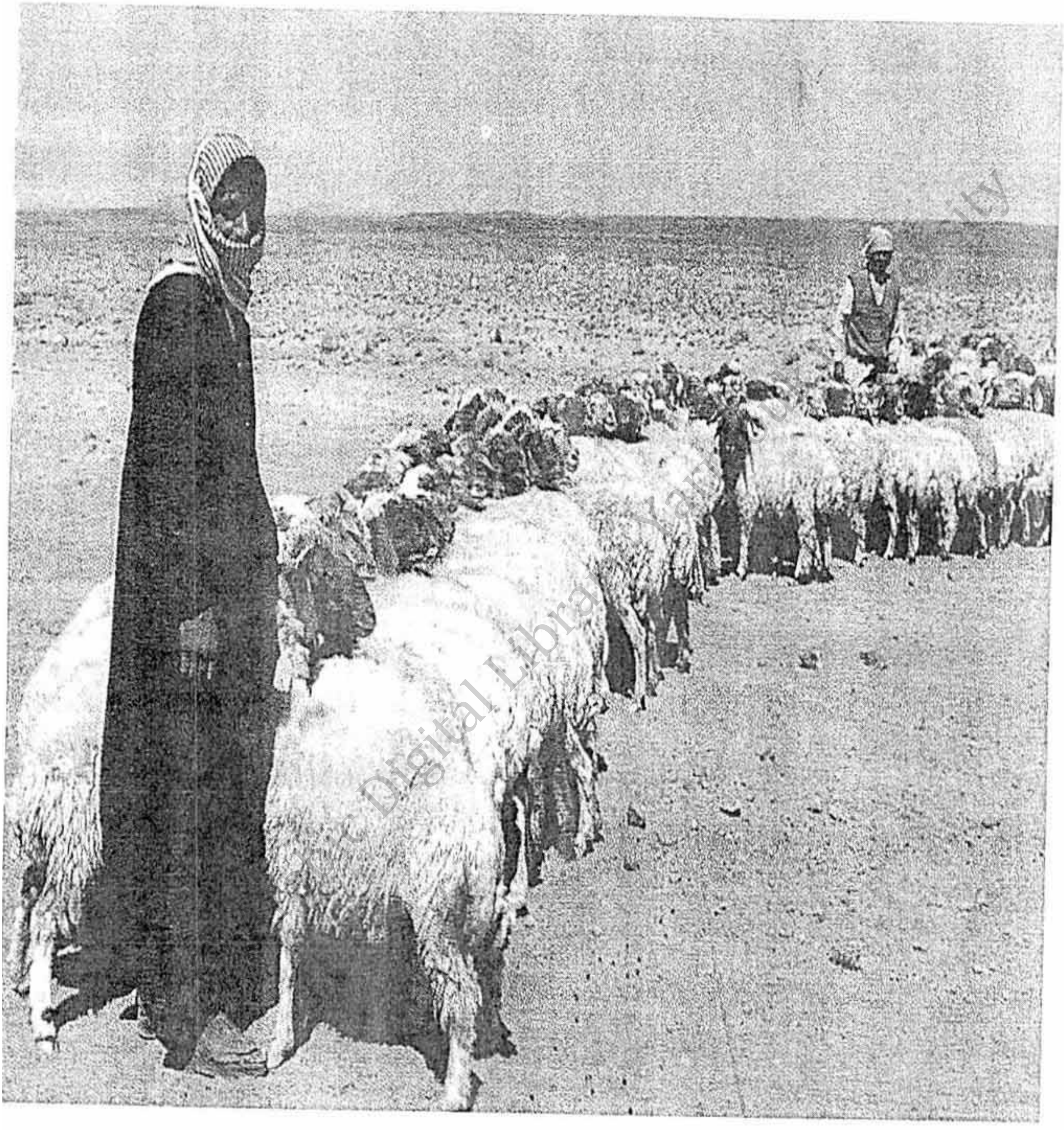
في البادية أن لها أماكن خاصة (صير) إلى جانب المسكن الدائم تحتفظ بـه بمجموعة مـن رؤوس الأغنام أو الماعز من (١-٥) رؤوس وكذلك بأعداد من طيور الدجاج والبط، والحمام، والأوز، وغيرها، وهي مظاهر ريفية بحتة أصبحت تشكل ميزة لدى سكان البادية الشمالية الشرقية، كما أن وجود النشاطات التجارية الصغيرة مثل: انتشار البقالات والدكاكين في الكثير من أرجاء البادية يجعلنا نسلم بأن الانتقال من حياة البادية، والاعتماد على رعي المواشي أصبح يسير بوتيرة متسارعة.

وفي دراسته يرى (الزغل، ٢٠٠٢: ٥٦) أنه على الرغم من أن منطقة البادية الشمالية- الشرقية تعتبر تاريخياً وتقليدياً بسكانها- وتوصف بأنها منطقة قبائل رُحل أو شبه رُحل- وإن الأساس الاقتصادي لها معتمد على الإنتاج الحيواني، إلا أن هذا الأساس الاقتصادي يتعرض بشكل رئيسي لتغيرات اجتماعية اقتصادية في آخر ثلاثة عقود من الزمن، حيث وجد عند تقسيم عينة البحث الكلية على من يملك أغنام (مواشي) ومن لا يملك، فوجد أن الذين يملكون (المواشي) هم فقط نسبة (١٩,٩%) في حين بلغت نسبة الذين لا يملكون (٧٧,٦%) ويضيف أنه على الأغلب سواء في الذين يملكون المواشي أو الذين لا يملكون هناك أحد أبناء الجماعتين يعمل في القطاع الحكومي، فإما أنه في الجيش أو أنه في قطاعات الوظائف الحكومية الأخرى كالتعليم مثلاً وفي الحالتين أيضاً هناك دخل إضافي لهؤلاء السكان يأتي من بعض النشاطات الزراعية البسيطة والجزئية، وكذلك من خلال الاعتماد على تربية الحيوانات البيتية التي يحتفظ بها إلى جانب المساكن الدائمة لتشكل ولتساعد في إيجاد دخل إضافي لهم.

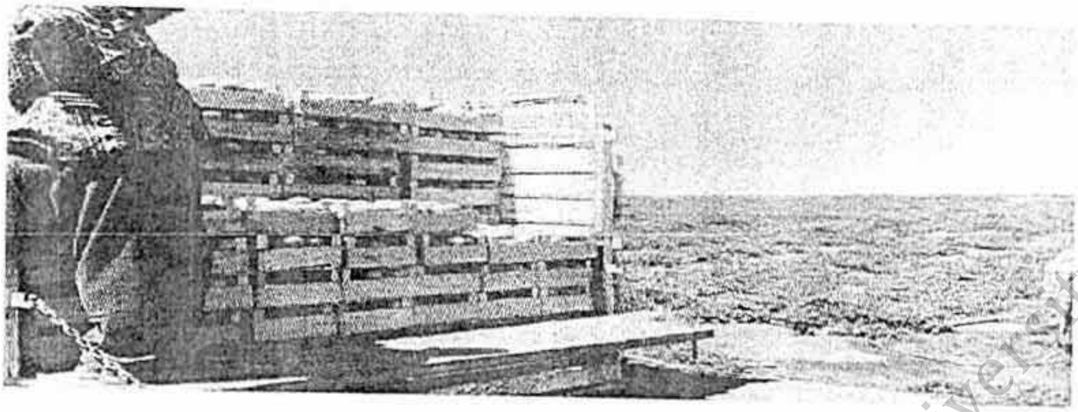
كما يلاحظ (آلن رو، ١٩٩٨: ٤٦-٤٧) في دراسته عن إدارة الثروة الحيوانية في منطقة البادية الشرقية أن هناك تناقص سريع ومتواتر في اعتماد نمط الإنتاج المعتمد على

الثروة الحيوانية، حيث وجد أن هناك (٤٥٥) أسرة تمتلك قطعان من الثروة الحيوانية، وكان هذا في ١٩٩٨، بينما نلاحظ أن الزغل وجد في دراسته في (٢٠٠٢) أن حجم هذه الأسر المالكة بلغ فقط (١٠٩) أسرة، وهذا يقودنا إلى نتيجة واضحة في أن الاعتماد على (نشاط الإنتاج الرعوي) أصبح يتناقص بشكل كبير، وبدأ يترك مجالا لحلول (نشاط إنتاج مختلط) الذي يعتمد على نشاطات تجارية -زراعية ونشاطات ريفية، فمثلاً هناك اتجاه نحو النشاطات التجارية، كتجارة الأراضي وفتح بعض (الدكاكين) والبقالات، والاعتماد على ما تجود به بعض الحيوانات قليلة العدد وخاصة الطيور الداجنة مثل: الدجاج، والحمام، والبط، والأوز، وبعض رؤوس الماعز والأغنام، بالإضافة إلى بعض النشاطات الزراعية مثل: زراعة الأراضي موسمياً بالحنطة والشعير، والمحاولة في العمل بزراعة الخضراوات: البندورة، البطاطا، الخيار، الملفوف وغيرها من الخضراوات، وكذلك البيوت البلاستيكية والأشتال،كما أصبح الاعتماد على الوظيفة الحكومية:جيش أمن عام، تربية، صحة، من أهم القطاعات التي توفر دخلاً مادياً واستقرار على المستويين الاقتصادي والاجتماعي.

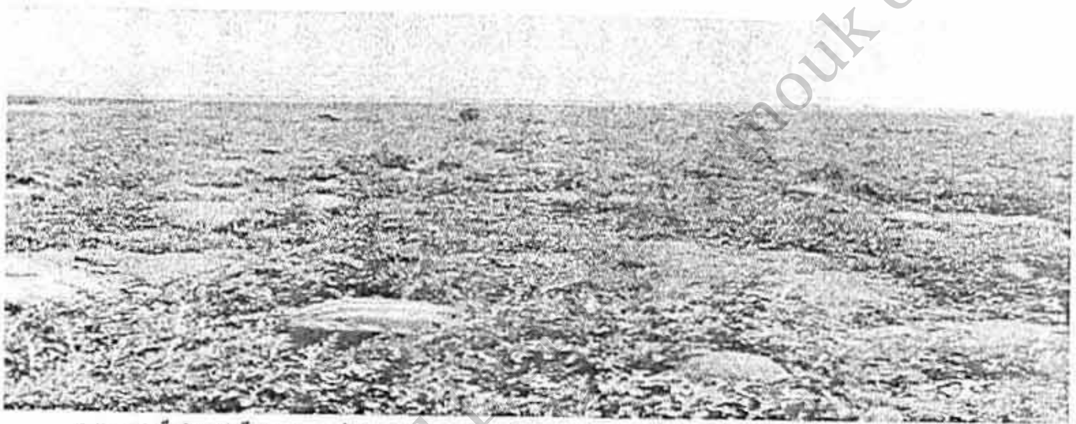
إن اقتصاد البادية الذي كان يوصف سابقاً بالمتانة وذلك لبساطة (نمط الإنتاج) ووضوح أدوات ووسائل الإنتاج أصبح اليوم يعاني من التفتيت والتعقيد في نفس الوقت، فلم يعد نمط الإنتاج الرعوي هو الأبرز، كما لم يعد هذا النمط يفي بالمتطلبات المتزايدة لسكان البادية وعليه فإن ظهور (نمط الإنتاج المختلط) أخذ يحل تدريجياً، ويأخذ موقعه بشكل متسارع، والانتقال المتسارع من (نشاط الإنتاج الرعوي)، أو الاعتماد شبه الكلي على الثروة الحيوانية لا بد أن يكون مدفوعاً بأسباب وعوامل أدت به إلى الانتقال إلى أنماط إنتاجية أخرى، أو بمعنى آخر الاتجاه إلى نشاطات قد تكون أكثر ربحاً وأسهل وأقل مشقة، وهذا بدوره أدى إلى تغيرات جذرية وكبيرة على المستويين الاقتصادي والاجتماعي في حياة سكان منطقة البادية الشمالية والشرقية، وتسبب في أن ينتقل السكان من حياة البادية- التي تتسم



أحد النشاطات الاقتصادية في مجتمع الدراسة (المصدر:جهاد جبارة، ٢٠٠٥)



من نشاطات مجتمع الدراسة.   المصدر (مركز بحوث و تطوير البادية الاردنية٢٠٠٦)



مزرعة بطيخ (البادية الشمالية- الشرقية)   المصدر (مركز بحوث و تطوير البادية الاردنية٢٠٠٦)



من نشاطات مجتمع الدراسة.   المصدر (مركز بحوث و تطوير البادية الاردنية٢٠٠٦)

بالتنقل والترحال والاعتماد شبه الكلي على ما تنتجه الأغنام والماعز والإبل (الثروة الحيوانية) من منتجات مثل: اللحوم ومشتقات الحليب والصوف والوبر والشعر، وبالإضافة إلى اعتماد أسلوب المقايضة في التجارة وذلك مع المراكز الحضرية في المدينة- إلى حياة الاستقرار في بيوت الطوب الدائمة والاعتماد على الوظائف الحكومية (جيش، أمن) والوظائف المدنية (تربية، صحة، تنمية...) كما أصبح هناك مورد جديد للدخل بالاعتماد على الزراعة الموسمية، ومحاولات تجارية (فتح بقالات) تعتمد على البيع المجزء هذا بالإضافة إلى الاعتماد على الحيوانات المنزلية المنتجة والاعتماد عليها في تحصيل الدخل وبهذا تم الانتقال والاستغناء عن حياة التنقل والترحال واعتماد ملكية قطعان المواشي الكبيرة التي تحتاج إلى مساحات شاسعة من المراعي وكميات كبيرة من الأعلاف المياه والرعاية البيطرية الكبيرة والمستمرة.

يورد الـ (الزغل، ٢٠٠٢: ٥٧) أن هناك أربعة أسباب رئيسية أدت إلى تناقص مالكي الثروة الحيوانية، وتراجع الحياة الرعوية والقبلية ونمط النشاط الرعوي، منها:

أولاً: قرار الأمم المتحدة في الاعتراف بشرق الأردن عام ١٩٢٠م، حيث أدى هذا الاعتراف إلى تقسيم البادية الأردنية بين كل من: سوريا والعراق والسعودية، وقد أدى هذا التقسيم بدوره إلى نتائج سلبية على حركة الرُعاة، وحرية تنقلهم بقطعانهم طلباً للكلأ والماء (الرعي).

ثانياً: عمل الحكومة على قطع دعم الأعلاف الذي كان يستفيد منه أصحاب المواشي، وقد تم ذلك منذ ١٩٩٦م، مما أدى إلى أن يصبح نمط الإنتاج الرعوي، والاعتماد على الثروة الحيوانية من العمليات غير المربحة وغير المجدية لمالكي هذه الثروة وخاصة مع سنوات القحط والجفاف التي مرت على المنطقة في آخر أربع سنوات مضت.

ثالثاً: توفر الكثير من فرص العمل التي جاءت بداية مع خط أنابيب النفط العراقي (كركوك- حيفا)، وعمل الكثير من أبناء البادية في حراسة وصيانة هذه الخطوط، وكذلك وجود قاعدة جوية في المنطقة (في الصفاوي)، ووجود عدد من معسكرات الجيش بالإضافة إلى التعيين بالوظائف الحكومية المختلفة، وتشجيع الحكومة للسكان على الاستقرار الدائم كلٌ في موقعه الذي يقيم فيه بالإضافة إلى تقسيم الواجهات العشائرية على أفراد عشائر معينة في المنطقة.

رابعاً: اهتمام الحكومة (الحكومات) بتوفير البنية التحتية لمناطق البادية من: خدمات المياه، والتيار الكهربائي، وبناء المدارس، وشق الطرق، والخدمات الصحية وتشجيع السكان على الاستقرار الدائم في منازل مستقرة هذا بالإضافة إلى شح المصادر المائية وتكلفة نقلها وغلاء أسعارها أدى أن يتجه الرُعاة (أصحاب المواشي) إلى الانتقال من (نمط الإنتاج الرعوي) إلى أنماط إنتاجية مختلفة أخرى.

ثم يتابع الـ (الزغل، ٢٠٠٢: ٥٧) وبسبب هذه العوامل (وعوامل أخرى) فإن الجيل الثاني من أصحاب المواشي والرعاة أصبحوا أكثر اهتماماً بحياة القرية والمدينة والتي تزداد بها الحياة الأكثر راحة وانتشار الخدمات، وبذلك فإن الكثير من القرى والبلدات نمت بسرعة كبيرة ومتسارعة في البادية الشمالية الشرقية.

وعليه فإن التحول من (نشاط الإنتاج الرعوي) إلى أنماط إنتاجية أخرى من شأنها أن تنقل البدوي من العمل المعتمد بشكل كلي على الثروة الحيوانية، وعمليات الإنتاج التقليدية والبسيطة والتي تتسم بانخفاض المردود المادي إلى أعمال أخرى من شأنها أن تزيد من عوائد الدخل والاستقرار الاقتصادي والاجتماعي، فأصبح هناك اتجاه ملاحظ على الوظائف الحكومية بعدما كان يأنفها البدوي، وكذلك بعض أعمال التجارة والزراعة، وبعض الأعمال

البدوية التي كانت تعتبر من المحرمات التي من شأنها أن تسبب للفرد النبذ والعار في مجتمعات تعتبر هذه الأعمال اليدوية عار على من يعمل بها بل وتحتقر هذه الأعمال إلا أن الواقع يفرض نفسه وخاصة عند الجيل الثاني والثالث من أبناء البادية فالاتجاه نحو التعليم والتعليم الصناعي والمهني ملاحظ وكبير، وأصبحنا نشاهد أن هناك: حدادين ونجارين وحلاقين ومزارعين من أبناء البادية.

إن التحول في النشاط الاقتصادي لسكان البادية الشمالية الشرقية، من النشاط المعتمد على تربية المواشي بأنواعها: الأغنام، الماعز، الإبل، ومحدودية المردود المادي من هذه النشاطات جعل حياة البدوي أكثر استقرارا وأميل إلى الركون إلى بيت دائم من الطوب يقيه حر الصيف وبرد الشتاء، ويقيه من المشقة التي يتحملها في رحلتي الرحيل والنزيل طلبا للكلأ والماء، بل أصبح معظم سكان البادية الشرقية لا يملكون أي قطيع من الماشية باستثناء بعض رؤوس من الأغنام والماعز التي تعرف (بالمنوحة)* حيث تبقى هذه إلى جانب المنزل الذي يقيم فيه البدوي، وقد أصبح البدوي - إشباعاً لرغباته النفسية التي تحن للبداوة- يبني بيوت الشعر إلى جانب بيت الطوب أو الحجر، يضع دلال القهوة، ويجعل مكاناً للنار على موعد مع ذاكرته البدوية.

إن الحياة في البادية الشمالية الشرقية أصبحت أكثر ميلاً نحو نمط الحياة الريفية، فلم يعد هناك شكلاً واضحاً لنمط الإنتاج الرعوي على الرغم من وجود الكثير من مربي الماشية، وخاصة الأغنام وقيامهم برحلتي: التغريب، والتشريق، طلبا لأماكن أكثر اتساعاً لهذه القطعان لما تحتاجه من أماكن للرعي، لكن نلحظ مع ذلك الاعتماد على الأعلاف بشكل كبير كما أن

(*) المنوحة: وجود بعض الأعداد من الماشية تربى في نفس المنزل الدائم للاستفادة منها في أغراض بيتيه لا تجارية.

وسائط النقل لم تعد هي تلك الوسائط التي كان يعتمدها البدوي في الرحيل والانتقال، فقد تحول البدوي من اعتماد واسطة النقل المحلية وهي (الجمل) لحمل بيوت الشعر والأمتعة والأدوات المختلفة الى الاعتماد على سيارات الشحن الكبيرة والتي تعرف (بالحصنية) وكذلك الاعتماد على سيارات النقل الصغيرة والسريعة فأصبحوا بذلك أكثر حركة وأسرع انتقالا.

ومن المظاهر الريفية والحضرية والانتقال من (نمط الإنتاج الرعوي) ما نشاهده عند أكثر البيوت في جميع مناطق البادية الشرقية، فعدا السكن الدائم في بيوت من الطوب والحجر نلاحظ أن الكثير من المحال التجارية والبقالات قد أعلنت وجودها وأن هناك حركة تجارية نشطة من خلال بيع الأراضي، وفتح الكثير من مكاتب بيع الأراضي سواء في نفس القرية أو في مدينة المفرق، وبذلك فإن ظاهرة (السماسرة) أصبحت ظاهرة منتشرة بين أبناء البادية هذا بالإضافة إلى تربية الكثير من الطيور الداجنة في نفس المنزل من: دجاج، وبط، وحمام، وأوز وغيرها؛ وذلك للاستفادة من سد الحاجة الذاتية للأسرة، وبيع الفائض منها للسوق المحلية، بالطبع هذه مظاهر منها ما هو ريفي، ومنها ما هو حضري، أو أنه يسعى إلى أن يصل إلى الحياة الحضرية، وبالطبع فإن السير للوصول إلى الحياة الحضرية لا بد أن يمر بطريقة الحياة الريفية هذا على اعتبار أن تفكيك منظومة الحياة – وخاصة الاقتصادية– عند أبناء البادية تقتضي أن يمرّ هؤلاء بهذه الطريقة.

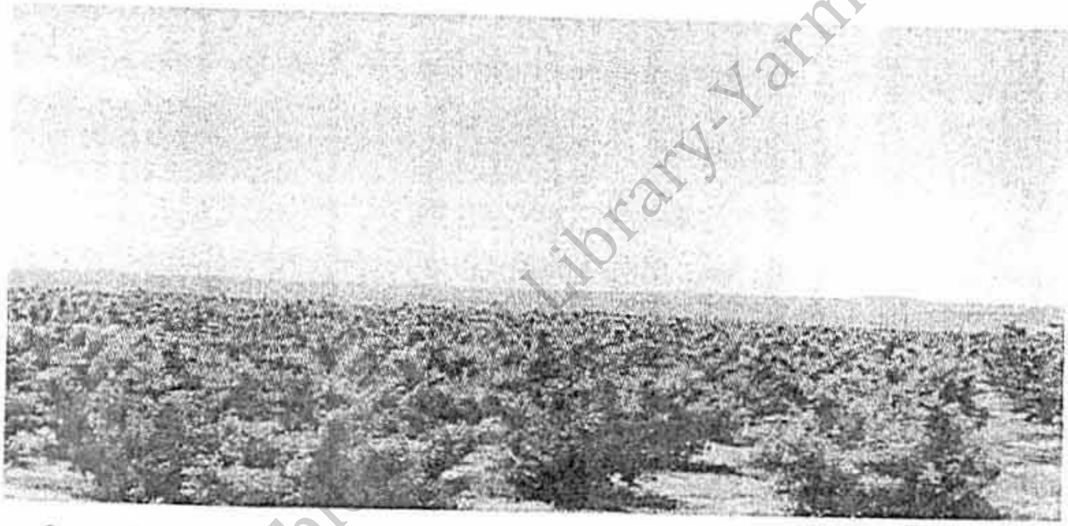
ومن الوقائع الدالة على أن هناك تحولاً في نمط الحياة البدوية والانتقال نحو الاستقرار، وولوج نمط الحياة الريفية، وتغيير النشاطات الاقتصادية والأعمال ذلك الإقبال الملاحظ على العمل في النشاطات الزراعية وقطاعات الأعمال في الحكومة وخاصة المؤسسة العسكرية، وقطاع الوظائف الحكومية في التربية والصحة، والكثير من الأعمال الخدمية في قطاعات الأعمال الحرة والخاصة.

فمثلاً بلغت مساحة الأراضي المخصصة للزراعة في لواء البادية الشرقية (٢٠٠,٠٠٠ دونم) منها (٦٠,٠٠٠) ألف دونم للخضار الصيفية و (٦٥٠٠٠ دونم) للحبوب الشتوية و (٦٤٨٧٧) ألف دونم أشجار مثمرة ، و(٣١٦٤٣) دونم لوزيات وتفاحيات و(٢٩١٩٩) دونم أشجار زيتون و(٤٠٣٥) دونم أشجار عنب و(١٣) مشتل خاص منها (٩) مشاتل خضار و(٤) مشاتل أشجار مثمرة، وبلغ عدد المحلات التي تهتم بالأدوات الزراعية بأنواعها والأسمدة والأدوية الزراعية (٨) محلات متخصصة كما أن هناك مصنع لرب البندورة ومعصرة زيتون، و(٤٢٤) بيت بلاستيكي، وهناك أيضاً (٣) مزارع دواجن تحتوي على (٥٥٠,٠٠) طير تقريباً، و (٢٤٥٠) رأس من الأبقار، ومزرعة خاصة لتربية الأسماك. (مديرية زراعة لواء البادية الشمالية الشرقية،٢٠٠٥).

هذه الأرقام الخاصة بقطاع الزراعة توضح لنا مدى الاهتمام الكبير من قبل أبناء البادية في تغيير النشاط الاقتصادي من نشاط معتمد بشكل شبه كلي على الأعمال الرعوية الخاصة بتربية قطعان الماشية إلى نشاطات اقتصادية تتجه نحو الاستغلال الأمثل للأراضي الزراعية، والقابلة للاستصلاح، وبعدما كان البدوي يأنف أعمال الفلاحة والزراعة، ويعتبرها من الأعمال التي لا تتفق مع نمط حياته المعتمد على الخشونة والتنقل والترحال وعدم الاستقرار بمكان معين أصبح البدوي أكثر قدرة على استصلاح الأراضي، وزراعتها وقيادة الآلات الزراعية واستخدام الأسمدة الزراعية، وأصبح البدوي مهتما أكثر بزراعة المساحات وخاصة بالمحاصيل الشتوية (بالقمح والشعير)، وكذلك الاهتمام بالمزارع الخاصة بإنتاج الخضار والفواكه، والتي تعتمد على الريّ الدائم عن طريق الآبار الارتوازية، فقد بلغ عدد



مزرعة زيتون (البادية الشمالية- الشرقية)   المصدر (مركز بحوث و تطوير البادية الاردنية ٢٠٠٦)



مزرعة لوزيات (دراق- البادية الشمالية- الشرقية) المصدر (مركز بحوث و تطوير البادية الاردنية ٢٠٠٦)



مزرعة تفاحيات (البادية الشمالية - الشرقية) المصدر (مركز بحوث و تطوير البادية الاردنية ٢٠٠٦)



منتوجات مزارع البادية (البادية الشمالية - الشرقية) المصدر (مركز بحوث و تطوير البادية الاردنية ٢٠٠٦)



مزرعة عنب (البادية الشمالية - الشرقية) المصدر (مركز بحوث و تطوير البادية الاردنية ٢٠٠٦)



مزرعة بندورة (البادية الشمالية- الشرقية) المصدر (مركز بحوث و تطوير البادية الاردنية ٢٠٠٦)

هذه الآبار في منطقة البادية الشرقية حوالي (٢٨٨) بئر ارتوازي (مديرية زراعة لواء البادية الشرقية، ٢٠٠٥)*.

وعلى الرغم من ذلك العزوف عن الأعمال المهنية واليدوية من قبل أبناء البادية، والذي كان يشكل وصماً اجتماعياً، ودونية اجتماعية تماشياً مع العادات والتقاليد البدوية التي لا تشجع على مثل هذه الأعمال، على الرغم من ذلك نلحظ هناك اتجاهاً قوياً نحو العمل بالأعمال الفنية والمهنية، والأعمال اليدوية خاصة مع التطور والتقدم في مجال التعليم، وخاصة التعليم الثانوي والجامعي وفي كليات المجتمع الجامعية المتوسطة وتشير بعض الدراسات والمسوحات إلى وجود تغير وتحولات لدى الشباب المتعلم في البادية تجاه القيم الاقتصادية لمواجهة الحياة العملية مع الواقع والظروف المعيشية حيث يحاولون التوفيق بين القيم الاجتماعية الإيجابية والقيم الاقتصادية المجدية وبالتالي تجاوزوا وقضوا على ثقافة العيب عندهم والنظرة الدونية لأنماط المهن والحرف اليدوية والتقنية . (ساري، ٢٠٠٠: ٩٣).

ومع الدلائل التي توضحت لنا سابقاً وبينت أن هناك اتجاهاً نحو التعليم وبالتالي تغير النظرة نحو الأعمال اليدوية، والعمل بالزراعة، وتغير نشاط الإنتاج الرعوي إلا أننا لا نستطيع الإبحار في ذلك كثيراً؛ ذلك أن أكثر الدراسات دلت من خلال نتائجها ومسوحاتها على أن النشاط الاقتصادي المعتمد على الثروة الحيوانية لا زال هو المسيطر وهنا لا ننكر أن هناك اتجاه نحو التغيير استجابة للواقع بقدر ما ننوه ونلفت الأنظار إلى أن هذا التحول بحاجة إلى مدى قد يساوي تلك الفترة التي قطعها هذا التحول حتى يصبح دائما وبشكلاً نستطيع من خلاله أن نتحدث عن انتقال كلي لنمط الإنتاج من نمط إنتاج رعوي شبه زراعي إلى نمط

(*) هناك الكثير من المستثمرين في الزراعة من خارج منطقة البادية الشمالية، وكذلك الكثير من العمالة الوافدة التي تعمل في أعمال الزراعة.

إنتاجي مختلط من قطاعات الإنتاج المختلفة من الوظائف الحكومية إلى النشاطات التجارية: (فتح البقالات وتجارة الأراضي) إلى النشاطات الزراعية الحديثة.

ففي الدراسة التي أجراها (الحنيطي، ١٩٩٧: ٨٥) بينت النتائج أن معدل القوى العاملة المشتغلة من الذكور (٦٩,٨%) مقابل (٣٠,٢%) من الإناث، وعند توزيع القوى العاملة على النشاطات الاقتصادية الرئيسية التي تعمل بها أظهرت أن (٦٢%) منها تعمل بالرعي والإنتاج الحيواني، و(٢٢,٩) بوظائف إدارية في حين لم تشكل الزراعة سوى (٢,٥%)، والتي تمتهنها بوصفها نشاطا يشكل مصدر الدخل الأول عندها، وشكلت المصادر الأخرى من التجارة، والنقل، والإنتاج والبناء والأعمال المهنية ما قيمته (١٢,٦%).

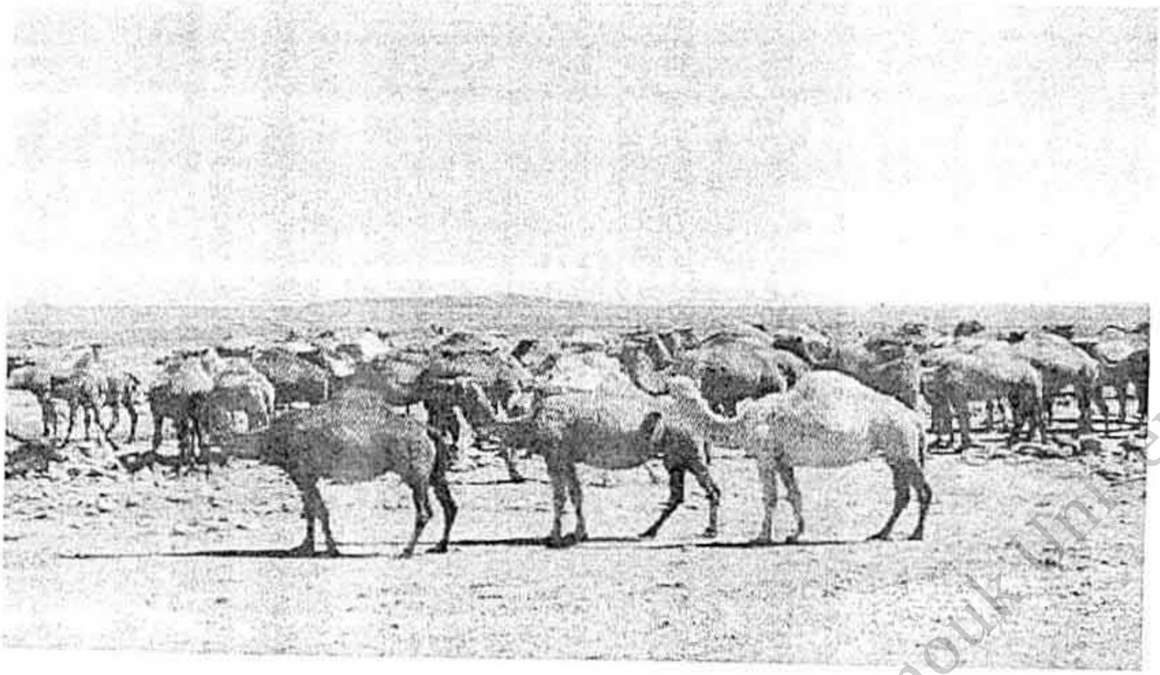
وفي دراسة أخرى وصل (العثمان، ١٩٩٢: ١١٦) إلى نتائج في بحثه الذي أجراه على البادية الشمالية الشرقية كان من أهمها انخفاض نسبة العاملين بالنشاطات الزراعية والثروة الحيوانية على السواء، وذلك من مجموع العاملين في عينة الدراسة، وارتفاع نسبة الأمية بينهم، وانخفاض مستوياتهم التعليمية، وتدني دخولهم باستثناء كبار المزارعين ومربيّ الأغنام الذين يشكلون نسبة ضئيلة، ويتمتعون بدخول عالية.

وتشهد المنطقة تدنياً وتذبذباً في سقوط الأمطار بحيث لم تعد الزراعة البعلية مضمونة النتائج، إذ غالباً ما تنتهي هذه الزراعة إلى الفشل، أما الزراعة المروية فقد تبين أن نسبة قليلة من أسر العينة تستخدم الأرض لأغراض الزراعة المروية، ولوحظ تطور إيجابي في اتجاهات أسر العينة نحو زراعة الأشجار المثمرة، وخاصة في المساحة المجاورة للسكن وذلك لما لهذه الأشجار المثمرة وخاصة في المساحة المجاورة للسكن من فائدة على المستوى الاستهلاكي الغذائي للأسرة، وعلى مستوى الاستثمار، وزيادة الدخل للأسرة، وهذا ما يتطابق مع ما لاحظناه سابقاً في مؤشرات الانتقال من المجتمع الرعوي إلى المجتمع الريفي.

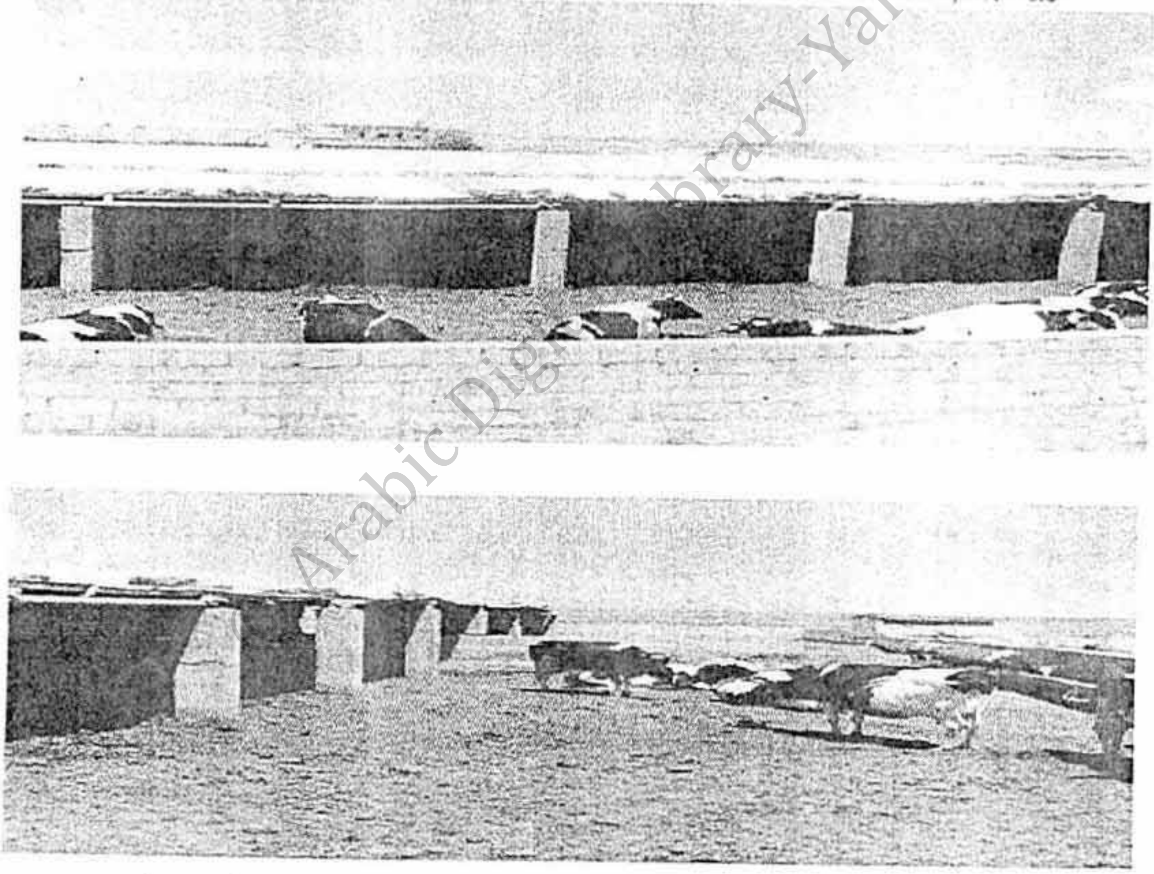
ويتابع (العثمان، ١٩٩٢: ٩٤) والشيء الملفت للانتباه أن غالبية أسر العينة لا تمتلك أي نوع من أنواع الماشية حيث أن ربع هذه العينة فقط هي التي تقوم بتربية الماشية من أغنام وماعز، وأن غالبية الأسر التي لديها ماشية عادة ما تكون ملكيتها لأعداد قليلة وترتكز ثلثي الثروة الحيوانية في منطقة الصفاوي والرويشد وهذا يعني أن غالبية أسر العينة تتجه نحو الاعتماد على العمل الوظيفي كمصدر دخل رئيس، ويواجه مربو الأغنام والماعز مشكلات تتعلق بنقص الأعلاف؛ بسبب عدم كفاية العلف المدعوم من الحكومة، وطول فترة تغذية الماشية بالعلف؛ بسبب تكرار سنوات الجفاف الناتجة عن تدني سقوط الأمطار الذي يؤدي إلى تدهور المراعي الطبيعية، وعدم كفايتها في منطقة البادية الشرقية.

وفي دراسته في البادية الشمالية الشرقية وجد (البدور، ١٩٩٨: ٣٤-٣٥) من خلال تحليل الاستماره البحثية أن نسبة (٧٥%) يمارسون النشاط الزراعي الرئيسي، وهو الزراعة وتربية الأغنام والماعز في حين أن زراعة الشعير تقع في الاهتمام الثاني وبنسبة (١٢%) وبلغت المساحة المزروعة شعيراً حوالي (٦١٦٢) دونم بينما كان (١٠%) يمارسون زراعة الخضروات، ويزرعون ما مساحته (١٦٠٠) دونم، و(٢%) مهتمون بزراعة القمح حيث بلغت المساحة المزروعة قمحاً (١٥٧٧) دونم، وهذا يشير إلى أن تربية الأغنام لا تزال تشكل المصدر الرئيسي للدخل عند السكان بالرغم من أن هناك أعمال أخرى ترافقها مثل زراعة الشعير في الأراضي المجاورة للتجمعات السكانية، وأراضي المسطحات الطينية المسماة محليا (مربّات)، أما بالنسبة لزراعة الخضار فهي زراعة دخلت حديثا إلى منطقة البادية الشرقية.

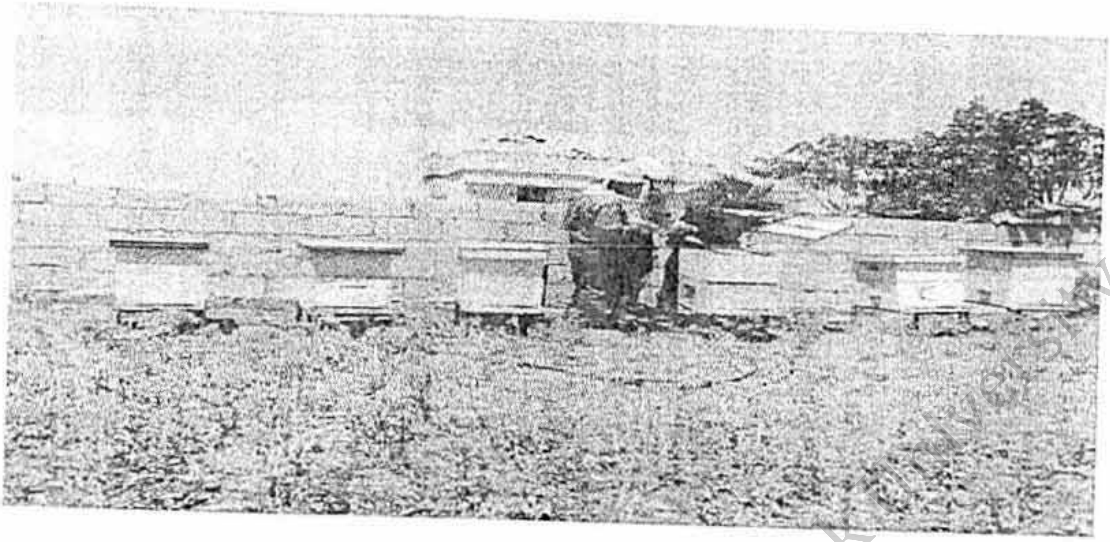
يُلاحظ أن هناك انتقال إلى الحياة شبه المستقرة في منطقة البادية الشمالية الشرقية، وقد بيّنا ذلك من خلال بعض المؤشرات السابقة، فتوفر الخدمات المختلفة للبنية التحتية مثل: الكهرباء، والماء، والصحة، والتعليم، والمواصلات وشق الطرق والاتصالات وتحسين مستوى



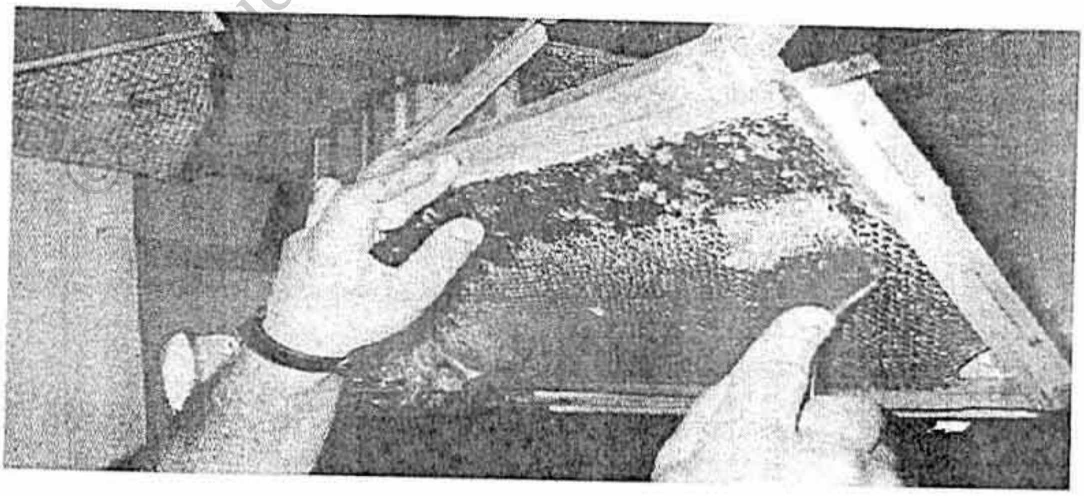
تربية الإبل (البادية الشمالية- الشرقية)   المصدر (مركز بحوث و تطوير البادية الاردنية ٢٠٠٦)



مزرعة أبقار (البادية الشمالية- الشرقية)   المصدر (مركز بحوث و تطوير البادية الاردنية ٢٠٠٦)







(تربية النحل)   من النشاطات الحديثة لمجتمع الدراسة (البادية الشمالية- الشرقية)
المصدر (مركز بحوث و تطوير البادية الاردنية ٢٠٠٦)

التعليم، جعل أبناء البادية يتجهون للتعليم، وبالتالي أصبح هناك موظفون في قطاع الصحة والتربية والتعليم، ومختلف القطاعات الأخرى. طبعاً كان للمؤسسة العسكرية دورٌ كبير أيضاً في شد انتباه أبناء البادية نحو الاستقرار، والاستغناء على حياة التنقل والترحال ولم يكن هذا جديداً على أبناء البادية فقد كان ذلك مع بدايات قيام حكومة شرقي الأردن فقد تشكل الجيش العربي بنواته الأولى من أبناء القبائل، وكان لأبناء قبائل منطقة البادية الشمالية الشرقية نصيبٌ كبيرٌ من عداد هذا الجيش، وخصوصاً قوات البادية، وحرس الحدود التي تشكلت بمساعدة الضابط الإنجليزي (كلوب) هذه الأسباب بالإضافة إلى مد خطوط أنابيب النفط العراقي من (كركوك إلى حيفا) و شق طريق بغداد الواصل بين بغداد وعمان مروراً بالمفرق، ووجود قاعدة للطيران الإنجليزي في منطقة الصفاوي، ومن ثم قاعدة الملك حسين الجوية في المفرق، شكلت هذه العوامل البذرة الأولى، والإرهاصة الأولى نحو إقبال أبناء البادية على تغيير بعض المفاهيم لديهم، وخاصة في مجال العمل اليدوي (العمل كعمال في شق طريق بغداد)، وحراسة المباني، والالتزام بالخدمة الدائمة وعدم الرحيل من حين لآخر (الالتحاق بقوات البادية وحرس الحدود)، والالتزام بقوانين وأنظمة تعمل على تنظيم حياتهم التي كانت تقوم بالسابق على الفوضى وعدم الالتزام.

وسكان البادية لم يعودوا يعتمدون على نشاط إنتاجي أحادي كما في السابق مثل الاعتماد على تربية الماشية، أو الاعتماد على الزراعة البعلية والمروية. إنهم يتطلعون للعمل في قطاعات الخدمات والوظائف، وفي الأجهزة والمؤسسات الحكومية، وتفضيل الدخل بالراتب المستمر والثابت بمعنى أن هناك أنماطاً جديدة للعمل قد ظهرت نتيجة للتغيرات في منطقة البادية، وقد ترتب على هذا التطور والتغير استخدام أدوات ووسائل حديثة كاستخدام

المحاريث الآلية (التركتورات) والمخصبات الزراعية والأسمدة، والمطاعيم البيطرية للحيوانات وللمزروعات، وصهاريج خاصة لنقل المياه. (حراحشة، ٢٠٠٠: ٤١).

٤-٢: التحول الاجتماعي- الاقتصادي في مجتمع الدراسة:

من الملاحظات المهمة في منطقة البادية الشمالية الشرقية ذلك التغير السريع والتحول الجذري والحراك الاجتماعي الديمغرافي والاقتصادي فمن ناحية فإن الزيادة الطبيعية بالمواليد، وتحسن شروط الحياة الصحية أوجب أن تتوسع تلك المنطقة فالعمران أصلاً مرتبط بزيادة السكان، وتكاثرهم ومن ناحية ثانية فإن أعمال السكان آخذه بالتحول من نشاط الإنتاج الرعوي إلى نشاط إنتاجي مختلط معتمد اعتمادا كبيرا على الوظائف الحكومية وخاصة في قطاع المؤسسة العسكرية والأعمال الإدارية في دوائر الحكومة المختلفة وبذلك فإن هذا التحول في المهنة أوجب تحولا في الحياة الاجتماعية للأفراد، فالوظائف في قطاع الحكومة يلزمه الاستقرار والسكن لا التنقل والترحال، وبالطبع وجدنا أن الكثير من أبناء البادية قد نزع إلى الاستقرار في بيوت من الطوب بعدما كانت بيوت الشعر تشكل المأوى الرئيسي لهؤلاء، واستبدل الكثير من هؤلاء واسطة النقل الرئيسية في الصحراء وهي (الجمل) بسيارة الشحن الكبيرة (الحصنيَّة) أو بسيارة (البيك أب) وأصبحت حياتهم أكثر استقرارا وسكنا من ذي قبل، وتخلى الكثير منهم مما كان يملكه من أغنام وماعز، واقتنوا الوسائل العصرية والحضرية من راديو وتلفزيون وساتلايت وأجهزة الاتصال الخلوية.

يقول الخزاعلة: (٢٠٠٥: ٥٨-٥٩) طبعت البادية الأردنية سكانها بطابعها الخاص فكانت البداوة المترحلة تاريخياً تمثل حضوراً واضحاً في البادية الأردنية، وقد بدأ التغير الاجتماعي في حياة البدو وأسلوب معيشتهم مع تأسيس الدولة الأردنية عام ١٩٢١م، وانخرطت فئات واسعة من البدو في الأنشطة الاقتصادية المرتبطة بالدولة الاردنية ، متخلين

عن الانشطة الاقتصادية المرتبطة بحياة البدو السابقة حيث حلت العصرية والتحديث محل الأنماط التقليدية السابقة، وأصبحت تشاهد بوضوح الخبز ومعلبات واللبن وغيرها من المعلبات القادمة من عمان والمدن الأردنية الأخرى يومياً موجودة في البقالات في أعماق البادية.

من خلال ما تقدم نلاحظ أن تغيرا وتحولا سريعاً قد أصاب سكان البادية، وأصبحت حياتهم متأثرة بأسلوب الحياة المدنية والعصرية فلم يعد البدوي ذلك الشخص الذي يعتمد على الأغنام وما تنتجه لسد حاجاته الأساسية، بل أصبح أكثر طلبا لوسائل الحياة العصرية، وهذا التحول بالطبع لم يكن محض صدفة ذلك أن اتجاه أبناء البادية نحو الالتحاق بالوظائف الحكومية أوجب عليهم الاستقرار بمكان معين، وأن هذا الاستقرار بحاجة إلى بناء مسكن ثابت من الطوب والاسمنت لا يمكن خلعه وطويه ثم الرحيل وهذا المسكن بدوره أوجد حاجة ملُحه لملئه بالتقنيات الحديثة واللوازم الضرورية، فرأينا اتجاه أبناء البادية نحو امتلاك الراديو أولاً ثم أجهزة التلفزيون والساتلايت وأجهزة الاتصال الخلوية وشراء السيارات، وبسبب هذا الحال فإن البدوي لم يعد يجد الوقت الكافي لرعاية الأغنام، ولم يعد ذلك الحماس الذي وجد عنده باكراً في تربية ورعاية الأغنام هو نفس الحماس الآن مع تطور الحياة والاتجاه نحو حياة المدينة والتحضر.

يورد(الخزاعلة ،٢٠٠٥: ٥٩) إن علاقات الإنتاج الجديدة قد دمجت البدو في الأنشطة الاقتصادية الحديثة المرتبطة بالدولة، وحولتهم إلى جنود وموظفين أو عمال زراعيين في المشاريع الزراعية الكبيرة التي أنشأها مستثمرون من خارج منطقة البادية، وكانت النتيجة المباشرة لهذا الدمج أن تضاءلت البداوة التي تعتمد على التنقل والترحال حيث اتجه السكان للاستقرار في قرى دائمة والعمل بمهن لا تعتمد على رعي الماشية فقط.

ومن خلال العينة وجد (الخزاعلة، ٢٠٠٥: ٥٩-٦٠) أن هناك تحولاً في النشاط الاقتصادي (المهنة) لأجيال الأسرة البدوية من خلال دراسة جيل الأجداد ومن ثم الأبناء فالمبحوث نفسه وقت إجراء الدراسة تبين له أن مهنة الرعي عند الجيل الأول (الأجداد) كان عددها (٥٠٤) وبنسبة (٦٩,٢%) وعند الجيل الثاني الآباء (٤١٥) أسرة وبنسبة (٥٧%) بينما كانت عند الجيل الثالث (الحالي) بعدد أسر (١١٨) وبنسبة مئوية مقدراها فقط (١٦,٢%) وفي التجارة وجد أن جيل الأجداد كان عددهم فقط (٢٨) أسرة وبنسبة مئوية قدرها (٣,٨%) فقط في حين كان أسر الأبناء (٤٢) أسرة وبنسبة مئوية قدرها (٥,٨%) والجيل الثالث نفس فالمبحوث كان عدد الأسر(٣٠) أسرة وبنسبة (٤,١%) أما في قطاع الزراعة فكان عدد الأسر عند الأجداد (٨٦) أسرة بنسبة (١١,٨%) وجيل الأبناء (١٥٠) أسرة بنسبة (٢٠,٦%) والجيل الثالث (٨٥) أسرة بنسبة (١١,٧%)، وفي قطاع الحكومة مثلاً في القوات المسلحة وصل عدد الأسر التي تعمل في هذه القوات من الأسر المبحوثة إلى (٢٥٧) أسرة من أصل (٧٢٨) بنسبة (٣٥,٣) وذلك عند الجيل الثالث أما موظفي الحكومة فقد كان عدد الأسر (٩٦) أسرة بنسبة (١٣,٢%).

مما تقدم نجد أن هناك تحولاً ملحوظاً في المستوى الاقتصادي فلم يعد هناك اعتماداً كلي على النشاط الرعوي كما كان سابقاً، ولم يعد البدوي يأنف الأعمال النظامية والإدارية، ولم يعد يحتقر العمل بالزراعة والفلاحة بل أصبح الآن أكثر تشوقا وحماسا لإرتياد هذه الأعمال فقد زاد الاستقرار بسكن دائم من هذا الاتجاه، وعملت الحكومة على دعم هؤلاء للاستقرار، وترك حالة التنقل والترحال الدؤبين، وقد كانت هذه السياسة متبعة منذ قيام الكيان الأردني في منطقة شرقي الأردن عام ١٩٢١، فقد عملت هذه الدولة الفتية على زج أبناء

البادية في القوات المسلحة وخاصة أبناء الشيوخ، وقد قامت بتأسيس نواة لقوات البادية تتناسب مع عادات وقيم وتقاليد أبناء هذه العشائر.

كما يمكننا رصد مجموعة من الوقائع والإرهاصات الأولى التي ساعدت على التحول الاقتصادي- الاجتماعي في البادية الشمالية الشرقية نذكر مثلاً:

أولاً: قرار الأمم المتحدة بالاعتراف بشرقي الأردن وقيام الدولة حيث كان ذلك في سنة (١٩٢٠)، وبذلك تم الاعتراف بحدود سياسة جغرافية مرسومة قسمت أوصال البادية إلى بادية عراقية، وبادية سعودية، وبادية سورية،و بادية أردنية، وبذلك تحددت حركة البدو.

ثانياً: توفر الكثير من فرص العمل التي جاءت بداية مع مد خط أنابيب النفط العراقي (كركوك-حيفا) حيث اضطر الكثير من أبناء البادية العمل فيه وكذلك فيما بعد إنشاء قاعدة لسلاح الجو البريطاني في منطقة الصفاوي.

ثالثاً: التشجيع الحكومي لأبناء البادية على الاستقرار وعدم التنقل والترحال وكانت الخطوة الأولى لهذا التشجيع تقسيم الواجهات العشائرية على الشيوخ تمهيداً لتوزيعها على أبناء البادية.

رابعاً: اهتمام الحكومة (الحكومات) على توفير البنية التحتية لمناطق البادية من: مدّ شبكات المياه، مدّ التيار الكهربائي، بناء المدارس الحديثة، مد شبكات طرق ومواصلات حديثة لتحسين شروط الصحة بافتتاح الكثير من المراكز الصحية الأولية، والتي تطورت مع مرور الزمن لتصبح مراكز صحية شاملة ومن ثمّ مستشفيات (مثل مستشفى الرويشد) بالإضافة إلى مراكز صحية أولية في جميع مناطق البادية.

ويرى (الخزاعلة، ٢٠٠٥: ٦١) في دراسته عن البادية الشرقية أن التغير في النشاط الاقتصادي لدى مجتمع الدراسة قد تبعه مجموعة من التحولات الاقتصادية التي أثرت بشكل مباشر على أنماط معيشتهم وعملهم ومن هذه التحولات:

١- التحول التدريجي نحو عدم الاعتماد على تربية الماشية والرعي كمصدر أساسي لعيشهم، حيث ذكر (٥٢,٦%) أنه لا توجد لديهم أية ماشية.

٢- التحول نحو العمل خارج أو بعيداً عن أماكن إقامتهم، فهناك (٤٦,٧%) من أفراد العينة يعملون خارج قراهم.

٣- التحول نحو القيام بأعمال زراعية، فقد ذكر (٦١,٣%) من أفراد العينة أنهم ورثوا أراضي وعقارات من والديهم وآخرين، وقام (٧,١%) منهم بحراثة الأرض وزراعتها، و(٧٤%) بحراثة حديقة المنزل وزراعتها، و (٦٣,٣%) قاموا بتسييج منازلهم وتسويرها. وعليه فإن دخل الأسرة لم يعد يعتمد على نشاط واحد بل هناك تنوع وتداخل في مصادر الدخل الخاصة.

وقد تبين كذلك من خلال الدراسة السابقة،(الخزاعلة، ٢٠٠٥: ٦٢) إن هناك ارتفاعا ملحوظا في تغيُّر وتبدُّل مصادر الدّخل عند أفراد عينة الدراسة، فقد كان عدد الذين التحقوا بالوظائف المدنية (١٣٨) أسرة بنسبة (١٩%)، وفي الوظيفة العسكريَّة (٣٣٩) أسرة بنسبة مئوية مقدارها (٤٦,٦)، والأعمال التجارية (٨٣) أسرة بنسبة مقدارها (١١,٤%)، والأعمال الزراعيَّة (٢١٣) أسرة بنسبة (٢٩,٣%) واقتناء سيارات خاصة (١٩٩) أسرة بنسبة (٢٧,٣%) وفتح محلات تجارية (٤٣) أسرة بنسبة (٥,٩%)، وحرث أراضٍ زراعية (١٤٥) أسرة بنسبة مئوية مقدارها (١٩,٩%).

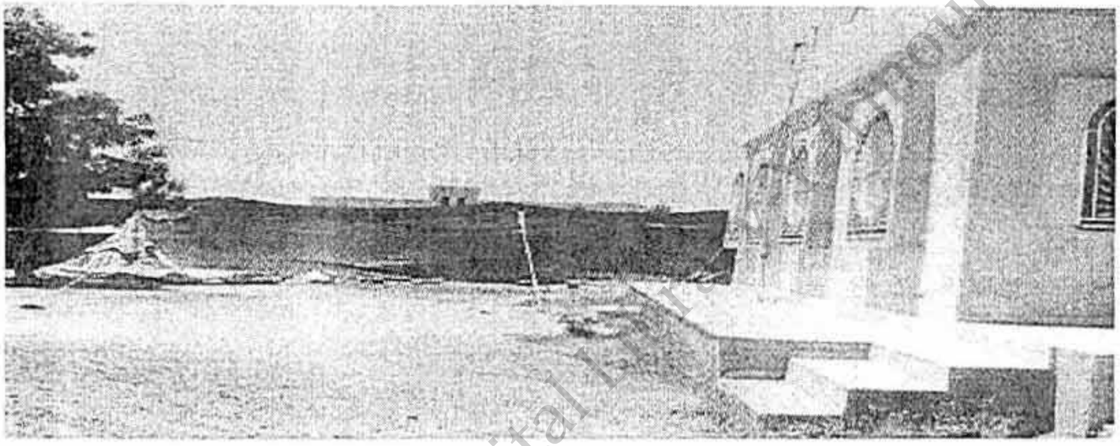
والملاحظ أن هناك تحوّلا كبيراً في تحوّل أفراد عينة الدراسة عن العمل التقليدي من تربية الماشية إلى الأعمال الحديثة، وخاصة في قطاعي الوظائف الحكومية (مدني وعسكري) فقد وصلت نسبة الذين يعتمدون على الوظيفة العسكريّة (٤٦,٦%) وهي نسبة كبيرة لا يستهان بها، ومن الواقعي أن تعطينا مؤشرا قويّا على التحوّل الاقتصادي الاجتماعي الواقع في البادية الشمالية الشرقية. كما كانت نسبة الأبناء الملتحقين بالوظائف المدنية والعسكرية-لأبناء أرباب الأسر(-١٥,٥%) و(٢٩,٣%) يعتمدون بدخلهم على الأعمال الزراعيّة، و(٢٧,٣%) يعتمدون بدخلهم على امتلاك السيارات.

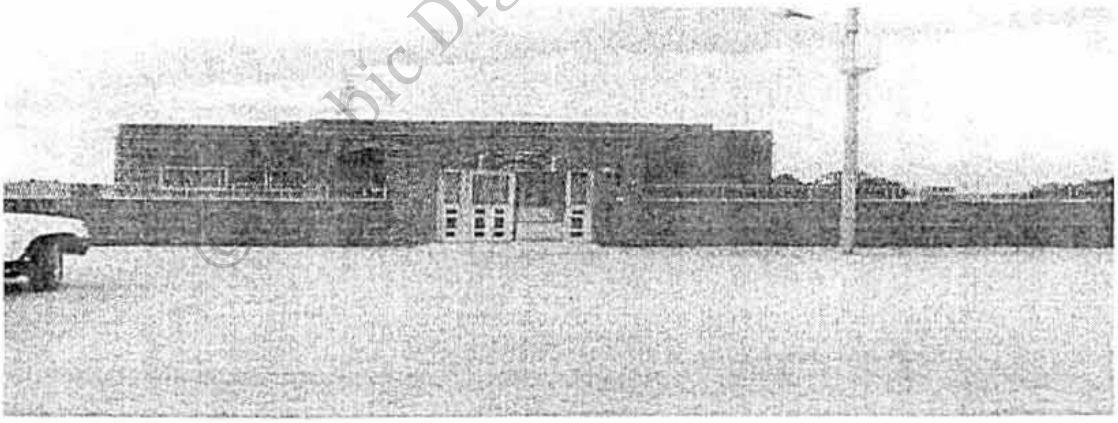
ومن خلال هذه المؤشرات يمكننا الاستدلال على أن مجتمع البادية الشمالية الشرقية يتصف بأنه مجتمع انتقالي ومتحوّل: انتقالي من حيث أنه ينتقل من مرحلة النشاط الرّعوي المعتمد على الماشية كوسيلة للإنتاج إلى مرحلة (النشاط المختلط) الذي تدخل فيه الزراعة والوظيفة الحكومية (مدني-عسكري) والتجارة والسيارات الخاصة وامتلاك الأراضي والعقارات، كوسيلة إنتاجية يعتمدها البدوي الذي أصبح فاقدا لأهم محددات البداوة، - أعني هُنا- ملكية المواشي والتنقل والترحال من مكان لآخر، فأصبحت منطقة البادية منطقة ريفيَّة أكثر منها بدوية، مع وجود بقايا رثة من أساليب الإنتاج الرعوي التي بدورها اختلطت بشكل أو بآخر مع الأساليب الإنتاجية الحديثة، وما تبقى من حياة البادية، أعنى البادية كأسلوب حياة، لا يتعدى ثقافة بدوية تحنُّ للماضي عبر إلصاق بيوت الشعر بمنزل الحجر، والاحتفاظ بأواني صنع القهوة العربيَّة، وبعض الأدوات الحربيَّة من سيوف وحراب وخناجر، بالإضافة إلى رموز من بعض الجمال، أو الخيول العربية تربط بمسافة قريبة من منزل الحجر.

ومع الدافع الرئيسي للتحول الاجتماعي-الاقتصادي لسكان البادية الشمالية الشرقية، وهو الاستقرار فقد كانت هناك أسباب فرعيَّة، لكنها شكلت وحدة كلية في إحراز هذا التحــول الحادث هناك، فقد أدى استقرار البدو، وتوطنهم التلقائي في أماكن تواجدهم إلى النزوع لكثير من مهمات وأساسيات هذا الاستقرار، أعني الإقبال على أعمال مثل: التعليم، والاستفادة مــن الخدمات الحكوميَّة، الصحية والخدمية شبكة المياه، شبكة الكهرباء، شبكة الاتصال، كان سبباً ونتيجة في نفس الوقت فلو لم يستقر البدو ويضعوا ذلك نصب أعينهم، ووجود الرغبة عندهم، لما أمكن للدولة تقديم الكثير من الخدمات لهم، ومثال بسيط على ذلك فتح وبناء المدارس، فلو بقي البدو على حالتهم الترحالية والتنقلية لفشلت العملية التعليمية حتماً ، لأن هذه العملية بحاجة للاستقرار بمكان معين وعدم التنقل والترحال، وبذلك فقد أدت هذه العملية لاحقا إلى إحــداث التحولات الاجتماعية والاقتصادية في البادية الشرقية، ونستطيع القياس على ذلــك بمجمــل العمليات الأخرى الصحيَّة والخدمية.

يورد (أبو حشيش، ١٩٩٨: ٣٨) (بينما بلغت نسبة الذين توطنوا بسبب الاستفادة من الخدمات التعليميَّة حوالي ٢٣% خصوصاً بعد أن أيقن هؤلاء السكان أهمية التعليم في إيجاد فرص عمل أفضل أمام المتعلمين منهم، وانعكاس ذلك على المركز الــوظيفي والاجتمــاعي للفرد المتعلم منهم، فقد استجاب هؤلاء في مجاراة العصر والتحضر خصوصاً بعد أن انتشرت مدارس وزارة التربية والتعليم ومدارس الجيش في جميع أنحاء البادية، فقــد وصــلت نــسبة التوطن بسبب التعليم في محافظة المفرق والبادية (١٨%)، وبلغت نسبة الذين توطنوا بــسبب إنشاء الخدمات في المفرق والبادية (شبكات مياه الــشرب، الكهربــاء، طــرق الموصــلات، الهاتف، العيادات الصحيَّة، مكاتب البريد، مراكز الأمن العام، المجالس القرويــة، الجمعيــات التعاونية...الخ(٢٦,٥%)).







تطور مكان السكن في مجتمع الدراسة (البادية الشمالية- الشرقية)
المصدر (مركز بحوث و تطوير البادية الاردنية٢٠٠٦)

ومن الأسباب التي يوردها (أبو حشيش، ١٩٩٨: ٤١)لاستقرار سكان البادية تناقص أعداد الثروة الحيوانية، فقد أدت التغيرات البيئية في المراعي الأردنية إلى تناقص طاقتها الحمولية الرّعوية بسبب تجاوز حمولة المراعي في البادية إلى الرعي المفرط (الجائر)، والذي أدىّ إلى تدمير بيئة المراعي الأردنية مما أدى إلى انخفاض إنتاجية الحيوانات إلى أعداد قليلة بهدف الاكتفاء الذاتي للعائلة الأمر الذي ساهم في تناقص أعداد الثروة الحيوانية، وقد ساهم انخفاض إنتاجية الحيوانات، وتناقص أعدادها إلى البحث عن بديل اقتصادي للسكان كالعمل في قطاع الخدمات أو الجيش، مما دفع البدو إلى التُّوطن. كما ساهمت بعض الدوافع الشخصيَّة مثل: الملل من حياة التنقل والترحال، والتجول وراء الكلأ والماء، والخلوُد للراحة والاستقرار ومسايرة الحياة وركب الحضارة العصرية، والدافعية نحو تعليم الأبناء...إلى الاستقرار وترك حياة التنقل والترحال.

وفي استمرار الحديث عن التوطن والاستقرار كأحد أهم الأسباب نحو التحولات الاجتماعية الاقتصادية، فقد قارن(أبو حشيش،١٩٩٨:٧٠) خلال المسح الميداني الذي أجراه في دراسته ودراسة المهن السائدة قبل التوطن تبين أن (٥٨,٢%) من البدو المستقرين امتهنوا حرفة الرّعي، أما نسبة الذين انخرطوا في الجيش فكانت (٢٣,٧%) في حين بلغت نسبة الذين مارسوا الزراعة (١٢,٨%)، وأما نسبة الذين عملوا كعمال في الطرق فكانت (٥,٣%)، وهذا يدلّ على أن مهنة الرّعي والعمل في الجيش كانت من أهم المهن التي سادت قبل الاستقرار إذ كان البدو يأنفون العَمَل بالزراعة أو الصناعة أو بالتجارة لأنها حرف لا تتفق مع طبيعة حياتهم.

أما بعد التوطن:(أبو حشيش، ١٩٩٨: ٧٠-٧١) فقد ظهرت تحولات في طبيعة المهن التي كانوا يمارسونها إذ لم تعد حرفة الرَّعي هي الحرفة السائدة فقد انخفضت نسبة

الذين يمارسونها إلى (١٠,٧%) وأنما ظهرت حرف جديدة أملتها علـيهم ظـروف وحيـاة الاستقرار الجديدة، وفي المقابل فقد ارتفعت نسبة العاملين في الزراعة إلـى (٣١%)، إلا أن الزراعة في المناطق الجافة وبأتباع الطرق التقليديَّة تعجز عن تأمين متطلبات الحياة الأمـر الذي دفع نسبة كبيرة إلى الانخراط في صفوف الجيش حيث وصلت نسبتهم إلـى (٢٧,٧%)، في حين ظهرت مهن جديدة لم يأنسها البدو قبل التوطن والاستقرار تمثلت في العمل الوظيفي بنسبة (١٢,٨%) أو العمل في المحلات التجارية بنسبة (٧,٤%) أو العمل كسائق سيارة بنسبة (٥,٤%) أو العمل بسلك التدريس بنسبة (٢,٩%). ولدى إجراء المقارنة وجد حدوث تحولات مهنية في كل من حرفتي الرّعي والزراعة بنسب ملحوظة، فقد تراجعت نسبة حرفة الرعي- قبل وبعد التوطن-من (٥٨,٢%) قبل التوطن إلى (١٠,٧%) بعد التوطن، بينما ارتفعت نسبة العاملين في حرفة الزراعة (١٢,٨%) قبل التوطن، إلى (٣١%) بعد التوطن، والعمـل فـي قطاع الجيش من (٢٣,٧%) قبل التوطن إلى (٢٧,٧%) بعد التوطن.

ولأهمية عملية توطن البدو واستقرارهم في إحداث التحوّل الاجتماعي والاقتصادي، فإن أبراز العوامل التي ساعدت على هذا التوطن والاستقرار تصبح من الأهميَّة بمكان ذلك أن هذه العوامل هي نفسها التي أثرت بالتالي في إحداث عملية التحوّل الاجتماعي والاقتـصادي وتوتير عملية التغيّر الاجتماعي التي شهدتها وتشهدها البادية الشمالية الشرقية حاليّاً.

فقد كانت لأسباب مثل مَدّ خط سكة حديد الحجاز، والاتفاقيات بين القبائل الأردنيـة في البوادي، ومنها البادية الشرقية والحكومة بحيث تساعد هذه القبائل في عملية تثبيت أبنيـة الدّولة الجديدة، وإخضاع النزعات العدائية عند أبناء البادية نحو سكان الريف والحضر، وذلك لإثبات هيبة الدّولة الناشئة آنذاك بالمقابل تعمل الدّولة وبطرقها الرّسميَّة على توزيع الأعطيات والهبات ومنها تفويض الأراضي لشيوخ هذه العشائر، وتجنيد أبنائهم في العسكريَّة، وإحلالهم

في الوظائف الحكوميَّة الأخرى مما ساعدهم بشكل كبير في توطن هؤلاء البدو والاستغناء عن حياة الغزو والاعتداء سواء بين هذه العشائر نفسها، أو بين هذه العشائر والجماعات الريفيـة والحضريَّة في المدن والأرياف المختلفة، وبالتالي فإن تحوّلا قد طرأ على أبنية هذه العشائر، ووظيفتها في نفس الوقت، فلم يعد مثلاً: الغزو وسيلة لجمع الثروة والهيبة الاجتماعيَّة، ولم يعد الاعتداء على الآخرين مظهرا من مظاهر الرجولة والفروسية، كما كان سابقاً، كما ان حيازة المواشي من أغنام وماعز وجمال وخيل لم تعد وسيلة مجزية اقتصاديا بعدما أصاب منـاطق البادية سنوات من القحط والجفاف، وارتفاع أسعار الأعلاف بعد قطع الدّعم الحكومي عنها.

وتُعدّ عملية إشراك أبناء البادية في الجيش، وخاصة في قوات البادية وحرس الحدود من العمليات الناجحة في كبح جماح هذه العشائر التي كان ينظر لها بعين من الرّيبـة نحـو الإخلال بالأمن وتعكير العلاقات مع الكيانات السياسية المجاورة، والملاصقة لحدود الإمـارة الناشئة حديثا، فقد أدّت التطوّرات السياسية في الشرق الأوسط إلى إحداث تقسيم جيو-سياسي وخاصة بعد اتفاقيتي سايكس-بيكو ١٩١٦م، ووعد بلفور، وسان ريمو ١٩٢١م فقد بقي أبناء العشائر يتحركون بسهولة بين هذه الكيانات السياسيَّة .

وقد لعبت الحكومة فيما بعد دورا حضاريا في توطين واستقرار البدو فـي أمـاكن تواجدهم المختلفة، وبالتالي ساعدت في إحداث التغيير الاجتمـاعي والتحـولات الاجتماعيـة الاقتصادية الكبيرة، فقد عمدت إلى تشجيع هؤلاء البدو على الاستقرار، كل في موقعه، وتقديم كافة التسهيلات التي من شأنها تغيير نظرة البدوي للحياة، وبحيث أصبح يغير مـن أسـلوب الحياة التي كان يحياها في السابق من خلال الاهتمام بالتعليم كعملية حضارية من شأنها نقلـه إلى مرحلة أكثر تطوّرا ونفعاً له و للأجيال التي ستأتي من بعده، بالإضافة إلى تقديم تسهيلات في إتاحة فرص العمل المختلفة أمام أبناء هذه العشائر، وإعطاؤهم الأحقيـة والأولويـة فـي

التعيينات، وإيجاد المقاعد الجامعية لأبناء البادية من خلال اتباع سياسة أقاليم البادية الشمالية والجنوبية والوسطى، فأصبحت فرصة هؤلاء كبيرة في الالتحاق بالجامعات والمعاهد الأردنية، والحصول على وظيفة فيما بعد، لأن هذه السياسة الحكوميَّة حصرت المستفيدين من هذه المقاعد الجامعيَّة والوظائف الحكوميَّة فقط من هم مواليد هذه المناطق والمقيمون فيها، وبالتالي أصبح أبناء البادية أمام تحدٍ حقيقي لإثبات الذات، وإثبات أنهم على قدر من المسؤولية، والفرص الكبيرة التي أتاحتها لهم الحكومات المتعاقبة، فقد راح هؤلاء للالتحاق بالجامعات الأردنية، والتخرج منها واستفادوا كثيرا من قانون "المدارس الأقل حظاً" وأصبح هناك أفواج من الخريجين من أبناء البادية الشمالية الشرقية في كل سنة، وفي مختلف التخصصات الأدبية والعلميَّة أثروا في عملية التحول الاجتماعي-الاقتصادي في البادية الشمالية الشرقية.

ومن العوامل المؤثرة في توطين واستقرار البدو في البادية الشمالية الشرقية وبالتالي إحداث التحولات الاجتماعية والاقتصادية، تقديم الخدمات والتسهيلات والتي تمثلت في مدّ شبكة من الطرق الحديثة، وإقامة المراكز الصحيَّة، وتوصيل التيار الكهربائي إلى جميع القرى والتجمعات السكانية، وتوصيل خدمات الاتصالات الهاتفية، وخدمات البريد الأردني، وافتتاح الجمعيات التعاونية، والجمعيات الخيرية، وافتتاح مكاتب التنمية الاجتماعية، التي تعمل على مساعدة الفقراء والمحتاجين عن طريق صرف الرواتب المالية المتكررة، والمساعدة في إقامة المشاريع المُدّرة للدخل؛ للمساهمة في تشجيع الأفراد على ارتياد الأعمال الاستثمارية وبالتالي التشجيع على إحداث التنمية المستدامة في هذه المناطق، كما تعمل مديريات التنمية الاجتماعيَّة على تقديم الإعفاءات من العلاجات، وصرف بدل هذه العلاجات، وتأهيل المصابين الذين يحتاجون مساعدات طبية كالأعضاء الاصطناعية البديلة، أو أيَّة

معدات طبيَّة أخرى، وقد حظيت معظم مناطق البادية الشمالية الشرقية،إذا لم نقل جميعها بخدمات وزارة التنمية الاجتماعيَّة، وصندوق المعونة الوطنيَّة، فهناك مديرية التنمية الاجتماعية وصندوق المعونة الوطنية في البادية الشمالية الشرقية يتبعهُ خمسة مكاتب فرعيَّة ممتدة على طول مساحة البادية الشمالية الشرقية وهي: مكتب التنمية الاجتماعية/ قضاء أم الجمال، مكتب التنمية الاجتماعية وصندوق المعونة الوطنية/ قضاء صبحا، مكتب التنمية الاجتماعية/ قضاء أم القطين، مكتب التنمية الاجتماعية وصندوق المعونة الوطنية/ قضاء دير الكهف، مكتب التنمية الاجتماعية وصندوق المعونة الوطنية/ لواء الرويشد، هذا بالإضافة إلى خدمات الصندوق الأردني الهاشمي/ مراكز الأميرة بسمه في كل من قضاء أم الجمال وروضة الأميرة بسمة، ومنطقة قضاء صبحا ومقره منطقة الدفاينة، وخدمات صناديق الزكاة فرع البادية الشمالية الشرقية، وخدمات صندوق التنمية والتشغيل، وصندوق تنمية أموال الأيتام فرع المفرق،كما كان لمركز بحوث وتطوير البادية الأردنية أثر كبير في مساعدة أبناء البادية على تطوير قدراتهم،و تمكينهم من المشاركة في العملية التنموية في المنطقة.

كل هذه التسهيلات بالإضافة إلى تناقص الثروة الحيوانية في البادية الشرقية نتيجة الجفاف وغلاء أسعار الأعلاف، أدّى إلى إحداث التحولات الاجتماعية والاقتصادية في هذه المنطقة.

الفصل الخامس

نتائج الدراسة الميدانية

- قرى وتجمعات عينة الدراسة.

أولا:الخصائص الديمغرافية والاجتماعية والاقتصادية لعينة الدراسة.

ثانيا: السلع المهربة والوسائل المستخدمة بتهريبها.

ثالثا: أسباب التوجه نحو العمل بالنشاط الاقتصادي غير الرسمي (التهريب).

رابعا: آثار التهريب الاقتصادية والاجتماعية على المهربين.

قرى وتجمعات عينة الدراسة :

جدول رقم (١) يبين توزيع أفراد عينة الدراسة بحسب التجمع السكاني:

الرقم	التجمع	التكرار	النسبة المئوية
١	السعيدية	٢٥	%٦,٣
٢	قضاء أم القطين	٣٥	%٨,٧
٣	قضاء دير الكهف	٦٠	%١٥,٠
٤	قضاء صبحا وصبيحة	٦٠	%١٥,٠
٥	قضاء أم الجمال	٣٥	%٨,٧
٦	روضة الأميرة بسمة	٢٥	%٦,٣
٧	الصفاوي	٢٥	%٦,٣
٨	لواء الرويشد	٧٥	%١٨,٧
٩	قضاء الصالحية	٦٠	%١٥,٠
	المجموع	٤٠٠	%١٠٠

تبين لنا أن هناك مناطق سكانية قد احتلت أعداد أكبر من غيرها من حجم العينة وبالطبع فان ذلك يعود للتباين في عدد السكان بين هذه التجمعات السكانية المختلفة وأحجامها فقد احتل لواء الرويشد النصيب الأكبر من حجم العينة وهذا لا يعود فقط لكبر المساحة وإنما يعود إلى أن هذه المنطقة كانت ولا تزال من المناطق الأكثر تأثرا بعمليات النشاط الاقتصادي غير الرسمي كونها من المناطق الحدودية في حين جاء كل من أقضية دير الكهف ،وصبحا وصبحية ، والصالحية . في المرتبة الثانية من حيث حجم وأعداد العينة ، تلاها أقضية وتجمعات كل من :أم القطين ، وأم الجمال في حين جاءت قرى السعيدية ، وروضة الأميرة بسمة، والصفاوي في آخر المراتب من حيث شمول المبحوثين من حجم العينة .

أولا : الخصائص الديمغرافية والاجتماعية والاقتصادية لعينة الدراسة

أ . الجنس :

جدول رقم(٢) يبين توزيع أفراد عينة الدراسة بحسب الجنس :

الرقم	الجنس	التكرار	النسبة المئوية
١	ذكر	٣٢٩	%٨٢,٢
٢	أنثى	٧١	%١٧,٨
٣	المجموع	٤٠٠	%١٠٠

نلاحظ من خلال تحليل الجدول رقم (٢) بأن النسبة العظمى من المبحوثين من عينة الدراسة كانت من الذكور حيث وصلت الى(٣٩٢) مبحوث وبنسبة مقدارها (٨٢,٣%) وهي نسبة مرتفعة كثيرا وربما يعود ذلك لطبيعة المجتمع البدوي الذي أجريت به هذه الدراسة، فغالباً ما تكون المبادرة بمثل هذه الأعمال مقتصرة على فئة الذكور، كما أن الإناث في مجتمع الدراسة يحجمن عن العمل بهذه النشاطات التي تقتصر على الذكور، وفي أماكن كثيرة من البادية لا يسمح للمرأة بمقابلة الغرباء نهائياً.

ب. العمر:

جدول رقم(٣) يبين توزيع أفراد عينة الدراسة بحسب العمر:

الرقم	العمر	التكرار	النسبة المئوية
١	من ١٨-٣٤سنة	٢٣١	%٥٧,٨
٢	من ٣٥- ٦٤ سنة	١٣٤	%٣٣,٥
٣	أكثر من ٦٥	٣٤	%٨,٥
	المجموع	٣٩٩	%٩٩,٨
	لا اجابة	١	%٠,٢
	المجموع الكلي	٤٠٠	%١٠٠

كانت النسب العظمى الأكثر تمثيلا في عينة الدراسة من الفئة العمرية من(١٨-٣٤) حيث بلغت (٢٣١) حالة وبنسبة مقدارها (٥٧,٨%) تلتها الفئة العمرية من (٣٥-٦٤) ب (١٣٤) وبنسبة مقدارها (٣٣,٥%) وأخيرا كانت الفئة العمرية من (٦٥)عام فأكثر فقط

ب(٣٤)حالة وبنسبة مقدارها فقط (٨,٥%) . وبذلك يتضح لنا من هذه النسب ان مجتمع الدراسة يعتبر من المجتمعات الشابه وأن المبادرة للمشاركة في التفاعل مع ما يجري باهتمام ملاحظ بهذه المنطقة لا يتركه الشباب يمر مرور الكرام فهم دائما مشغولون بما يحدث بمجتمعهم الذي يتميز بأنه مجتمع يشهد حراكاً اجتماعيا وتغيرات كثيرة يجدون أنفسهم ملزمون بالاشتراك بها، فدراسة مثل هذه تهتم بمعالجة بعض الظواهر الموجودة بهذا المجتمع لا بد لها أن تلفت نظر هؤلاء الشباب وبالتالي فان ارتفاع المشاركة بالإجابة عن أسئلة هذه الدراسة كان من الأمور الطبيعية .

ج-مكان الولادة :

جدول رقم (٤) يبين توزيع أفراد عينة الدراسة بحسب مكان الولادة :

الرقم	مكان الولادة	التكرار	النسبة المئوية
١	نفس البلدة	٢٦٤	%٦٦,٠
٢	منطقة البادية الشمالية الشرقية	١١٣	%٢٨,٣
٣	داخل الأردن	١٤	%٣,٥
	المجموع	٣٩١	%٩٧,٨
	لا إجابة	٩	%٢,٢
	المجموع الكلي	٤٠٠	%١٠٠

يتبين من الجدول رقم(٤) بأن نسبة الذين ولدوا في نفس البلدة التي يسكنون بها كانت مرتفعة كثيرا حيث وصل عدد المستجوبين إلى (٢٦٤)فردا وبنسبة مقدارها (٦٦,٠%) وهذا يدل على أن هناك اتجاها نحو الاستقرار في القرى والتجمعات السكانية التي يقيمون بها فترابطا مع الجدول السابق رقم (٣) المتعلق بمتغير العمر وارتفاع نسبة فئة الشباب من (١٨-٣٤) يؤكد لنا بأن الجيل الثاني والثالث من سكان قرى وتجمعات منطقة الدراسة قد استقروا بشكل نهائي في بيوت ثابتة من الطوب .أما الذين أجابوا على أنهم ولدوا في منطقة البادية الشمالية الشرقية بشكلها العام فقد وصل عددهم الى (١١٣) مبحوث وبنسبة مقدارها

(٢٨,٣%) وهذا يدلل على أنه لا يزال هناك انتقال مستمر وراء الكلأ والماء نتيجة الاعتمــاد على النشاط الرعوي المعتمد على تربية الماشية وبالنسبة للمبحوثين الذين أجابوا بأنهم ولــدوا داخل الأردن أي خارج منطقة البادية فلم يتجاوزوا ال(١٤) مبحوث وبنسبة ضعيفة مقــدارها (٣,٥%) وهي نسبة تدلل على أن سكان منطقة الدراسة هم من نفس الأصول التي تسكن هذه المنطقة حيث قلة عدد الوافدين أو الذين ولدوا خارج منطقة البادية .

د. الحالة الاجتماعية :

جدول رقم (٥) يبين توزيع أفراد عينة الدراسة بحسب الحالة الزواجية :

الرقم	الحالة الاجتماعية	التكرار	النسبة المئوية
١	أعزب	١٣٧	%٣٤,٣
٢	متزوج من زوجة واحدة	١٧٣	%٤٣,٣
٣	متزوج من أكثر من زوجة	٧	%١٧,٥
٤	مطلق	١	%٠,٣
٥	أرمل	١٣	%٣,٣
	المجموع	٣٩٤	%٩٨,٧
	لا اجابة	٦	%١,٣
	المجموع الكلي	٤٠٠	%١٠٠

في منطقة الدراسة كما في باقي مناطق المملكة الأردنية لا تزال مؤسسة الزواج مــن المؤسسات الاجتماعية المتماسكة والمترابطة والتي تتم حسب الشريعة الإســلامية وحيــث مجموعة من العادات والقواعد والتقاليد الاجتماعية التي تحكم بناء هذه المؤســسة ولا تــزال الظروف الاجتماعية وبعض العادات والتقاليد تحد من إقبال الكثير من الشباب على الــزواج ولذلك فان تأخر سن الزواج في الأردن كما في منطقة الدراسة يعد من الظواهر الاجتماعيــة البينة.

وعودة إلى الجدول رقم(٥) حيث نلاحظ بأن البيانات تبين لنا مايلي:

وصل عدد المبحوثين المتزوجين من واحدة (١٧٣) مبحوث وبنسبة مقدارها (٤٣,٣%) وهي أعلى نسبة بين الفئات الاجتماعية الاخرى وهذا يدل على ان الزواج من زوجة واحدة هو النمط الزواجي المنتشر في منطقة الدراسة وقد يعود هذا ايضا الى الظروف المادية الصعبة التي يعيشها افراد منطقة الدراسة، حيث تحد هذه الظروف من انتشار نمط الزواج التعددي وقد تلت هذه النسبة مباشرة نسبة العازبين حيث وصل عدد المبحوثين من هذه الفئة (١٣٧) فردا بنسبة مقدارها (٣٤,٣%) وهي نسبة مرتفعة ايضا وقد يكون للأسباب آنفة الذكر أهمية كبيرة ومؤثرة في هذه الحالة أما بالنسبة لتعدد الزوجات فقد وصل عدد المبحوثين الذين اجابوا بأنهم متزوجين بأكثر من واحدة الى (٧) حالات فقط وبنسبة ضئيلة مقدارها (١٧,٥%) من عينة الدراسة ونستطيع ايضا ان نرد هذا للأسباب المادية التي تجعل من الأفراد غير قادرين على الايفاء بمتطلبات الحياة الزوجية ذات النمط المتعدد وأخيرا فان نسبة فئة المبحوثين (الأرامل) الذين فقدوا زوجاتهم والمطلقين فقد كانت على التوالي: (١٣) مبحوث ، ومبحوث واحد ، وبنسبة(٣,٣%) و(٠,٣%) .

هـ .المستوى التعليمي:

جدول رقم(٦) يبين توزيع أفراد عينة الدراسة بحسب المستوى التعليمي :

الرقم	المستوى التعليمي	التكرار	النسبة المئوية
١	أمي	١٤٠	%٣٥,٠
٢	ثانوية فما دون	٧٣	%١٨,٣
٣	دبلوم	٦٩	%١٧,٢
٤	بكالوريس فأعلى	١١٥	%٢٨,٧
	المجموع	٣٩٧	%٩٩,٤
	لا اجابة	٣	%٠,٨
	المجموع الكلي	٤٠٠	%١٠٠

لا تزال منطقة البادية الشمالية الشرقية – كما في أكثر البوادي في الأردن – تعاني من ارتفاع نسب الأمية فعلى الرغم من الكثير من الجهود المبذولة في التصدي لظاهرة الأمية فان شرائح كثيرة لا تزال تعاني من هذه الآفة .

يبين لنا الجدول رقم(٦) بأن أعلى نسبة ممثلة من عينة الدراسة كانت من فئة الأميين حيث كان عدد هؤلاء (١٤٠) مبحوث وبنسبة مقدارها (٣٥,٠%)وهي نسبة مرتفعة مقارنة بالفئات الأخرى، وقد يعزى السبب في ذلك الى ان الكثير من مناطق الدراسة صحراوية وذات ظروف اجتماعية- اقتصادية- بيئية تؤثر على عملية الالتحاق بالنظام التعليمي وقد تعود بعض الأسباب الى أسباب اجتماعية ممثلة ببعض العادات والتقاليد التي قد تؤثر في التحاق الأبناء في المدارس (وخاصة فئة البنات).

لكننا نلاحظ بأن نسبة المبحوثين من مستوى البكالوريوس فأعلى قد ارتفعت الى (١١٥) مبحوث وبنسبة مقدارها(٢٨,٨%) وهي نسبة لا يستهان بها وقد يعزى ارتفاع هذه الفئة الى أن منطقة البادية الشمالية الشرقية (منطقة الدراسة) تشهد تحولا كبيرا وحراكا تعليميا وخاصة في المستويات العليا من الدراسة وقد يعود هذا للاهتمام الحكومي بهذه المنطقة واقامة المدارس والخدمات وتشجيع أبناء البادية على الالتحاق بالنظام التعليمي وخاصة المستويات العليا منه ناهيك عن تقدم الاوضاع الاقتصادية جراء انتعاش أسواق بيع الأراضي في هذه المنطقة والاتجار بالاغنام بالاضافة الى تشجيع الحكومة للكثير من سكان المنطقة للاقتراض واقامة المشاريع الكبيرة التي ساهمت بعض الشيء في انعاش الاوضاع الاقتصادية .

أما بالنسبة لمستوى الثانوية فما دون فقد كانت النسبة (١٨,٣%) بعدد مبحوثين مقداره (٧٣) مبحوث وجاء مستوى الدبلوم بعدد مبحوثين مقداره (٦٩) مبحوث من عينة الدراسة وبنسبة مقدارها(١٧,٣%)

و. المهنة :

جدول رقم(٧) يبين توزيع أفراد عينة الدراسة بحسب المهنة:

الرقم	المهنة	التكرار	النسبة المئوية
١	وظيفة حكومية	١٧٧	٤٤,٣%
٢	وظيفة خاصة	١٤	٣,٥%
٣	أعمال حرفية	٢	٠,٥%
٤	متقاعد	٣١	٧,٨%
٥	أعمال حرة	١٧٤	٤٣,٥%
	المجموع	٣٩٨	٩٩,٦%
	لا اجابة	٢	٠,٦%
	المجموع الكلي	٤٠٠	١٠٠%

في أكثر المناطق الصحراوية البدوية والمناطق الريفية في الأردن يبرز الاتجاه نحو الوظائف الحكومية حيث يفكر الأفراد كثيرا في تأمين المستقبل، فالوظيفة الحكومية سواء في القطاع المدني أو القطاع العسكري تضمن لهؤلاء أولاً: راتبا شهريا مستمرا وتقاعد في حال اكمال الخدمة ، ضمانات الصحة ، والضمان الاجتماعي وتعليم الأبناء ، هذه التأمينات الاجتماعية –الاقتصادية تعمل كحافز أساسي نحو اتجاه الأفراد الى الوظائف الحكومية وفي منطقة الدراسة فإن الحال لا يختلف كثيرا عن الكثير من بوادي وأرياف المملكة .

وعودة الى بيانات الجدول رقم(٧) حيث نلاحظ ما يلي:

- الارتفاع الكبير والملاحظ بأعداد الذين مثلوا بالعينة ضمن فئة الوظيفة الحكومية (عسكري، مدني) حيث وصل عدد هؤلاء الى (١٧٧)مبحوث وبنسبة مقدارها (٤٤,٣%) والأسباب آنفة الذكر تدلل وتبين السبب في الالتحاق بالوظيفة الحكومية.
- الانخفاض الشديد والملاحظ بأعداد الذين مثلوا بالعينة ضمن فئة الأعمال الحرفية ، حيث وصل أعداد هؤلاء فقط الى اثنين وبنسبة تكاد لا تذكر مقدارها (٠,٥%) وقد تكون الأسباب وراء هذا التراجع في العمل بالأعمال الحرفية الى ثقافة المجتمع

البدوي التي لا تزال للآن – رغم التطور المهني الحاصل- تنظر الى الأعمال اليدوية الحرفية نظرة دونية ،وللعاملين أيضا بهذه الأعمال .

- وصلت أعداد المبحوثين من فئة المتقاعدين إلى (٣١) مبحــوث وبنـــسبة مقــدارها (٧,٨%) وهي نسبة لا بأس بها مقارنة مع النسب الأخرى في الجدول وقد يعود ذلك لنفس الأسباب التي تجعل من هؤلاء الالتحاق بالوظيفة الحكومية .

- انخفاض أعداد المبحوثين الممثلين بعينة الدراسة من فئة العاملين بالوظائف الخاصـــة حيث وصل أعداد هؤلاء إلى(١٤) مبحوث فقط من هذه العينــة وبنـسبة مقــدارها (٣,٥%)فقط وربما نستطيع أن نعزي سبب هذا التراجع إلى افتقار الكثير من أبنـاء البادية لامتلاك الخبرات والتدريب على الاستثمار الأمثل للموارد والأموال التي غالبا ما تكون بحوزتهم كما أن روح المغامرة وثقافة الاستثمار بالمشروعات الخاصـــة لا يرقى إلى المستوى الذي من شأنه أن يتجه أبناء منطقة الدراسة نحو امتلاك الأعمال والمشروعات الخاصة بهم .

- نلاحظ من خلال عرض بيانات الجدول ارتفاع ملحوظ بأعداد المبحوثين الذين مثلــوا بالعينة من ضمن فئة الأعمال الحرة حيث وصل عدد هؤلاء إلـــى (١٧٤) مبحــوث وبنسبة مقدارها (٤٣,٥%)وهي نسبة عالية جداً مقارنة بالنسب الأخرى في الجدول وربما يعود السبب في ارتفاع أعداد ونسبة العاملين بالأعمال الحرة إلى انتشار أعمال الرعي وتربية الماشية وتجارة الأغنام والأعلاف، والاتجــار بالأراضـــي، وبعــض الأعمال التجارية الأخرى هذا بالإضافة إلى النشاطات الاقتصادية غير الرسمية التي يمارسها الكثير من سكان منطقة الدراسة حيث يجيب معظم هؤلاء عنـــد اســتجابتهم بأنهم يعملون بالأعمال الحرة .

ثانيا: السلع المهربة والوسائل المستخدمة بتهريبها

جدول رقم(٨) يبين النسبة المئوية للطرق والوسائل المستخدمة في عمليات التهريب:

الرقم	وسيلة التهريب	المتوسط الحسابي للنسبة المئوية
١	الدواب(الحمير ،البغال،الجمال)	%٧٦,٣٥
٢	نقلها ذاتيا على الأقدام	%٨٢,٥٨
٣	السيارات الخاصة بكل سلعة	%٨٠,١٥٥

يستخدم المهربين الكثير من الوسائل والطرق لانجاح عمليات التهريب التي يعملون بها فهم دائما في استغلال أمثل لكل ما تجود به طبيعة وظروف الصحراء حيث المناطق الصحراوية الشاسعة وتنوع طبيعة البيئة الجغرافية بين الأودية والتلال والهضاب ووجود مساحات من الحرّات البازلتية السوداء والمربّات الأرضية ومناطق الحماد والأودية التي تتميز بحجمها وتركيبتها الصوانية القاسية وبذلك فإن الاعتماد على الوسائل التي تنقل السلع (المهربة) دائما ما تتغير بتغير طبيعة المنطقة المراد ادخال البضائع عن طريقها .

فعند مراجعتنا لبيانات الجدول رقم(٨) نلاحظ ما يلي :

- كانت نسبة استخدام وسيلة النقل الذاتي على الأقدام من اعلى النسب في الجدول فقد وصلت الى(٨٢,٥٨%) وقد يعود السبب في ذلك الى أن اكثر المناطق التي يستخدمها المهربين هي عن طريق ثغرات أو(الفتوح) كما يطلق عليها المهربين وهذا يقودنا الى أن السلع الأكثر عبورا للحدود بالتهريب هي الأغنام ثم تليها المخدرات ، فالأغنام هي السلعة الرئيسية التي تهرب مشيا على الأقدام بحيث لا تحتاج الى وسائل نقل وذلك لكثرة أعدادها وصعوبة حملها في الشاحنات ،ثم يلي ذلك سلعة المخدرات حيث يعتبر نقل هذه السلعة مشيا على الأقدام من الطرق المنتشرة والمحببة عند المهربين.

- كان استخدام السيارات الخاصة بنقل كل سلعة مهربة ثاني أعلى النسب في الوسائل لنقل المهربات وقد وصلت نسبة استخدام هذه الوسيلة(٨٠,١٥%) وهي نسبة مرتفعة وقد يعود السبب في ذلك الى أن هناك الكثير من المهربين يستخدمون وسيلة نقل خاصة بكل سلعة حيث تناسب هذه الوسيلة نوعية السلعة المهربة هذه فمثلا: الدخان يحتاج لسيارات(البك أب)" (وسيارات الجيمس) بينما تستخدم الصهاريج في نقل وتهريب المحروقات .
- بالنسبة لوسيلة الدواب(الحمير ،البغال،الجمال) فقد كانت أقل النسب المستخدمة في عمليات نقل المهربات وربما يعود السبب في ذلك الى أن هذه الوسيلة تقتصر على عمليات تهريب المخدرات وأحيانا تهريب الأسلحة ومعداتها .

جدول رقم(٩) يبين النسبة المئوية للسلع الأكثر مرورا عبر الحدود ،طريق التهريب:

الرقم	السلعة	المتوسط الحسابي للنسبة المئوية
١	المخدرات	%٧٨,٤٥
٢	الأغنام	%٨٤,٤٧
٣	الأسلحة ومعداتها	%٧٨,١٦
٤	الدخان	%٨١,٦٤
٥	المحروقات	%٧٦,٤١

في هذه الفقرة تم توجيه استفسار للمبحوثين بحيث يضعون النسبة المئوية الأعلى للسلعة التي يرون أنها تعتبر من أكثر السلع المهربة مرورا عبر الحدود وبالرجوع الى بيانات الجدول تبين ما يلي :

- كانت أعلى نسبة مرور لسلعة مهربة عبر الحدود هي الأغنام حيث وصلت هذه النسبة الى(٨٤,٤٧%)وهي نسبة مرتفعة كثيرا وهذا ما يؤكد لنا بشكل كبير على ارتفاع

نسبة استخدام وسيلة النقل الذاتي على الاقدام والتي ظهرت في الجدول السابق رقم(٨) حيث تبين لنا بأن استخدام وسيلة النقل الذاتي على الأقدام ترتبط تصاعديا مع نوعية السلعة المهربة وهي سلعة الأغنام فحيث ارتفعت نسبة تهريب الأغنام فان نسبة ارتفاع وسيلة النقل الذاتي حتما سوف ترتفع .

وقد يعود السبب في ارتفاع نسبة تهريب الأغنام الى سهولة اخراجها عبر الحدود البرية الطويلة وخبرة المهربين الذين يعمل أكثرهم رعاة للأغنام أصلا .

- كانت سلعة الدخان ثاني أكثر سلعة يتم تهريبها عبر الحدود، فقد وصلت النسبة الى (٨١,٦٤%) وهي نسبة مرتفعة لا يستهان بها وقد يعزى هذا الارتفاع في النسبة الى استخدام المهربين لسيارات النقل السريعة مثل سيارات(البك أب)(و الجيمس) هذا بالاضافة الى سهولة توزيع هذه البضائع وامكانية تخزينها وشدة الطلب عليها.
- كانت نسب تهريب السلع المتبقية وهي: المخدرات ،الأسلحة ومعداتها ، والمحروقات متقاربة من بعضها حيث جاءت على التوالي :(٧٨,٤٥%)، (٧٨,١٦%) ،ثم (٧٦,٤١%) وهذه النسب الثلاث مرتفعة ولا يستهان بها الا أن هناك بعض الظروف تحد من تهريب هذه السلع فهي الى جانب أنها تشكل خطرا على المجتمعات من النواحي الاقتصادية والاجتماعية (المخدرات،والاسلحة ومعداتها) فان هناك مخاطر سياسية قد تأتي من خلال استغلال سلع مثل الأسلحة والذخائر في زعزعة أمن واستقرار الكثير من المناطق لذلك فقد كان التشديد كبيرا على مثل هذه السلع من قبل الحكومة ممثلة بادارة مكافحة المخدرات ،ودائرة الجمارك العامة ،والمخابرات العامة.

جدول رقم (١٠) يبين طرق ووسائل تهريب سلعة الدخان:

الرقم	السلعة	النسبة المئوية
١	الدواب	%٧,٣
٢	البكبات	%٨٨,٥
٣	GMC	%٨٦,٠٠
٤	الشاحنات الكبيرة	%٢٥,٣
٥	غير ذلك	%٣,٠٠

الجدول رقم (١٠) يبين لنا الطرق والوسائل المستخدمة في تهريب سلعة معينة هي الدخان وقد تبين لنا من خلال الجدول ما يلي :

-كانت أعلى نسبة لوسيلة مستخدمة في تهريب الدخان هي البكبات حيث وصلت هذه النسبة إلى(٨٨,٥%) وهي نسبة مرتفعة جدا مقارنة بالنسب الأخرى للوسائل الأخرى وقد يعزى هذا الارتفاع في استخدام وسيلة النقل المتوسطة (البك أب) إلى أن الدخان بحاجة إلى طرق خاصة لنقله بشكل يسمح بالسير به لمسافات طويلة بالإضافة إلى السرعة في النقل والابتعاد عن الموقع الذي تم منه إدخال البضاعة .

-كان استخدام وسيلة النقل المعروفة (بالجيمس) ثاني أعلى نسبة من الوسائل المستخدمة في تهريب الدخان وقد وصلت هذه النسبة إلى(٨٦,٠%) وهي نسبة مرتفعة مقارنة بالنسب الضئيلة الأخرى التي ظهرت في الجدول ومن الأسباب التي يعزى لها استخدام سيارة ال (GMC) في نقل وتهريب سلعة الدخان أنها سيارة واسعة بحيث تستطيع تحميل أكثر من مئة كرتونة من الدخان وهي قوية تستطيع تحمل وعورة الطرق الصحراوية وبذلك فان المهرب يستطيع الهرب إذا ما لوحق من قوات الأمن.

– جاءت النسب لاستخدام الوسائل الأخرى ضئيلة جدا فمثلا كان استخدام وسيلة الدواب ذو نسبة منخفضة وصلت إلى(٧,٣%) فقط في حين ارتفعت نسبة وسيلة النقل بالشاحنات الكبيرة

حيث وصلت(٢٥,٣%)وجاءت الوسائل التي لم تذكر وجاءت تحت فئة غير ذلك(٣,٠٠%) فقط.قد يعزى هذا الضعف في استخدام هذه الوسائل بنقل وتهريب الدخان إلى أن المشي على الأقدام لا يصلح لتهريب سلعة مثل الدخان حيث لا يستطيع الإنسان حمل كرتونة واحدة من الدخان والمشي بها لمسافات طويلة في حين أن الشاحنات الكبيرة لا تتمتع بسرعات كبيرة ولا تستطيع السير على الطرقات الوعرة والصحراوية كما تفعل البكبات والجيمسات أما الوسائل الأخرى فهي لا ترقى إلى إعارة الكثير من الاهتمام حيث لا تعدو أن تكون محاولات عرضية غير مؤثرة كتعبئة بعض الكميات من الدخان في شقوق والعودة لها في أوقات أخرى وهكذا.

جدول رقم (١١) يبين طرق ووسائل تهريب سلعة المخدرات:

الرقم	الطريقة	النسبة المئوية
١	الدواب	٨٤,٣%
٢	البكبات	٦٤,٣%
٣	GMC	٧٩,٣%
٤	الشاحنات الكبيرة	١٣,٠%
٥	غير ذلك	٣١,٨%

يبين لنا هذا الجدول الطرق والوسائل المستخدمة في تهريب سلعة المخدرات حيث تبين لنا بأن كل السلع تتميز بوسيلة أو بمجموعة من الوسائل تستخدم في تهريبها عبر الحدود .

وعند استعراض الجدول تبين لنا ما يلي:

- كانت النسبة الأعلى في تهريب سلعة المخدرات تتم باستخدام وسيلة الدواب (الحمير،البغال،الجمال) حيث وصلت هذه النسبة الى (٨٤,٣%) وهي نسبة مرتفعة ويعود هذا الارتفاع الى أن هذه السلعة تتميز أولاً بخطورتها وثانياً بارتفاع أسعارها فقد كان المهربين يستخدمون هذه الدواب التي تكون في أحياناً كثيرة مدربة على نقل مثل هذه البضائع بحيث تكون تخبر الطرق المؤدية من والى الحدود تجنبا للقبض

عليهم من قبل قوات حرس الحدود ولذلك فقد انتشر استخدام وسيلة الدواب في تهريب المخدرات.

- تلت هذه الوسيلة المستخدمة في تهريب المخدرات وسيلة استخدام سيارات ال(GMC) حيث وصلت النسبة لهذه الوسيلة (٧٩,٣%)وهي نسبة مرتفعة مقارنة مع الوسائل الأخرى في الجدول وتعود الأسباب لاستخدام سيارات الـ (GMC) في تهريب المخدرات إلى سرعة هذه السيارة وتحملها لوعورة الطرقات وقوتها في السير على الطرق الترابية والصحراوية بالإضافة إلى سعتها.
- كانت ثالث أعلى نسبة لوسيلة مستخدمة في تهريب المخدرات هي البكبات حيث وصلت هذه النسبة إلى(٦٤,٣%) وهي نسبة لا بأس بها ويعود سبب استخدام هذه الوسيلة إلى: سرعتها،وتحملها على الطرقات الوعرة والصحراوية الترابية وصغر حجمها بحيث تستطيع التواري عن أنظار المراقبات الخاصة من قبل قوات وحرس الحدود.
- أخيرا جاءت وسائل مثل : الشاحنات الكبيرة وفئة غير ذلك ، كالنقل على الأقدام واستخدام بعض الوسائل المكشوفة كطمر البضاعة واخفائها بالأودية والرجوم من أقل النسب كوسائل مستخدمة في عمليات تهريب المخدرات حيث جاءت نسبة استخدام الشاحنات الكبيرة(١٣,٠%) فقط ، في حين ارتفعت هذه النسبة قليلا في استخدام الوسائل الأخرى تحت فئة غير ذلك لتصل الى(٣١,٨%).

جدول رقم (١٢) طرق ووسائل تهريب سلعة الأسلحة ومعداتها:

الرقم	الطريقة	النسبة المئوية
١	الدواب	%٤٨,٠
٢	البكبات	%٧٥,٣
٣	GMC	%٧٨,٥
٤	الشاحنات الكبيرة	%١٦,٣
٥	غير ذلك	%٢٨,٠

عند تحليلنا للجدول رقم (١٢) الخاص بطرق ووسائل تهريب سلعة الأسلحة ومعداتها نلاحظ ما يلي :

- كانت أعلى نسبة في استخدام وسيلة لتهريب الأسلحة ومعداتها من نصيب وسيلة سيارات الـ (GMC) حيث وصلت هذه النسبة إلى(%٧٨,٥)وهي نسبة مرتفعة إذا ما قورنت بنسب الوسائل المستخدمة الأخرى لنفس الغرض ،وترجع الأسباب في ارتفاع نسبة استخدام هذه الوسيلة الى أسباب أخرى ذكرت عند الحديث عن استخدام نفس هذه الوسيلة في تهريب بعض السلع الأخرى وسيارة ال(GMC)تعتبر من السيارات القوية والواسعة والسريعة في نفس الوقت فالقوة تسمح لها بالسير على طرقات الصحراء الترابية وأراضيها الصوانية والبازلتية وكذلك في (الحرّة السوداء) وأراضي الحماد، والسعة تسمح لها بنقل أكبر كمية من البضائع المراد نقلها، والسرعة تعطي للمهرب بعض الثقة والأمان عندما يريد الهروب والتواري عن أعين وملاحقة قوات أمن وحرس الحدود.
- جاءت وسيلة البكبات ثاني أعلى نسبة في الاستخدام لتهريب الأسلحة ومعداتها حيث وصلت نسبة استخدام هذه الوسيلة الى (%٧٥,٣)وهي نسبة عالية اذا ما قورنت بالنسب الأخرى الخاصة بالوسائل الأخرى وقد يعود ارتفاع نسبة استخدام هذه الوسيلة

الى سرعة هذه الوسيلة وتحملها الطرقات الوعرة وممـرات الـصحراء المتعرجـة وخفتها في الانتقال والتواري عن ملاحقة قوات الأمن وحرس الحدود.

- كانت نسبة استخدام الدواب في تهريب سلعة الأسلحة ومعداتها (٤٨,٠%)وهي نـسبة لا بأس بها وقد يعود السبب في انخفاض هذه الوسيلة في تهريب الأسلحة ومعـداتها الى أن طبيعة الأسلحة والمعدات لا يمكن أن تثبت على ظهور الدواب كما أن الدواب تخسر المقارنة مع السيارات الفائقة السرعة مثل (الجيمس، والبك أب) الا أن هـذا لا يمنع من استخدام بعض المهربين للدواب مثل :الجمال ،والبغال ، والحمير وبعـض الخيول في تهريب سلعة الأسلحة ومعداتها كالعتاد مثلا .
- جاءت نسب استخدام وسيلة الشاحنات الكبيرة وغير ذلك : كالنقل على الأقدام مثلا في تهريب الأسلحة ومعداتها نسبا ضعيفة حيث جاءت نسبة غير ذلك(٢٨,٠%) في حين جاءت نسبة الشاحنات الكبيرة (١٦,٣%)فقط وهذا يدل على أن هناك تخصص فـي نقل وتهريب الأسلحة ومعداتها يتم عن طريق الجيمسات والبكبات في حين أن وسائل مثل :الشاحنات الكبيرة وغير ذلك لا يستخدمها المهربين كثيرا في تهريبهم للأسـلحة ومعداتها ربما لعدم صلاحية الشاحنات الكبيرة لحمل الاسلحة التي تحتـاج لـسرعة بالنقل،فالشاحنات تفتقر لهذه السرعة،كما ان ثقل حجم الاسلحة ومعداتها يجعـل مـن وسيلة نقلها ذاتيا على الاقدام امرا غير وارد كثيرا .

جدول رقم (١٣) يبين طرق ووسائل تهريب سلعة الأغنام:

الرقم	الطريقة	النسبة المئوية
١	البكبات	%٧,٣
٢	GMC	%٣,٨
٣	الشاحنات	%٢٩,٨
٤	على الأقدام	%٩٦,٨

يعرض لنا الجدول رقم(١٣) أهم الطرق والوسائل التي يستخدمها المهربين في تهريب سلعة الأغنام ، فهناك كما شاهدنا في الجداول السابقة يوجد وسيلة معينة لتهريب سلعة معينة عبر الحدود.

وعند مناقشة بيانات هذا الجدول تبين لنا ما يلي:

- الارتفاع الكبير في نسبة استخدام وسيلة النقل الذاتي (الجلب مشيا على الأقدام) المستخدمة في تهريب الأغنام عبر الحدود حيث وصلت هذه النسبة إلى(٩٦,٨%) وهي نسبة مرتفعة جدا مقارنة مع النسب والوسائل الأخرى المستخدمة لنفس الغرض والتي تظهر في الجدول وهذا ما يترابط بشكل كبير مع ما جاء في بيانات الجدول رقم(٨) والجدول رقم(٩) المتعلقان في أكثر السلع مرورا عبر الحدود والوسيلة المستخدمة في التهريب .
- كانت وسيلة الشاحنات ثاني أعلى نسبة في الاستخدام لتهريب الأغنام، وعلى الرغم من ان هذه النسبة لم تتجاوز(٢٩,٨%) إلا أنها مقارنة مع النسبتين الأخيرتين المتبقيتان في الجدول تعتبر نسبة لا بأس بها وقد يعود هذا الضعف في نسبة هذه الوسيلة إلى أن الشاحنات لا تستطيع حمل الكثير من رؤوس الأغنام في حين أن تهريب الأغنام يتم بالمئات وأحيانا كثيرة بالآلاف .
- نلاحظ أن وسيلة النقل الـ (GMC) وسيارات البك أب لم تحضيا بنسب مرتفعة في الاستخدام لتهريب الأغنام حيث جاءت النسبة للبكبات (٧,٣%) وللجمسات فقط (٣,٨%) وهذا يدلل على أن هاتين الوسيلتين لا تستخدمان بشكل كبير في عمليات تهريب الأغنام.

جدول رقم (١٤) يبين طرق ووسائل تهريب سلعة المحروقات

الرقم	الطريقة	النسبة المئوية
١	السيارات الشاحنة	%١٢,٥
٢	سيارات GMC	%٧٧,٠
٣	صهاريج نقل المحروقات	%٨٣,٣

على الرغم من أن تهريب سلعة المحروقات تعد من السلع الحديثة التي عمل بها بعض أبناء البادية الا أنها شكلت جزءا رئيسيا ومهما في حركة التهريب التي تشهدها منطقة البادية الشمالية الشرقية وقد ازدهرت هذه التجارة بداية فترة التسعينات أي منذ حرب الخليج الأولى وقد استمرت هذه التجارة رائجة للآن .

والجدول رقم(١٤) يبين لنا أهم الوسائل المستخدمة في عمليات تهريب هذه السلعة فعند مناقشة بيانات هذا الجدول تبين ما يلي:

- أن أعلى نسبة لوسيلة مستخدمة في تهريب المحروقات كانت من نصيب صهاريج نقل المحروقات حيث وصلت هذه النسبة الى(٨٣,٣%) وهي نسبة مرتفعة وقد يعود السبب في ارتفاع نسبة استخدام هذه الوسيلة الى أن الكثير من العاملين على هذه الصهاريج يقومون بصناعة مخازن ومستودعات خاصة يهربون بها كميات من المحروقات حيث يتم ادخالها الى البلاد بدون ملاحظة وقد يكون السبب احيانا الى تغاضي رجال الجمارك والأمن كون هذه السلعة لا تشكل خطرا على المجتمع وبالتالي يتم ادخالها مساعدة من قبل رجال الأمن.
- جاء استخدام سيارات ال (GMC)في تهريب المحروقات ذو نسبة عالية وصلت الى (٧٧,٠%) وقد يعود ارتفاع نسبة استخدام هذه الوسيلة في تهريب المحروقات الى أن السائقين المهربين يقومون بصناعة خزانات خاصة يتم بها تعبئة المحروقات كما أن مهمة هذه السيارات هي نقل الركاب فغالبا لا يدقق الجمركيون على هذه السيارات.

- أقل نسبة لوسيلة مستخدمة في تهريب المحروقات كانت من نصيب السيارات الشاحنة فقد وصلت هذه النسبة فقط الى(١٢,٥%) وهي نسبة ضئيلة قد يعود السبب لها الى أن الشاحنات لا تستطيع حمل المحروقات الا (ببراميل) وجالونات خاصة وهذا ما يتم كشفه بسهولة .

ثالثاً : أسباب التوجه نحو العمل بالنشاط الاقتصادي غير الرسمي (التهريب)

في هذه الفقرة تم تقديم مجموعة من الأسئلة لعينة الدراسة حول الأسباب التي يرون أنها أثرت في اتجاه البعض نحو العمل بهذه النشاطات الاقتصادية غير الرسمية بحيث كانت هذه تعد من الأسباب الرئيسية لتوجه الكثير من أبناء منطقة الدراسة الى العمل بهذه النشاطات .

جدول رقم(١٥) يبين الأسباب الاقتصادية للتوجه نحو العمل بالتهريب

الرقم	الفقرة		التكرار	النسبة المئوية
١	الأوضاع المادية الصعبة	نعم	٣٩٤	%٩٨,٥
		لا	٦	%١,٥
		المجموع	٤٠٠	%١٠٠
٢	البطالة	نعم	٣٩٢	%٩٨,٠
		لا	٨	%٢,٠
		المجموع	٤٠٠	%١٠٠
٣	الرشاوي والمحاصصة مع أفراد شرطة البادية لها دور في زيادة ظاهرة التهريب	نعم	٣٦٨	%٩٢,٠
		لا	٣٢	%٨,٠
		المجموع	٤٠٠	%١٠٠
٤	امتلاك بعض المهربين للأموال التي تمكنهم من السفر الى الخارج يزيد من حدوث ظاهرة التهريب	نعم	٣٧٦	%٩٤,٠
		لا	٢٤	%٦,٠
		المجموع	٤٠٠	%١٠٠
٥	غلاء أسعار الأعلاف وبالتالي ترك العمل برعي الماشية من أسباب اللجوء الى التهريب	نعم	٣٧٤	%٩٣,٥
		لا	٢٦	%٦,٥
		المجموع	٤٠٠	%١٠٠
٦	انتشار الفقر بين سكان البادية الشمالية يزيد من ظاهرة التهريب	نعم	٣٩٣	%٩٨,٢
		لا	٧	%١,٨
		المجموع	٤٠٠	%١٠٠
٧	وقوع البادية الشمالية الشرقية على ثلاث مناطق حدودية يزيد من حدوث ظاهرة التهريب	نعم	٣٨٤	%٩٦,٠
		لا	١٦	%٤,٠
		المجموع	٤٠٠	%١٠٠

كانت هناك مجموعة من الأسباب التي أدت الى أن يعمل بعض أفراد مجتمع الدراسة بالنشاط الاقتصادي غير الرسمي، وقد انقسمت هذه الاسباب الى اسباب اقتصادية واسباب اجتماعية في توجيه الافراد نحو التهريب. نلاحظ من الفقرة الاولى من الجدول:"(**صعوبة الأوضاع المادية**) كانت قد احتلت اعلى نسبة في التسبب في توجه الافراد نحو العمل بالتهريب حيث وصلت هذه النسبة الى(٩٨,٥%)حيث أجاب بنعم (٣٩٤)مبحوث من أصل كامل العينة المقدرة ب(٤٠٠) مبحوث وهذا يدل على أن الأوضاع المادية الصعبة تعد سببا مباشرا في توجه الأفراد نحو العمل بنشاطات التهريب، ففي ظل شبه انعدام الفرص التي يجد من خلالها الإفراد أعمالاً تناسب مؤهلاتهم،وفي ظل غياب المشروعات الاستثمارية المربحة والناجحة، بالإضافة إلى تآكل المراعي التي كانوا يعتمدون عليها في تربية مواشيهم واستمرار سنوات انحباس الإمطار فان الإيفاء بمستلزمات الحياة الاقتصادية من مسكن ومأكل وملبس ومصروفات حياتية أخرى تثقل كاهل الكثير من سكان منطقة الدراسة، هذا بالطبع مع شُح بالموارد الطبيعية وصعوبة البيئة .

هذه الأسباب مجتمعة لا بد بأن تدفع الكثير من الأفراد لإيجاد عملا حتى لو كان مخالفا للقوانين والأنظمة الحكومية، من هنا فان الاتجاه نحو إعمال التهريب المربحة في الكثير من الأحيان تشكل المخرج الرئيسي لهؤلاء للإيفاء بالمستلزمات الحياتية .

وجاء في المرتبة الثانية من حيث أعلى النسب المؤدية للاتجاه نحو التهريب "الفقرة رقم (٦) من الجدول رقم(١٥) وهي :"**انتشار الفقر**" ونتيجة لتقارب مضمون الفقرتين الأولى والسادسة في نفس الجدول فان النسبتين كانتا متقاربتين حيث كانت نسبة الفقر السادسة(٩٨,٣%) وهي نسبة مرتفعة كثيرا وهذا يدلل على أن الفقر والحاجة عند سكان منطقة الدراسة يؤدي بالكثير من الأفراد إلى الاتجاه نحو العمل بالتهريب ذلك أن ظاهرة الفقر تعد واحدة من أهم المشكلات

والظواهر الاجتماعية التي تتواجد بقوة في منطقة البادية الشمالية الشرقية وقد صنفت هذه المنطقة من أشد المناطق فقرا في المملكة حسب دراسة وزارة التخطيط ووزارة التنمية الاجتماعية وهي تعد ايضا احد أخطر جيوب الفقر في المملكة، في ضل هذه الأسباب الاقتصادية الصعبة لا يجد الكثير من سكان هذه المناطق بد من الاتجاه نحو العمل بالتهريب كمنفذ وحيد للتخلص من حالات الفقر الشديد التي يعيشونها .

الفقرة رقم (٢) من نفس الجدول "**البطالة**" كانت ثالث أعلى نسبة في توجيه الأفراد نحو الاتجاه للعمل بالنشاطات الاقتصادية غير الرسمية "التهريب" وهي ايضا تشكل مع الفقرتين السابقتين محورا اقتصاديا اشكاليا محفزا للتوجه نحو العمل بالتهريب حيث وصلت هذه النسبة الى (٩٨,٠%) وهي نسبة مرتفعة ففي حالة انعدام فرص العمل وفشل الكثير من المشروعات التي توفر هذه الفرص وانعدام فرص التدريب والتشجيع على الاعتماد على المشروعات المدرة للدخل،فان الافراد سوف لن يجدون عملا يعتمدون عليه في حياتهم وبذلك فان التوجه للعمل بأي من الأعمال الموجودة تشكل فرصة كبيرة لهؤلاء العاطلين عن العمل.

والى جانب البطالة وعدم وجود فرص العمل فان طبيعة اعمال التهريب تتوافق نوعا ما مع تشكيلة الكثير من أبناء المنطقة ومع الكثير من المؤهلات البدوية التي يمتلكونها فأغلب سكان البادية هم من الرعاة وأغلبهم ولد في البادية وعاش وتربى بها وهو بذلك على خبرة كبيرة بها من هنا فان عمليات تهريب الاغنام تشكل عملا سائغا ومناسبا لكثير من هؤلاء كما أن الخبرة والجرأة في تجشم الصحاري والأودية هي من صفات البدوي ساكن الصحاري والقفاري البعيدة.

الفقرة السابعة من الجدول رقم(١٥) "**وقوع البادية الشرقية على ثلاث مناطق حدودية**" جاء في المرتبة الرابعة من حيث توجيه الأفراد نحو العمل بالتهريب حيث وصلت النسبة لهذه

الفقرة الى (٩٦,٠%) وهي نسبة مرتفعة وقد يعود السبب في ذلك الى أن هذا الموقع عمل كمحفز أساسي على أن تكون هذه الحدود البرية سببا رئيسيا في توجه الافراد نحو العمل بالتهريب من ناحية فان الحدود هي: ثلاث حدود دولية برية صحراوية وطويلة جدا هي :الحدود العراقية في الشرق ،الحدود السعودية شرق- جنوب والحدود السورية في الشمال الشرقي وجميع هذه الحدود الثلاث تتمتع بتدفق السلع الرخيصة التي يستغلها المهربين، وجميع هذه الحدود باستثناء الحدود السعودية – تتميز بأنها طويلة جدا وغير مراقبة بشكل جيد على الاقل خلال السنوات العشر السابقة فهذه الاوضاع خلقت جواً صالحاً لعمل المهربين بتهريب السلع من خلال هذه الحدود.

الفقرات ذات الارقام (٣،٤،٥) جاءت بنسب متقاربة ومرتفعة في نفس الوقت في التسبب بتوجيه الأفراد نحو العمل بالتهريب فقد جاءت هذه النسب على التوالي :" **امتلاك بعض المهربين للأموال التي تمكنهم من السفر الى الخارج**" (٩٤,٠%) ، " **غلاء اسعار الاعلاف وبالتالي ترك العمل برعي المواشي**" (٩٣,٥%) ، "**الرشاوي والمحاصصة مع أفراد شرطة البادية**" (٩٢,٠%).

بالنسبة للفقرة رقم(٤) فان إمكانية امتلاك الأموال عند بعض المهربين ومن ثم سفرهم للخارج قد يؤدي لزيادة نشاطات التهريب ذلك أن السفر إلى بعض الدول التي تعتبر مصدرا للسلعة المهربة يعد محفزا واضحا على أن هؤلاء المهربين يحتكون ويعقدون بعض الاتفاقيات مع نظرائهم بهذه الدول . فكل دولة من هذه الدول تختص بمجموعة من السلع التي يعمل بتهريبها هؤلاء فمثلا من العراق تتدفق الأغنام ،والمحروقات والدخان ومن السعودية أيضا كانت تأتي الأغنام ومن القطر السوري فان المخدرات والأسلحة والعتاد لا تزال للآن تدخل عن طريق هذه الحدود بالإضافة إلى لبنان وتركيا حيث تعتبران من الدول المصدرة للحشيش

والمخدرات التي تدخل عن طريق سوريا فالمال الذي يشجع على السفر يشجع ايضا لتحفيز العمل بالتهريب.

اما بالنسبة للفقرة رقم (٥) وهي المتعلقة بغلاء أسعار الأعلاف فمن المعروف أن(٨٠%) تقريبا من سكان منطقة البادية الشمالية الشرقية يعتمدون بحياتهم الاقتصادية على تربية ورعي المواشي من اغنام ، وماعز، وجمال وغيرها لكن هذه المواشي تحتاج بالطبع لمستلزمات كثيرة فهي بحاجة أولا لمراعي شاسعة حتى تستطيع الرعي وهي أيضا بحاجة للكلأ والماء وكذلك للرعاية الصحية ففي ضل شح الموارد الطبيعية وشح الموارد المائية وتآكل المساحات الرعوية وتآكل المساحات و المسطحات الرعوية نتيجة للتصحر وزحف حركة العمران أدى الى أن يعتمد هؤلاء على الأعلاف وشرائها ،وشراء تنكات المياه لسقاية هذه القطعان، لكن الأعلاف من (شعير ونخالة) قد ارتفعت اسعارها عالميا وبالتالي تأثر هؤلاء بغلاء هذه الاعلاف ،كما أن الاعتماد على (البرسيم) في تغذية هذه القطعان يعد مكلفا جدا فاتجه الكثير من هؤلاء بالتخلص من هذه القطعان ببيعها، في حين نفق الكثير منها نتيجة سوء التغذية وسوء الرعاية الصحية وراح هؤلاء يبحثون عن أعمال تشكل لهم مصدرا للدخل، فكانوا أن اتجهوا نحو العمل بنشاطات التهريب المختلفة.

أما الفقرة رقم(٣) والمتعلقة بموضوع: "الرشاوي والمحاصصة مع شرطة البادية" فإنها تؤكد لنا بأنها تؤثر كثيرا في اتجاه الافراد نحو التهريب فقد كان هناك تعاون بين بعض منتسبي قوات البادية وحرس الحدود وبين بعض المهربين حيث يساعد هؤلاء الافراد من شرطة البادية المهربين على اخراج مهرباتهم المختلفة عن طريق الحدود، عن طريق اتاحة الثغرات والفرص لهم ضمن اتفاق معين وبتوقيت ومكان متفق عليه يتم من خلاله ادخال االسلع المراد تهريبها وادخالها للاردن وبالتالي فان هؤلاء العاملين ضمن قوات البادية يحصلون بدورهم

على حصة معينة ومعلومة من قيمة البضاعة، وبذلك فان كل من يعرف جماعة من شـرطة البادية يكون لهم خبرة سابقة بهذه الاعمال فانه يستطيع ادخال البضاعة التي يرغب بها.

جدول رقم (١٦) يبين الاسباب الاجتماعية للتوجه نحو العمل بالتهريب

الرقم	الفقرة		التكرار	النسبة المئوية
١-	تؤثر العلاقات القرابية بين المهربين واقاربهم خارج الحدود في زيادة ظاهرة التهريب	نعم	٣٦٨	%٩٢,٠
		لا	٣٢	%٨,٠
		المجموع	٤٠٠	%١٠٠
٢-	العلاقات القرابية بين المهربين ورجال شرطة البادية وحرس الحدود تزيد من ظاهرة التهريب	نعم	٣٥٩	%٨٩,٨
		لا	٤١	%١٠,٢
		المجموع	٤٠٠	%١٠٠
٣-	الاهمال من قبل حرس الحدود وعدم الجاهزية له في زيادة ظاهرة التهريب	نعم	٣٦٢	%٩٠,٥
		لا	٣٨	%٩,٥
		المجموع	٤٠٠	%١٠٠
٤-	وجود علاقات بين المهربين والتجار خارج الحدود يزيد من حدوث ظاهرة التهريب	نعم	٣٨٤	%٩٦,٠
		لا	١٦	%٤,٠
		المجموع	٤٠٠	%١٠٠
٥-	تمتع بعض المهربين بعلاقات على مستوى عال مع بعض المسؤلين يزيد من حدوث ظاهرة التهريب	نعم	٣٧٤	%٩٣,٠
		لا	٢٦	%٧,٠
		المجموع	٤٠٠	%١٠٠
٦-	وجود شبكات ممتدة خاصة بعملية التهريب يزيد من حدوثها	نعم	٣٦٧	%٩١,٨
		لا	٣٣	%٨,٢
		المجموع	٤٠٠	%١٠٠
٧-	التاثر بما وصل اليه من اوضاع اجتماعية ومادية نتيجة التهريب يشجع الاخرين على ممارسته	نعم	٣٧٥	%٩٣,٨
		لا	٢٥	%٦,٢
		المجموع	٤٠٠	%١٠٠

من خلال مناقشة بيانات هذا الجدول تبين لنا مايلي :

جاءت الفقرة رقم(٤) المتضمنة :" **وجود علاقات بين المهربين والتجار خارج الحدود يزيد من حدوث ظاهرة التهريب**" في المرتبة الأولى من حيث ارتفاع نسبة من أجاب عليها بنعم من المبحوثين حيث وصلت هذه النسبة الى (٩٦%) وهي نسبة مرتفعة مقارنة بالنسب الأخـرى الموجودة في الجدول .

ويمكن تفسير ذلك من أن هذه العلاقات المتبادلة بين التجار بالداخل والخارج من شأنها تدعيم المهربين ومساعدتهم في انجاز عملياتهم التهريبية من خلال تسهيل مهمة نقل البضاعة المختلفة المراد تهريبها وإيصالها بأمان الى المنطقة الحدودية المحاذية حيث تعمل هذه الخطوة على تشجيع المهربين بالاقدام بثقة كونهم محميين من الجهة المقابلة للحدود فغالبا ما يسير هؤلاء ضمن قوافل وجماعات وخاصة اذا كانت هذه المهربات من الاغنام .

وغالبا ما يعمل التجار داخل الحدود المحاذية على انتقاء نوعية البضاعة المراد تهريبها وكمياتها واختيار الوسيلة الافضل لنقلها بالاضافة الى ترتيب وتنظيم الاوقات التي يتم فيها ادخال هذه البضائع.

اما الفقرة التي احتلت المركز الثاني في حيازتها على أعلى النسب فقد كانت الفقرة رقم(٧) المتضمنة : "**التأثر بما وصل اليه المهربون من أوضاع اجتماعية ومادية**" فقد بلغت نسبتها (٩٣,٨%) وهي نسبة مرتفعة ويمكننا ان نبرر هذا الارتفاع بأن الكثير من الناس في المناطق البدوية والصحراوية يشاهدون بعضهم باستمرار وهذه تعود لطبيعة بناء هذه الجماعات، فهي مجتمعات شبه مغلقة الى حد ما فما يحصل لشخص من التقدم والسعة والرفاهية حتى لو كان في أقصى مناطق البادية لا بد أن تصل أخباره للآخرين فحيث أن الأسباب شبه مكشوفة في أسباب انقلاب أحوال الكثير من هؤلاء المهربين فان تقليد هذا الشخص ومحاولة الوصول لما وصل اليه تصبح من المسائل التي تشغل بال الكثير .

الفقرة رقم (٥) " **تمتع بعض المهربين بعلاقات على مستوى عال مع بعض المسؤولين**" جاءت في المرتبة الثالثة من حيث ارتفاع نسبة المبحوثين الذين أجابوا عليها فقد بلغت نسبة هذه الفقرة (٩٣,٥%)وهي نسبة مرتفعة ولا يستهان بها.

ويمكن تفسير هذا الارتفاع بالنسبة لهذه الفقرة في أن الكثير من المهربين الذين نجحوا سابقا في استغلال هذه العمليات التجارية غالبا ما يعمدون الى بناء علاقات اجتماعية مع بعض المسؤولين سواء في القطاع المدني او القطاع العسكري وغالبا ما تبنى هذه العلاقات حسب المصالح الشخصية المتبادلة بين الطرفين فالأوضاع المادية التي وصل لها بعض المهربين تفتح المجال أمامهم للتعرف على بعض المسؤولين بالحكومة، وفي الدوائر والمؤسسات المختلفة،فمن خلال تقديم الهدايا والهبات وإقامة العزائم والولائم يستطيع بعض هؤلاء أن يسيّر الكثير من أعماله في التهريب فسواء قبل إجراء العمليات التهريبية أو خلالها أو حتى بعد القبض على البضائع فان بعض التجار ومن خلال شبكة علاقاتهم مع المسؤولين سواء المحليين في نفس المنطقة أو في المحافظات الأخرى وخاصة عمان يستطيعوا أن يتدبروا أمورهم ويسيروا هذه العمليات بيسر ونجاح .

أما الفقرة رقم(١) المتضمنة "**تأثير العلاقات القرابية بين المهربين وأقاربهم خارج الحدود** " فقد احتلت المرتبة الرابعة من حيث النسبة حيث بلغت (٩٢,٠%) وهي نسبة أيضا مرتفعة.

ويمكن تفسير ذلك في أن الكثير من سكان منطقة الدراسة أو الأغلبية منهم هم من أصول سورية وبالتالي فان فئة المهربين تعود بأصولها الاجتماعية الى القطر السوري ولا تزال هناك الكثير من هذه الجماعات ترتبط بعلاقات قرابية قوية مع أقاربهم القاطنين بالقطر السوري ،هذا الوضع الاجتماعي يؤثر في عملية التهريب ،حيث يعمل على تحفيز المهربين على الاستمرار في عملياتهم هذه حيث يعمل الأقارب في الجزء الثاني من الحدود على الاشتراك مع أقاربهم في التهريب وهذا من شأنه إنجاح هذه العمليات وتكثيفها، فالمنفعة متبادلة كما ان القُربى موجودة.

بالنسبة للفقرة السادسة من الجدول فقد جاءت في المرتبة الخامسة من حيث ارتفاع نسبة تمثيلها في العينة وهي الفقرة التي تتضمن: "**وجود شبكات ممتدة خاصة بعملية التهريب**" وقد بلغت هذه النسبة(٩١,٨%) وهي نسبة مرتفعة ولا يستهان بها .

ويمكن تفسير ذلك الارتفاع بهذه النسبة الى ان هناك في بعض الحالات تنتشر بعض الشبكات الخاصة بالتهريب تستقطب اليها بعض المهربين من منطقة البادية الشمالية الشرقية وعلى الرغم من قلة هؤلاء المهربين الا ان هذه الحالة موجودة في منطقة الدراسة فالمهربين المنتظمين مع مثل هذه الشبكات لا بد ان يكونوا على مستوى عال من الحرفية والخبرة في عمليات التهريب ولا بد لهم ايضا ان يكونوا على مستوى عال من الثراء أي من الملاكين حيث تصبح اعمال هؤلاء متشعبة وممتدة الى خارج الحدود فكثيرا ما لاحظ الباحث ان هناك عصابات للتهريب تتكون من افراد من جنسيات مختلفة فمثلا :هناك عصابات تهريب تتكون من سعوديين ،وعراقيين ،وسوريين، ولبنانيين بالاضافة الى الاردنيين.

فهذه الحالة لا بد أن يكون لها تأثير في زيادة عمليات التهريب ورفع نسبة المشتركين بهذه النشاطات وتوجيههم نحوها.

وفي الفقرة رقم(٣) المتضمنة :" **الاهمال من قبل حرس الحدود وعدم الجاهزية**" فقد جاءت في المرتبة السادسة وبنسبة مقدارها(٩٠,٠%) وربما يعود ذلك الى ان طبيعة تركيبة قوات البادية وحرس الحدود تفتقر الى التنظيم والجدية في بعض الاحيان فالبعد عن مراكز المسؤولية والنشاطات العسكرية المختلفة حيث الاقامة في الصحراء وعلى اطرافها وعلى طول الحدود البرية اعطى هذه القوات سمة عدم التنظيم وعدم الالتزام بالاوامر العسكرية هذا من جهة، ومن جهة اخرى فان معظم المنتسبين في هذه القوات هم من ابناء البادية أي انهم من ابناء القبائل والعشائر وهؤلاء غالبا ما يوصفون بأنهم لا يلتزمون بالاوامر ولا يطبقون

قواعد الضبط والربط العسكري ولذلك فهم غالبا ما يهملون الوظائف المكلفون بها على طول الحدود لمراقبتها ومنع عمليات التهريب والمتسللين وهذا ما يدفع الكثير من المهـربين مـن انجاح عمليات التهريب عبر الحدود.

اما بالنسبة للفقرة رقم(٢) المتضمنة :**العلاقات القرابية بين المهربين وشرطة الباديـة وحرس الحدود**" فقد جاءت في المرتبة السابعة وبنسبة بلغت(٨٩,٨%) .

ويمكن تفسير السبب في ان هذه العلاقات القرابية في شأنها ان توجه الافراد نحو التوجه للعمل بالتهريب في ان معظم منتسبي قوات البادية هم من ابناء العشائر والكثير منهم ايضا من سكان نفس المنطقة والحال هذه فان الكثير من المهربين يستفيدون من هذا الوضع فقد لاحـظ الباحث خلال اعداده للدراسة ان هناك حالات يكون بها اخوين احدهم مهرب والاخر شرطي في البادية وحرس الحدود واحيانا من نفس العشيرة واحيانا اخرى جيران في نفس القرية، هذه الحالة تجعل الكثير من منتسبي قوات البادية وحرس الحدود يغضون الطرف عن كثير مـن عمليات التهريب التي تتم .

رابعا : آثار التهريب الاقتصادية والاجتماعية على المهربين

جدول رقم(١٧) يبين آثار التهريب على المهربين اقتصاديا:

الرقم	الفقرة		التكرار	النسبة المئوية
١	استبدال المهربون بيت الشعر بالطوب او الحجر من اثار التهريب على المهربين	نعم	٣٧٥	%٩٣,٨
		لا	٢٥	%٦,٢
		المجموع	٤٠٠	%١٠٠
٢	شراء سيارات خاصة للعائلة نتيجة التهريب	نعم	٣٧٢	%٩٣,٠
		لا	٢٨	%٧,٠
		المجموع	٤٠٠	%١٠٠
٣	يعمل ابناء المهربين بالاعمال التجارية الرسمية كنتيجة للتهريب	نعم	٣٢٦	%٨١,٥
		لا	٧٤	%١٨,٥
		المجموع	٤٠٠	%١٠٠
٤	يعطي المال الفرصة لتأمين حياة افضل له ولابنائه نتيجة لتهريب	نعم	٣٦٢	٩٠,٥
		لا	٣٨	%٩,٥
		المجموع	٤٠٠	%١٠٠
٥	الاهتمام بقيم مادية مثل:الادخار والاستثمار كنتيجة للتهريب	نعم	٣١٥	%٧٨,٨
		لا	٨٥	%٢١,٢
		المجموع	٤٠٠	%١٠٠
٦	الاهتمام بقيم الاستهلاك الجديدة والبذخ والاسراف كنتيجة للتهريب	نعم	٣٦٦	%٩١,٥
		لا	٣٤	%٨,٥
		المجموع	٤٠٠	%١٠٠
٧	بروز المهربين كفئة متميزة بامتلاكها للاموال	نعم	٣٦٣	%٩٠,٨
		لا	٣٧	%٩,٢
		المجموع	٤٠٠	%١٠٠
٨	بروز (نمط انتاجي مختلط) يجمع ما بين الاعمال	نعم	٣٤٣	%٨٥,٨
		لا	٥٧	%١٤,٢
		المجموع	٤٠٠	%١٠٠
٩	اصبح التفكير بالمستقبل المهني اكثر الحاحا عند المهربين	نعم	٢٦١	%٦٥,٢
		لا	١٣٩	%٣٤,٨
		المجموع	٤٠٠	%١٠٠
١٠	شراء الاراضي والعقارات واقامة بعض المشاريع كنتيجة للتهريب	نعم	٣٨٣	%٩٥,٨
		لا	١٧	%٤,٢
		المجموع	٤٠٠	%١٠٠

معرفة الآثار الاقتصادية والاجتماعية وبالتالي الحراك الاجتماعي نتيجة اعمال التهريب هو الفرضية الأساسية في هذه الدراسة وقد كان مجمل التركيز على هذا التأثير الذي من الممكن أن تحدثه هذه الإعمال والنشاطات في إحداث عملية الحراك الاجتماعي.

وقد حاولنا أن نتوصل إلى حقيقة هذه التأثيرات من خلال توجيه مجموعة من الأسئلة حيث قسمت إلى قسمين أثار اقتصادية وآثار اجتماعية ،وقد كانت على النحو التالي:

عند تحليل البيانات الواردة في هذا الجدول تبين لنا ما يلي:

كانت الفقرة رقم(١٠) "**شراء الأراضي والعقارات وإقامة بعض المشاريع**" هي الفقرة التي حازت على أعلى نسبة من حيث تأثر المهربين بها من الناحية الاقتصادية حيث بلغت هذه النسبة(٩٥,٨%) وهي نسبة مرتفعة كثيرا مقارنة مع النسب الأخرى في نفس الجدول.

ومن الممكن ان نفسر هذا الارتفاع إلى ان -وهذا ما شاهده الباحث- اغلب المهربين يميلون الى شراء الاراضي والعقارات واقامة المزارع الكبيرة فنتيجة لكسب مبالغ طائلة جراء عمليات التهريب فان هذه الفوائض من مكتسبات التهريب تذهب الى شراء مساحات واسعة من الاراضي والمنازل والاستثمار في اقامة المزارع التي تحتوي على شتى اشكال الحمضيات والخضراوات وقد شاهد الباحث في بعض مناطق البادية بعض العاملين بالتهريب يملكون قطع اراضي تصل مساحتها الى(٢٠) الف دونم ومزارع حمضيات ولوزيات يقوم بتنظيمها مهندسين من اصول اميركية وفرنسية اما منتوجات هذه المزارع فهي تصدر فقط لخارج البلاد .

جاءت الفقرة الأولى :"**استبدال المهربون بيت الشعر بالطوب أو الحجر** " في المرتبة الثانية ، حيث وصلت نسبة تمثيلها بنسبة مقدارها (٩٣,٨%)وهي نسبة مرتفعة تبين انه كان هنالك أثرا واضحا لعمليات ونشاطات التهريب في تغيير أوضاع الكثير من هؤلاء المهربين فبعد أن كانوا يفتقدون للبيوت الثابتة والسكن في بيوت من الشعر نتيجة لعدم امتلاكهم للأموال التي تؤهلهم لبناء هذه المنازل أصبح الكثير من هؤلاء ونتيجة لما اكتسبوه من عمليات

التهريب يملكون المنازل الفاخرة والمبنية من الطوب والحجر والمؤثثة بأرقى الكماليات، وهذا ما وجدته دراسة لوريس الراعي (١٩٨٧).

وقد شاهد الباحث من خلال إعداده للدراسة أن هنالك بعض المهربين يمتلكون بيوتا أشبه ما تكون (بالقصور) والفلل وشبه الفلل وان الكثير من هؤلاء يستخدمون التدفئة المركزية، والتكييف داخل هذه البيوت.

الفقرة رقم (٢):**"شراء السيارات الخاصة للعائلة"**.جاءت في المرتبة الثالثة من حيث تأثرها بعمليات التهريب فقد وصلت هذه النسبة إلى(٩٣,٠%)وهي نسبة مرتفعة فقد عمل التهريب على إكساب الكثير من المهربين مبالغ طائلة من الأموال خلال فترات الانتعاش الاقتصادي للتهريب في هذه المنطقة فقد استغل الكثير من هؤلاء هذه المبالغ بشراء السيارات الفخمة والفاخرة وبأغلى الأثمان، وتم استبدال وسيلة النقل التقليدية في الصحراء وهي الجمل بسيارات نقل خاصة وقوية ،ومن ثم شراء سيارات النقل المتوسطة (pick-up) وشراء سيارات ال (GMC) الفاخرة ،وكذلك شراء سيارات الركوب العادية من الأنواع الفخمة والمتطورة جدا ،فقد شاهد الباحث أثناء إجراء هذه الدراسة في المنطقة أن هناك بعض المهربين يملكون سيارات تقدر أثمانها بمئات الآلاف من الدنانير .وهذا ما إشارة له لوريس الراعي(١٩٨٧).

الفقرة رقم (٦) من الجدول رقم(١٧): **"الاهتمام بقيم الاستهلاك الجديدة والبذخ والإسراف"**جاءت في المرتبة الرابعة من حيث تأثر المهربين بها نتيجة عملهم بنشاطات التهريب،وقد بلغت هذه النسبة(٩١,٥%) وهي أيضا نسبة مرتفعة.

ويمكن تفسير ارتفاع هذا التأثر بمثل هذه القيم بأن الكثير من المهربين كانوا يحصّلون الكثير من الأموال جراء أعمال التهريب بأوقات قياسية، وفي أحيان كثيرة لا يكون هؤلاء قد بذلوا

جهدا كبيرا في تحصيلها، فنجد الكثير من هؤلاء يعمد إلى المبالغة بشراء الحاجات غير الضرورية والاتجاه نحو البذخ والإسراف خلال عمل الولائم والعزائم ،وخاصة بالأفراح والأعراس ،وقد شاهد الباحث خلال فترة اعداد هذه الدراسة أن احدى الولائم ذبح بها ما يقارب ال (٧٠) خاروف،وأن هناك بعض المهربين المشهورين بالمنطقة قد زوج ثلاثة من أبنائه دفعة واحدة ،وأهدى لكل منهم بيت خاص وسيارة ،كما أن هذه الأموال المكتسبة نتيجة التهريب قد أثرت على الكثير من القيم الاستهلاكية فلم تعد الكثير من نساء المهربين تستخدم وسائل صناعة الخبز التقليدية وإنما أصبح الاعتماد على الأفران في صناعة الخبز،وكذلك لم تعد الكثير من العائلات في المنطقة تعتمد على صناعة الألبان بشكلها التقليدي حيث أصبحت تأتي معلبات الألبان والأجبان الجاهزة المصنعة أليا من خارج منطقة البادية .

الفقرة رقم (٧)في الجدول رقم (١٧):"**بروز المهربين كفئة متميزة بامتلاكها للأموال**"جاءت في المرتبة الخامسة، فقد بلغت هذه النسبة (٩٠,٨%).

ويمكن تفسير اثر التهريب على بروز المهربين كفئة متميزة في أن هؤلاء المهربين أصبحوا متميزين، أولا لأنهم يملكون الأموال وثانيا لان طبيعة هذه الأعمال تضفي عليهم طابع خاص من حيث سرية وغموض هذه الأعمال من جهة ، وخطورتها من جهة أخرى ،فهذه الحالة تضفي على الكثير من هؤلاء المهربين حالة من الاحترام المشوب بالخوف ،وهكذا فأن هذه الأعمال تعطيهم تميز خاص عن الآخرين.

أما الفقرة رقم(٨):"**بروز نمط إنتاجي مختلط يجمع ما بين الأعمال**" فقد احتلت المرتبة السابعة وبنسبة مقدارها(٨٥,٥%) وهي نسبة مرتفعة بعض الشيء ويمكن تفسير ذلك بأن المهربين ونتيجة امتلاكهم للأموال اقبل الكثير منهم على بناء بعض الاستثمارات الخاصة سواء في نفس القرية ،أو في نفس منطقة البادية الشمالية الشرقية فمنهم من اشترى قطعان

من الماشية وأبقى على نمط النشاط الرعوي ،ومنهم من أقام البقالات والسوبر ماركت ،ومنهم من استثمر بشراء خطوط الباصات، وشراء صهاريج نقل المحروقات ومنهم من عمل بتجارة الأراضي،ومنهم كذلك من عمل على تدريس أبنائه وتعليمهم بالجامعات وتخرجهم كأساتذة في المدارس ،وبذلك فان مجموعة من الأنماط الإنتاجية قد ظهرت في منطقة البادية الشمالية الشرقية ،تجمع ما بين الأعمال الحكومية والإعمال الرعوية والإعمال التجارية.

بالنسبة للفقرة رقم (٤) من الجدول رقم (١٧): "**أعطاء الفرص لتامين الحياة الأفضل**".فقد جاءت في المرتبة السادسة وبنسبة مئوية بلغت(٩٠,٥%)وهي نسبة مرتفعة.

ويمكن تفسير الأسباب لهذه (النتيجة)في أن المال المتأتي من عمليات التهريب عند الكثير من المهربين غالبا ما يستغله هؤلاء في محاولة تامين حياتهم المستقبلية لهم ولأبنائهم ويعود السبب في ذلك إلى أن الكثير من المهربين يدركون أن حياتهم دائما في خطر فهم معرضون في أي لحظة للوقوع في أيدي القوات الأمنية ،ولذلك نجد هؤلاء يستغلون ما يكسبونه في شراء البيوت والعقارات والسيارات والأراضي وتعليم الأبناء حفاظا على تأمين مستقبلهم الذي قد يكون مجهولا في كثير من الأحيان،ولذلك فإننا نلاحظ أن هذه الأموال تتيح لهؤلاء المهربين وأبنائهم فرصا جيدة للاستثمار وتامين حياة اقتصادية موسرة في كثير من الأحيان.

وبالنسبة للفقرة رقم(٣):"**عمل أبناء المهربين بالإعمال التجارية الرسمية** " فقد جاءت في المرتبة الثامنة وبنسبة بلغت(٨١,٥%)وهي نسبة لا باس بها وتوضح لنا مدى تأثر الجيل الثاني عند المهربين بمكتسبات التهريب.

حيث يمكننا أن نرجع هذا التأثر في أن الكثير من أبناء المهربين ونتيجة للأموال المتحصلة من التهريب يجدون لزامًا عليهم أن يغيروا بهذه المهنة، أما لأنهم كانوا من الجيل

الثاني الذي لم يعتاد على هذه الأعمال، وإما لأن هؤلاء أيقنوا أن عمليات التهريب تشكل خطرا على مستقبلهم ولذلك لجأوا إلى إقامة المشاريع الاستثمارية وإقامة الأعمال التجارية الرسمية المرخصة من قبل الحكومة :كفتح السوبر ماركت والبقالات، وفتح محطات الوقود ،وفتح صالونات الحلاقة،ومحلات الميكانيك وغيار الزيت وغيرها من النشاطات التجارية ،وهذه العملية أشبه ما تكون بعمليات غسيل الأموال ،فقد شاهد الباحث خلال فترة إعداده هذه الدراسة أن هنالك بعض المهربين وأبناءهم بعدما استتبت لهم الأمور ،ونجحوا في الكثير من نشاطات التهريب، عمدوا إلى إقامة المشاريع ،وبناء الاسكانات ،وشراء حافلات النقل وتشغيلها ،وبذلك استغلوا عائدات نشاطات ممنوعة بإقامة نشاطات ومشاريع رسمية ومرخصة.

وفيما يخص الفقرة رقم(٥)من نفس الجدول رقم(١٧) والمتضمنة: "**الاهتمام بقيم مادية مثل:الادخار والاستثمار**"نلاحظ أن هذه النسبة وصلت فقط إلى(٧٨,٨%)وهي نسبة غير مرتفعة مقارنة مع النسب الأخرى للفقرات من نفس الجدول وقد احتلت المرتبة التاسعة .

ويمكننا أن نفسر ذلك في أن :

- يميل معظم المهربين وأبناءهم للاهتمام بقيم مادية معاكسة مثل: البذخ والإسراف، وعدم الاهتمام بالمستقبل بالشكل المطلوب وهذا ما تبين من خلال مناقشة الفقرات السابقة .
- غياب الفكر الاستثماري الأفضل عند الكثير من هؤلاء المهربين، على الرغم من ملكيتهم لرؤوس الأموال.
- غياب النماذج الاستثمارية في نفس منطقة البادية الشرقية، والتي تعمل على تحفيز هؤلاء نحو الاهتمام بمثل هذه القيم.

- ضعف التدريب والتشجيع من القطاعات الحكومية لهؤلاء المهربين للاتجاه نحو الاستغلال الأمثل للأموال التي بحوزتهم.

- طبيعة المهربين البدوية وتركيبتهم الاجتماعية التي تجعل من قيم الادخار والتوفير والاهتمام بالمستقبل مكان تندر في كثير من الأحيان

وأخيرا فقد احتلت الفقرة رقم (٩):"**التفكير بالمستقبل المهني**".المرتبة العاشرة بين الفقرات وبنسبة مقدارها فقط(٦٥,٣%) وهي نسبة ضئيلة كثيرا مقارنة مع الفقرات الأخرى في الجدول ويمكن تفسير سبب تراجع وضئالة هذه النسبة بما يلي:

- نتيجة للانهماك بنشاطات التهريب والتي توفر للكثير من المهربين دخولا مرتفعة،لا يفكر هؤلاء بالاتجاه نحو الحصول على مهنة أو حرفة أخرى فهو يجيد إعمال التهريب فقط ولا يفكر على الأقل في الوقت الحالي على إبدال هذه المهنة.

- تعمل كثير من القيم والعادات والتقاليد الاجتماعية المنتشرة في منطقة البادية الشرقية في كثير من الأحيان بالوقوف بوجه هؤلاء المهربين وحتى أبناءهم في أن يتجهوا للعمل بالمهن الصناعية والحرفية، فلا تزال بعض القيود، والدونية تطوق العمل بالكثير من الحرف والمهن وهذا ما لاحظه الباحث أثناء إعداده لهذه الدراسة .

جدول رقم (١٨) يبين آثار التهريب على المهربين اجتماعيا:

الرقم	الفقرة		التكرار	النسبة المئوية
١	تعليم الابناء في الجامعات والكليات من اثار التهريب بين المهربين	نعم	٣٥٣	%٨٨,٢
		لا	٤٧	%١١,٨
		المجموع	٤٠٠	%١٠٠
٢	المشاركة في حل النزاعات العشائرية من اثار التهريب على المهربين	نعم	٣٤٥	%٨٦,٢
		لا	٥٥	%١٣,٨
		المجموع	٤٠٠	%١٠٠
٣	المشاركة في التوسط لدى الدوائر الحكومية لتوظيف بعض ابناء العشيرة من اثار التهريب على المهربين	نعم	٣٤٠	%٨٥,٠
		لا	٥٦	%١٤,٨
		المجموع	٤٠٠	%١٠٠
٤	عمل الولائم والعزائم للوجهاء والمسؤولين من اثار التهريب على المهربين	نعم	٣٥١	%٨٧,٨
		لا	٤٩	%١٢,٢
		المجموع	٤٠٠	%١٠٠
٥	ميل المهربون الى الزواج من امرأة ثانية تعتبر من اثار التهريب	نعم	٣٦٧	%٩١,٨
		لا	٣٣	%٨,٢
		المجموع	٤٠٠	%١٠٠
٦	ميل المهربون الى توسيع المضافات تعتبر من اثار التهريب	نعم	٣٤١	%٨٥,٢
		لا	٥٩	%١٤,٨
		المجموع	٤٠٠	%١٠٠
٧	ظاهرة انتقال ابناء المهربين للاقامة في المدينة تعتبر من اثار التهريب	نعم	٢٧٤	%٦٨,٥
		لا	١٢٦	%٣١,٥
		المجموع	٤٠٠	%١٠٠
٨	بروز المهربين كفئة منبوذة وغير محترمة	نعم	١٦٦	%٤١,٥
		لا	٢٣٤	%٥٨,٥
		المجموع	٤٠٠	%١٠٠
٩	ادى التهريب الى توجه الافراد نحو العمل الحكومي	نعم	٢٣٢	%٥٨,٠
		لا	١٦٨	%٤٢,٠
		المجموع	٤٠٠	%١٠٠
١٠	من اثار التهريب على المهربين تعرضهم للسجن والاعتقال والاصابات البليغة والموت احيانا	نعم	٣٩٤	%٩٨,٥
		لا	٦	%١,٥
١١	بيع قطيع الماشية الذي كان يمتلكه للتخلص من عملية الترحال كنتيجة للتهريب	نعم	٣٠٥	%٧٦,٢
		لا	٩٥	%٢٣,٨
		المجموع	٤٠٠	%١٠٠

- عند تحليل هذا الجدول تبين لنا ما يلي :

- جاءت الفقرة رقم (١٠):"**تعرض المهربين للسجن ولاعتقال، والإصابات البليغة والموت أحيانا** " في المرتبة الأولى للتأثير اجتماعيا على المهربين فقد بلغت نسبتها(٩٨,٥%) وهي أعلى نسبة في الجدول.

ويمكن تفسير ذلك بما يلي :

إن حياة المهربين دائما بخطر، فهم يقومون بنشاطات غير رسمية تحاربها وتمنعها جميع الدول، فهم محاصرون بالأخطار من جميع الجهات فسواء إخراج البضاعة أو إدخالها تتم معارضته والتصدي له ويتم ذلك في أحياناً كثيرة عن طريق تبادل العيارات النارية فهنا تكثر الإصابات، وتتم الاعتقالات وبالتالي السجن لفترات طويلة أو الإصابة البليغة والمقعدة، ففي أحياناً كثيرة يصاب بعض المهربين إصابات خطيرة كفقدان الأطراف السفلية أو العلوية أو الإصابة بالشلل ،أو فقدان السمع، أو فقدان البصر وفي أحياناً كثيرة أيضاً يتم موت المهرب. .

وقد لاحظ الباحث أثناء قيامة بإعداد الدراسة أن هنالك الكثير من حالات الوفاة جراء العمل بالتهريب، وان هنالك مصابين بالشلل الكلي أو الجزئي وهناك من فقد بصره او سمعه أو إحدى قدميه وغير ذلك من الإصابات، وهذه الإصابات لا بد أنها تترك اثر كبيرا في نفس سواء المهرب أو أهله ناهيك عن الآثار الاجتماعية النفسية التي يتعرض لها الأهل من زوجة وآباء وأبناء جراء هذه الحوادث.

أما الفقرة رقم(٥): "**ميل المهربون إلى الزواج من امرأة ثانية**"، فقد احتلت المرتبة الثانية، بنسبة (٩١,٨%)، وهي نسبة مرتفعة تبين أن التهريب يؤثر على المهربين في اتجاههم نحو الزواج من ثانية.

ويمكن تفسير ذلك في أن المهربين نتيجة اكتسابهم للأموال الوفيرة جـراء عمليـات التهريب، يحاولون أن يظهروا أنهم ذو مكانة وهيبة داخل الجماعة، وهذا الجاه والهيبة يلزمه الزواج من امرأة أخرى، ومن جهة أخرى يحاول إنجاب اكبر عدد ممكن من الأولاد ليساعدوه في حياته وليظهر أكثر قوة وجاهاً داخل عشيرته، وهذه النتيجة توصلت لها لوريس الراعـي في دراستها (١٩٨٧).

وقد واجه الباحث أثناء الإعداد للدارسة ولاحظ مجموعة من الحالات التي يكون فيها الكثير من المهربين متزوج بأكثر من واحدة وأحياناً تصل هذه الزوجات إلى ثلاث زوجات أو أربعة حسب الوضع الاقتصادي. إمكانية إبراز الجاه والهيبة الاجتماعية.

الفقرة رقم (١): "**تعليم الأبناء في الجامعات والكليات**"جاءت فـي المرتبـة الثالثـة، وبنسبة مقدارها(٨٨,٣%)، وهي نسبة مرتفعة مقارنة بالنسب الموجودة في نفس الجدول.

ويمكن تفسير هذا الارتفاع في أن الكثير من المهربين يحبون أن يشاهدوا أبناءهم وقد تعلموا، وأصبحوا يشكلون محور احترام الآخرين فبما أن الأموال موجودة، وأساسيات التعليم متوفرة من قبل الحكومة من مدارس وخدمات تعليمية، وبما أن مناطق البادية مشمولة بخدمات خاصة من حيث المدارس الأقل حضناً، وتوفير المقاعد الجامعية المختلفة، فلما لا يكون إقبـال على التعليم وخاصة العالي منه، فالكثير من المهربين يحثون أبناءهم لإكمال دراستهم العليـا مهما كلف الأمر، وفي حالات شاهدها الباحث عياناً هناك بعض المهربين يُدرس (٤-٥) أبناء في الجامعات بين شاب وفتاة ومنهم من يكمل دراسته العليا بالخارج، ومنهم من يدرس فـي الجامعات الخاصة.

بالنسبة للفقرة رقم (٤): **"عمل الولائم والعزائم للوجهاء والمسؤولين"** فقد احتلت المرتبة الرابعة، وبنسبة مقدارها(٨٧,٨%)وهي أيضاً نسبة مرتفعة مقارنة مع فقرات الجدول الأخرى.

وتفسير ذلك هو أن المهربين وفي ضوء سعيهم لاكتساب ودّ المسؤولين سواء المحليين: الشيوخ، والوجهاء، وعليّة القوم، أو المسؤولين الحكوميين رؤساء البلديات، مدراء مراكز ومخافر الشرطة، مدراء الأقضية، المتصرفين، وبعض كبار موظفي الدوائر يعملون على كسب هؤلاء إلى جانبهم وهذا الكسب لا يتم إلا من خلال الدعوات المختلفة، فقد عمل التهريب على إكساب هؤلاء الأموال التي تمكنهم من إقامة هذه الولائم والعزائم لهؤلاء المسؤولين وبالتالي أصبح المهربين جراء هذه العزائم من علية القوم، الذين يتمتعون بعلاقات جيدة على كافة المستويات.

الفقرة رقم (٢) من نفس الجدول رقم (١٨): **"المشاركة في حل النزعات العشائرية"** احتلت المرتبة الخامسة، وبنسبة مقدارها (٨٦,٣%) وهي أيضاً نسبة تعد مرتفعة في ظل المقارنة مع نسب الجدول الأخرى.

ويمكن أن نفسر سبب تأثير التهريب في مشاركة المهربين في حل النزعات العشائرية، في أن الكثير من هؤلاء المهربين اكتسبوا الاحترام والجاه من خلال الأموال التي اكتسبوها من التهريب وبالتالي أصبح لهم كلمة عند أبناء عشيرتهم ولذلك فإن مشاركتهم بمثل هذه الأمور تعد طبيعة فهم أصبحوا من عليّة القوم، وتناط بهم مسؤوليات اجتماعية كثيرة ومتعددة.

الفقرة رقم (٦): **"الميل إلى توسيع المضافات"** جاءت في المرتبة السادسة وبنسبة مقدارها (٨٥,٣%) وهي أيضاً نسبة مرتفعة في الجدول.

ويمكن أن نفسر ذلك في أن الكثير من المهربين وبعد أن أصبحوا من عليّة القوم والوجهاء وذو المكانات المرتفعة عند أبناء عشيرتهم أصبح لزاماً عليهم أن يوسعوا المضافات، حتى تتسع لأكبر عدد ممكن من المعازيم والضيوف، فكبر المضافة يدل على أن صاحبها هو من عليه القوم وذو مكانة اجتماعية عالية، وبذلك يعمد الكثير من المهربين في منطقة الدراسة إلى توسيع هذه المضافات.

أما الفقرة رقم (٣): "**المشاركة في التوسط لدى الدوائر الحكومية لتوظيف أبناء العشيرة**" فقد احتلت المرتبة السابعة، وبنسبة مقدارها (٨٥,٠%) وهي أيضاً نسبة مرتفعة بعض الشيء مقارنة بفقرات الجدول.

يمكننا تفسير وتحليل هذه الفقرة في أن الكثير من المهربين بعد أن اكتسبوا المال والجاه والمكانة الاجتماعية المرتفعة، وبنوا العلاقات مع المسؤولين الحكوميين، والشيوخ والوجهاء عند الكثير من العشائر الأخرى سواء داخل منطقة البادية أو خارجها، راحوا ينشطون في التدخل بالوظائف الحكومية، وتشغيل بعض أبناء العشيرة ببعض الوظائف المتوفرة في الوزارات والدوائر الحكومية المختلفة.

وقد لاحظ الباحث في أثناء إعداد الدراسة أن ظاهرة المتوسطين من المهربين لدى الدوائر الحكومية أصبحت تشكل عبئاً على الموظفين والحكومة، فكل من أراد الحصول على وظيفة ما عليه إلا أن ينتخي احد هؤلاء الذين أصبحوا يشكلون وسيلة مهمة للتشغيل والتوظيف.

أما بالنسبة للفقرة رقم (١١): "**بيع قطيع الماشية والتخلص من عملية الترحال**" فقد احتلت المرتبة الثامنة وبنسبة بلغت (٧٦,٣%) وهي نسبة لا بأس بها، ويمكننا تفسير هذا التأثر بما يلي:

- بعد أن اكتسب بعض المهربين الأموال الطائلة راح يفكر جدياً في الاستقرار ببيت من الطوب يقيه برودة الشتاء، وعناء التنقل والترحال.

- مع الاستقرار ببيت ثابت فإن مسألة تربية الماشية تصبح من الصعوبة بمكان، ولذلك نلاحظ أن الكثير من المهربين وبعد أن استقر ووصل إلى أوضاع مادية جيدة، بدأ يتخلص من قطيع الماشية، والانتقال وراء الكلأ والماء، وفي أحيانا كثيرة راح الكثير من المهربين يضعون هذه القطعان بأماكن بعيدة جداً عن البيوت وأحياناً كثيرة خارج منطقة البادية كلياً، أو في مناطق الحرة والحماد على أطراف الحدود.

الفقرة رقم (٧): "**انتقال أبناء المهربين للإقامة في المدينة**"، احتلت المرتبة التاسعة، وبنسبة بلغت (٦٨,٥%) وهي نسبة قليلة مقارنة مع النسب المرتفعة بالجدول. إلا أنها لها وزنها في تفسير تأثر المهربين اجتماعياً بعمليات التهريب.

ويمكن تبرير ذلك في أن الكثير من أبناء المهربين قد أكملوا تعليمهم، والبعض منهم حصل على درجات علمية عليا وقد توظف بعض هؤلاء بوظائف حكومية حتمت عليهم الانتقال من منطقة البادية إلى السكن بالقرب من أعمالهم وأماكن وظائفهم المختلفة.

فقد لاحظ الباحث أثناء إعداد الدراسة أن هناك اتجاه ملاحظ لانتقال الكثير من أبناء المهربين من منطقة البادية والسكن في المحافظات الأخرى، في المفرق، واربد وعمان، والزرقاء.

أما الفقرة رقم (٩): "**توجه الأفراد نحو العمل الحكومي**"، فقد احتلت المرتبة العاشرة، وبنسبة مقدارها (٥٨,٠%).

ويعزو الباحث هذه النتيجة إلى أن بعض الأفراد من أبناء المهربين غالباً ما يميلــون إلى الالتحاق بالوظيفة الحكومية ضمان للمستقبل غير الآمن لآبائهم، وأحياناً محاولة التخلص من ما قد يشعر به هؤلاء الأبناء من شعور النبذ وعدم الاحترام في بعض الأحيان.

وأخيراً فقد احتلت الفقرة رقم (٨): "**بروز المهربين كفئة منبوذة وغير محترمة**" في المرتبة الحادية عشرة، وبنسبة مقــدارها(٥٨,٥%)، فقبــد أجــاب (٢٣٤) مبحــوث مــن أصل(٤٠٠) بإجابة (لا) على أن المهربين يعاملون بنبذ وعدم احترام، في حين أجاب (بنعم) فقط (١٦٦) مبحوث وبنسبة ضئيلة مقدارها (٤١,٥)فقط".

ويعزوا الباحث هذه النتيجة إلى أن المهربين نتيجة كل ما لاحظناه ســابقاً يقــدمون مجموعة من الخدمات للمجتمع المحلي وأبناءه، كما أن العمل بالتهريب فــي ظــل تــدهور الأوضاع المادية وقلة فرص العمل، لا ينظر له على انه أعمال ممنوعة، بل بالعكس يــرى الكثير من الناس أن أعمال التهريب هي العمل الرئيسي والطبيعي الذي يجب أن يعمل به أبناء البادية فهو من الأعمال المحترمة التي يتميز صاحبها بالشجاعة والمغامرة والإقــدام، فحيــاة الصحراء بحاجة لهذه المغامرات وهذه الأعمال، ولا أن يبقى الأبناء جليسي البيت، وهذا مــا أشارت له لوريس الراعي (١٩٨٧).

وقد لاحظ الباحث أثناء الإعداد للدراسة أن فئة المهربين يحاطون بالاحترام والتقدير من قبل أبناء عشيرتهم كما أن أعمال التهريب هذه يعتبرها الكثير من الناس مصدراً للرزق، ولا يتحرجون بأن يعرف الكثير منهم بأن مهنته وعمله هو التهريب.

خلاصة النتائج:

يمكننا إجمال النتائج التي خلصت لها هذه الدراسة فيما يلي:

١. أن هناك أثراً واضحاً للنشاط الاقتصادي غير الرسمي (التهريب) في إحداث عملية الحراك الاجتماعي في منطقة البادية الشمالية الشرقية. (منطقة الدراسة).

٢.أن هناك حراك اجتماعي صاعد متأثراً بنشاطات التهريب في منطقة البادية الشمالية الشرقية، كان هذا الحراك الاجتماعي متمثلاً بما يلي:

أ- في مجال تعليم الأبناء في الجامعات والكليات.

ب- في مجال الاستقرار في قرى وتجمعات سكانية.

ت- في مجال الاتجاه لبعض المهن والأعمال الجديدة.

ث- في مجال استغلال التطورات والتقدم الحادث في مجال تكنولوجيا الاتصال والمخترعات والكماليات الأخرى.

ج- في مجال الانتقال مكانياً – وجغرافياً.

ح- في مجال صعود السلم الاجتماعي والحصول على الجاه والمكانة الاجتماعية المرتفعة.

٣. أن هناك حراك اجتماعي هابط كان متأثراً بنشاطات التهريب في البادية الشمالية الشرقية، وقد كان هذا الحراك الهابط متمثلاً :

أ-عدم استغلال الأموال المتحصلة من التهريب بالاستثمارات المنتجة، وبالتالي فقدان الكثير من المهربين لأموالهم بدون أية فوائد تذكر،، كما أن الكثير من هؤلاء لم يقم حتى ببناء منزل من الطوب له ولأبنائه.

ب- فقدان الكثير من المهربين لمستقبلهم العملي جراء الإصابات البليغة، والسجن والاعتقال، والموت في أحيانا كثيرة، فقد عملت هذه الحالات على أن يفقد الكثير من هؤلاء أموالهم وممتلكاتهم المختلفة، وبالتالي تأثروا بحراكٍ اجتماعي هابط.

٤. لم يقتصر تأثير التهريب في الحِراك الاجتماعي عند المهربين (أي العاملين به فقط) بل تعدى ذلك ليمس كافة شرائح مجتمع البادية الشمالية الشرقية وبدرجات متفاوتة.

٥. كان هناك مجموعة من الأسباب وراء اتجاه الكثير من أبناء البادية الشمالية الشرقية (منطقة الدراسة) للتهريب كعمل أساسي، منها:

أ- صعوبة الأوضاع المادية الناتجة عن: حالات الفقر المدقع، المرتبط بمشكلة البطالة المتفشية في هذه المنطقة.

ب- ترك العمل بالنشاط الاقتصادي المرتبط بتربية ورعي المواشي وذلك نتيجة لغلاء أسعار الأعلاف، وسنوات انحباس المطر، وتآكل المراعي والأراضي الصالحة للزراعة.

ت- وقوع البادية الشمالية الشرقية على ثلاث حدود برية جعلها منطقة مشجعة وجاذبة لنشاطات التهريب.

ث- كان هناك دور لقوات البادية وحرس الحدود التي كانت تناط بها مهمة حماية الحدود، فقد تأثر هؤلاء بالعلاقات القرابية مع المهربين، واستغلال بعض هؤلاء لمواقعهم لمقاسمة المهربين أرباحهم مقابل تسهيل أعمال ونشاطات التهريب.

التوصيات:

في ضوء نتائج الدراسة يوصى الباحث بما يلي:

١. تشجيع إقامة المشاريع الاستثمارية من قبل الحكومة، لاستيعاب اكبر عدد ممكن من الأيدي العاملة في المنطقة لصرفها عن الاتجاه نحو العمل بالنشاطات الاقتصادية غير الرسمية (التهريب).

٢. عمل الخطط والبرامج التنموية التي تهدف إلى الحد من الفقر والبطالة في هذه المنطقة علماً، بأن لواء البادية الشمالية الشرقية يعد أحد جيوب الفقر في المملكة وإن نسب هذا الفقر مرتفعة جداً فيه.

٣. نشر التوعية بخطورة العمل بنشاطات التهريب، فالتعاون بهذا المجال يكون بين قوات الأمن العام وحرس الحدود والفعاليات الشعبية والمدنية، ووزارة التنمية الاجتماعية والدوائر الحكومية الأخرى في المنطقة حيث يتم إطلاع الأهالي على حجم الخسائر التي يتعرض لها الكثير من المهربين من سجن، واعتقال، وإصابات بليغة، والموت في بعض الأحيان.

٤. إعادة تأهيل جميع من تعرض للسجن والاعتقال، أو الإصابات البليغة، (جراء العمل بالتهريب) لإعادة دمجه بالمجتمع وإصلاحه بحيث يصبح إنسان منتج ومنتمي، يتم ذلك من خلال دراسات خاصة تقوم بها وزارة التنمية الاجتماعية، وصندوق المعونة الوطنية،ووزارة الصحة بالتعاون مع الجهات الأمنية الأخرى.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

أولاً: (المراجع باللغة العربية)

- ابو حشيش ، محمد (١٩٨٧). **توطن البدو التلقائي في البادية الأردنية**، رسالة ماجستير غير منشورة،عمان الجامعة الأردنية.
- ابن خلدون ،عبد الرحمن بن محمد. (ب.ت). **مقدمة ابن خلدون**، شرح وتحقيق علي عبد الواحد وافي، القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر.
- البدور، محمد علي. (١٩٩٨). **تحليل الواقع الاقتصادي والاجتماعي وأثره على الدخل الزراعي لسكان منطقة الصفاوي**. رسالة ماجستير غير منشورة، عمان: الجامعة الأردنية.
- بركات، حليم. (٢٠٠٠). **المجتمع العربي في القرن العشرين: بحث في الأحوال والعلاقات**، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية
- حتّر، اسمهان. (١٩٩١). **الواقع الاقتصادي والاجتماعي لمنطقة قضاء الموقر في البادية الوسطى**، رسالة ماجستير غير منشورة، عمان الجامعة الأردنية.
- حراحشة، سناء. (٢٠٠٠). **الأسرة الأردنية: الاستمرارية والتغير**، رسالة ماجستير غير منشورة، عمان: الجامعة الأردنية.
- الحمّاد، موفق. (٢٠٠٥). **الاستقرار وتغير بعض القيم الاقتصادية في البادية الشمالية الشرقية**، رسالة ماجستير غير منشورة، اربد: جامعة اليرموك.
- الخزاعلة، عبد العزيز. (٢٠٠٥) **التوزيع المكاني للسكان وعلاقته بالنظام البيئي في البادية الأردنية**، اربد :جامعة اليرموك.

- دائرة الإحصاءات العامة، (٢٠٠٤).

- دائرة الجمارك العامة ، مديرية مكافحة التهريب (٢٠٠٥-٢٠٠٦)

- الدماني، محمد، (١٩٩٥) **الواقع الاقتصادي والاجتماعي لمنطقة البادية الجنوبية**، رسالة ماجستير غير منشورة، عمان: الجامعة الأردنية.

- الزعبي، تيسير. (٢٠٠٣). **الجامع المتين للأنظمة والقوانين**، الأردن، عمان: مطابع الدستور التجاري.

- العثمان، حسين. (١٩٩٢). **الخصائص الاجتماعية والاقتصادية لمنطقة البادية الشمالية**، رسالة ماجستير غير منشورة، عمان: الجامعة الأردنية.

- ساري، حسين عليان، (٢٠٠٠). **دور برنامج بحث وتطوير البادية في تنمية الموارد البشرية**، رسالة ماجستير غير منشورة، المفرق: جامعة آل البيت.

_ قيادة البادية الملكية (١٩٩٦، ١٩٩٧، ١٩٩٨، ١٩٩٩، ٢٠٠٠، ٢٠٠٢).

_مديرية زراعية البادية الشرقية (٢٠٠٤-٢٠٠٦).

- مركز بحوث وتطوير البادية الأردنية، (٢٠٠٠)، الخصائص **الاجتماعية والاقتصادية لمنطقة الرويشد، وتقرير مرحلي عن أسباب الهجرة الداخلية ونتائجها.**

- مكتب آثار المفرق (٢٠٠٥).

-وزارة التخطيط ومركز بحوث وتطوير البادية الأردنية، (٢٠٠٢). الخصائص الاقتصادية والاجتماعيّة لمنطقة بلدية أم القطين والمكيفتة في البادية الشمالية.

- الحنيطي، دوخي عبد الرحيم، (١٩٩٧). **الاتجاهات الاقتصادية والاجتماعية في تنمية البادية الأردنية**، دراسة ميدانية عن منطقة البادية الشمالية، رسالة دكتوراه غير منشورة، الموصل: جامعة الموصل.

-الرّاعي، لوريس. (١٩٨٧). **التغير الاجتماعي والاقتصادي في مجتمع بدوي دراسة ميدانية لمنطقة وادي خالد، لبنان.**

- دائرة مكافحة المخدرات، مديرية مكافحة التهريب، (٢٠٠٢، ٢٠٠٣، ٢٠٠٤، ٢٠٠٥).

- مركز بحوث تطوير البادية الأردنية (٢٠٠٣-٢٠٠٦)

ثانياً: المراجع باللغة الإنجليزية

- Claudio, Sardoni. (١٩٩٠). **The Information Sector: An Estimate of Its Impact on the Italian Economy,** Jurnal of the society for International Development. Vol, No. ٣١٤.

- Johen, Aron, (١٩٨٢). **The hidden Economy in Norway.**

- G Rowe, Alan, (١٩٩٨). **Bedouin Livestock Management and socio – economics in the JBRDP Area,** JBRDP, Jordan, SAFAWI.

- Oakeley, Roger, and, AL-Tabini, Ra'ed, (١٩٩٦). **The Nature And Significance Of Livestock Trading In The North East Badia Of JORDAN JBRDP,** Safawi.

- Portes, Alejandro, (١٩٩٢). **The informal Economy:** Studies in Advanced and less developing countries, American Journal of Sociology, vol. ٢٣. No١.

- Kenadjiam, Berdj, (١٩٨٢). **The Direct Approach to Measuring The Underground Economy in the United States.** USA.

- AL-Sirour Momdouh, (١٩٩٩). **Changing Geographic patterns of Pastoralists Mobility:** A Study of the Bedu at North-East Jordan, ph.D. Thesis, Glasgow, university of Glasgow.

- AL-Zaghal, Ali, (٢٠٠٢). **Social Life in a Jordanian Badia: A socio-Economic Study of the Northeastern Badia,** Jordan, Yarmouk University, Jordan, Irbid.

الملاحــق

ملحق رقم (١)

الحالات التي تمت دراستها

-الحالة رقم١: (خ.م.ع.ش)

ولد هذا الشخص في سوريا ولا يزال يتمتع بعلاقات حميمة مع أقاربه هناك ويتواصل مع هؤلاء الأقارب. يعمل المذكور بأعمال التهريب منذ فترة طويلة ويعتبر هذه الأعمال أعمال ونشاطات تجارية عادية كونه لا يجد عملا دائما ،وهو متزوج ويعيل (٩أفراد)،وهو متخصص بتهريب الأسلحة والذخائر عن طريق الحدود السورية، وقد استفاد ماديا من هذه الأعمال ،فقد انتقل من السكن في بيت الشعر إلى بناء مسكن دائم مؤثث بأحدث المقتنيات .كما أدخل أولاده إلى المدارس ليعلمهم بعدما بقوا لفترة طويلة من الزمن بدون دراسة ،وقام بشراء قطيع من الأغنام للاستفادة منه،وخلال فترة ليست بالطويلة استطاع أن يصبح من الأفراد المعروفين داخل القرية التي يسكن بها ،وأن يصبح من وجهائها ،ويفكر الآن أن ينقل بعض أعماله التجارية إلى خارج منطقة البادية ،إذ يقول أنه بدء التفكير بانشاء مصلحة خاصة بمدينة المفرق ،فإما أنه يفتح بقالة ،أو مكتب خدمات عامه ،بالإضافة إلى أنه يريد الزواج من امرأة أخرى.

الحالة رقم٢: (م،س.ر.ش)

المدعو(م س رش)ولد في منطقة البادية الشمالية الشرقية، وهو الآن عاطل عن العمل ،يعيل أسرة مكونة من ٤أفراد ،كان سابقا يعمل في القوات المسلحة الأردنية. وقد فر من الخدمة العسكرية مفضلا حياة التنقل والترحال ومساعدة أهله في أعباء العمل بتربية الماشية والتنقل والترحال طلبا للكلأ والماء.

غادر هذا الشخص المملكة الأردنية متسللا عبر الحدود السعودية ،وعمل هناك في نشاطات التهريب (تهريب المخدرات) وتم إلقاء القبض عليه داخل السعودية ،بجريمة الاتجار بالمخدرات وحكم عليه مدة (١٠)أعوام قضاها في السجون السعودية وبعد عودته الى الأردن لم يستطع المذكور إيجاد عملٍ ،فعاد لأعمال التهريب ،فنشط بتهريب الأسلحة والأغنام والمخدرات، وتم إلقاء القبض عليه مره أخرى وأودع في السجون الأردنية ،فترات مختلفة تراوحت بين (٣-٥سنوات). وقد أمضى هذه الأحكام، لكنه كان يصر على العودة للنشاطات التهريب وكانت آخر نشاطاته في تهريب الدخان والمحروقات ،وقد أحرز بعض النجاح في هذه النشاطات ، لكنه لم يستطع لهذه الأيام أن ينعم ببيت ثابت من الطوب يقيه هو وأبناءه مشقة التنقل والترحال ولم يستطع كذلك تعليم أبنائه في المدارس إذ يعاني من أوضاع مادية صعبة للغاية ،بل يعاني الكثير من الأمراض المزمنة التي تقعده عن العمل جراء بعض الإصابات والمعاناة الكثيرة داخل السجون السعودية ،إذ أصيب خلال فترة حبسه هناك بمرض الكلى ، إلى جانب ذلك يعاني من إصابة عيار ناري قديم في إحدى قدميه يجعله مقعداً عن العمل . يعيش هذا الشخص على المعونة المتكررة التي خصصها له صندوق المعونة الوطنية في منطقة البادية الشمالية الشرقية ،كونه عاجز عن العمل ولا يستطيع إعالة أفراد أسرته التي تحتاج لمصروفات إضافية.

الحالة رقم ٣: (س.ع.ع.ش)

يبلغ هذا الشخص السادسة والأربعين من العمر ،وهو متزوج وله(أربعة)أولاد ،ولد في قرية حدودية تقع على الحدود السورية تدعى (دير القن) وهذا الوضع ساعده كثيرا على أن يكون أحد المهربين المشهورين في منطقة البادية الشمالية الشرقية ،استفاد المذكور كثيرا من عمله بهذه النشاطات التجارية غير الرسمية ، وعندما أصبحت هذه النشاطات تدر عليه

الكثير من الأموال بدء في توسيع أعماله وتغيير أوضاعه الاجتماعية والاقتصادية ،فبعدما كان يسكن في بيت من الخيش أصبح الآن يقيم بمنزل مبني من الحجر الخالص ،وامتلك سيارة خاصة من أفخم الأنواع ،وقام باستثمار خاص ،حيث اشترى خط باص القرية ليقدم خدمة لأبناء قريته البعيدة عن المراكز الحضرية والخدماتية ،وقد عمل بذلك على كسب احترام عشيرته في القرية والقرى المجاورة ،وكذلك ادخل أبناءه المدارس بعدما كانوا محرومين من التعليم، أسوة بأبناء العائلات والقرى الأخرى .

لم يكتفِ هذا الشخص بالتغيرات والتبدلات المحلية (داخل مجتمعه المحلي) بل انطلق باستثماراته الاقتصادية إلى خارج منطقة البادية ،فأصبحت أعماله التجارية (الاستثمارات العقارية ،بيع الأراضي ،فتح محلات البقالة،التجارة بالأعلاف) تمتد إلى محافظات :المفرق ،وإربد،والزرقاء،وعمان) بذلك فقد تفتحت آفاق هذا الشخص الاستثمارية ،وأصبح يمتلك شبكة في العلاقات الاجتماعية والمصالح المتبادلة مع التجار خارج المنطقة وقد استفاد كثيرا من تجارب هؤلاء على المستويات الاقتصادية ،وعمل على نقل الكثير من هذه التجارب والمشروعات وأقام بعضها في منطقة البادية ،وقد حالف الكثير منها النجاح وساهمت بشكل لافت إلى تشغيل الكثير من الأيدي العاملة في منطقة البادية الشمالية الشرقية.

الحالة رقم٤ : (غ.م.ش)

يبلغ المدعو (غ م ش) ٦٠عاما من العمر،ولديه من الأبناء خمسة ،ولد المذكور في القطر السوري ،وهو متقاعد من القوات المسلحة الأردنية ،عمل المذكور في أعمال التهريب ،وكان ينشط بالأخص بتهريب (الأغنام)وكان ذلك يتم عبر الحدود العراقية ،ويذكر أن أعمال التهريب التي كان يقوم بها كانت تتم أحيانا كثيرة بمساعدة من بعض العاملين بشرطة البادية

وحرس الحدود حيث كان بعض منهم يمهد له الطريق ويعمل له ثغرات خاصة يتم منها اخراج الأغنام مقابل ذلك يستفيد هؤلاء بأن يحصلوا على رؤوس من هذه الأغنام كمكافئة لهم ،كما أنه استفاد من علاقاته القرابيه مع بعض هؤلاء ،حيث كان له صلات قرابية مع بعض منتسبي هذه القوات.

وقد استفاد المذكور من عوائد هذه النشاطات ،فهو بداية تخلص من بيت الشعر الذي كان يسكنه وقام بشراء قطيع كبير من الأغنام وجعل مهمة العناية به لرعيان مستأجرين يدفع لهم أجرا معينا نهاية كل شهر ،وأصبحت هذه الأغنام تقيم بمكان بعيد عن مكان سكنه الثابت وأصبح هو فقط يعمل كمشرف ومراقب لهذا القطيع ومراقبا عليه ،حيث التجارة وجني الأرباح السنوية ،والشهرية من هذه القطعان المختلفة ،واشترى سيارات النقل الشاحنة وتنكات خاصة لنقل المياه للمنطقة التي تحتاجها، ونقل مستلزماتها من مشارب وأعلاف وبيوت شعر والكثير من الحاجات الخاصة لهذه القطعان.

كما أنه أصبح أكثر اهتماما بتعليم الأبناء فألحقهم بالمدارس وتخرجوا في الجامعات والكليات وزوجهم وبنى لكل منهم بيتاً منعزلاً عن الآخر ،وحصل بعضهم على وظائف في قطاع الحكومة ،فمنهم من أصبح أستاذا بمدرسة القرية ،ومنهم من تعين في وظائف حكومية خارج المنطقة بالمحافظات الأخرى ،وبذلك فقد أصبح هذا الشخص من الأشخاص الذين يكن لهم الاحترام والتقدير داخل العشيرة ،وداخل مجتمع البادية .

الحالة رقم٥: (ع.س.ر.ش)

ولد المدعو(ع س ر ش) في القطر السوري، وهو متزوج ويعيل أسرة مكونة من(سبعة)أولاد ،وعمل في تهريب المخدرات والأسلحة ،وقد كانت هذه السلع يتم تهريبها عن طريق الحدود السورية، يتمتع المذكور بعلاقات قرابة متينة مع الكثير ممن يقيمون في سوريا

وهذا عائد لحكم الأصول الاجتماعية للكثير من سكان المنطقة ،كما أنه يتمتع بنفس الوقت بعلاقات قرابة مع بعض منتسبي قوات البادية وحرس الحدود ،عمل هذا الشخص لسنوات طويلة بنشاطات التهريب ،لكنه في إحدى المرات تم القاء القبض عليه متلبسا وأودع السجن وحوكم بسبع سنوات حبس مع دفع الغرامات المختلفة .

وعلى الرغم من الفترة الطويلة التي قضاها المذكور في السجن إلا أنه كان مستفيدا بشكل كبير من عوائد التهريب المختلفة ،وقبل دخوله السجن كان قد أنجز الكثير من الأعمال والمنجزات التي يسعى لها أي إنسان أراد أن يغير في حياته ويسعى للأفضل.

فقد كان لتعليم الأبناء وإدخالهم المدارس الأولوية الكبيرة عند المذكور ،ثم الانتقال من بيت الشعر إلى بناء المسكن الثابت الذي يتمتع بأناقة وفخامة بيوت المدينة ،بل ويفوقها أحيانا كثيرة سعة وتنظيماً وجودةً ،ثم امتلاك السيارة الخاصة كتعبير عن الثروة والجاه الاجتماعي ،والزواج من أخرى ،كما عمل المذكور على شراء مزرعة خاصة بالخضار والفواكه وبداخلها بئر ارتوازي وهو بذلك ساهم في تشغيل الكثير من الأيدي العاملة من أبناء المنطقة وبناتها التي يسكن بها ،وهذا بدوره ساعد على أن يكون هذا الشخص من الناس القلائل الذين يعدون من عِلية القوم ،والذين يتمتعون باحترام وتبجيل كبيرين من أبناء وبنات عشيرتهم الذين يساهمون في تنمية المجتمع المحلي ،والمساعدة بحل الكثير من المشكلات التي قد تحصل ،وإصلاح النزاعات والمشاحنات.

الحالة رقم ٦: (ف.ع.ع.خ)

المدعو(ف ع خ) ولد في منطقة الرويشد ، ويبلغ من العمر ٣٤سنة ، وهو متزوج ولديه (أربعة أبناء) عمل المذكور في نشاطات التهريب، وخاصة في تهريب الأسلحة والأغنام ، وكذلك مارس في ما بعد تهريب المحروقات عبر الحدود العراقية . يتمتع المذكور

بحكم أصوله السورية بعلاقات متينة مع أقاربه في سوريا ، وهو عن طريقهم مارس الكثير من هذه العمليات التي كان لهم بها مساندة ومساعدة له ،كذلك فهو يتمتع بعلاقات قرابة مع بعض منتسبي قوات البادية وحرس الحدود وكان البعض منهم يساعده في نشاطاته هذه ،والمدعو لا يجيد أي عمل آخر سوى أعمال التهريب هذه ،فقد تعلمها من أباه الذي كان يعمل بها وأشقائه الأكبر منه سنا .

استفاد المذكور من هذه النشاطات التجارية غير الرسميّة ،فقد انتقل من السكن في بيت الشعر إلى السكن في منزل ثابت من الحجر ، وقام بتأثيثه وتجهيزه بأحدث المقتنيات ،واشترى سيارة خاصة به ، وقام بإنشاء محطة محروقات في منطقة البادية الشمالية الشرقية، وهذه المحطة بالطبع اشتملت على إنشاء محلات بقاله ، ومحلات ميكانيك ، وغيار زيت وتشحيم سيارات ، بالإضافة إلى إقامة مسجد خاص بهذه المحطة ، وهو بذلك أسهم في تشغيل بعض الأيدي العاملة والتي لا تجد فرصة للعمل.

كما عمل المذكور على تدريس شقيقه في إحدى الجامعات في الخارج على نفقته الخاصة ،حيث أصر على أن يدرس الطب لكي يعود طبيبا للقرية يعتز ويفتخر به ، هذا بالإضافة لشراء العقارات والأراضي سواء داخل منطقة البادية أو خارجها في المحافظات الأخرى . كما قام بشراء خط باص مع حافلة تعمل على إحدى خطوط المحافظة .

الحالة رقم ٧: (م.ع.س.م)

المدعو: م.ع.س.م،متزوج ، عمره ٥٥سنه ، مولود في منطقة البادية الشمالية الشرقية ، وتحديدا في منطقة دير الكهف الحدوديه ،ويعيل أسرة مكونة من (سبعة) أشخاص . عمل المذكور بمهنة التهريب لسنوات طويلة ،ونتيجة لقرب منطقته من الحدود السورية ووجود بعض الأقارب هناك فقد مارس المذكور تهريب المخدرات عبر هذه الحدود وكانت

هذه النشاطات التي يعمل بها تتم بمساعدة تجار من القطر السوري ،فقد مارس المذكور تهريب المخدرات لفترة طويلة من الزمن ، وقد استخدم بذلك الكثير من الوسائل كان أهمها استخدام الدواب كالحمير والجمال والبغال، وأحيانا كثيرة كان يقوم بنقل البضاعة مشيا على الأقدام وإدخالها للأردن عبر اجتياز الحدود ،حيث كان على دراية وخبرة بالممرات والثغرات السرية.

تعرض هذا الشخص في احدى عمليات التهريب للمداهمة من قبل قوات البادية وحرس الحدود وتم إلقاء القبض عليه متلبسا وبحوزته كميات كبيرة من المخدرات ، وقد أدخل السجن بفعل هذه الحادثة وحوكم ، وقضى مدة الحبس التي وصلت سبع سنوات قضاها داخل السجن ، بعيدا عن عائلته وأهله وقد أثرت هذه الحادثة على أسرته فبالإضافة إلى الضغوط النفسية والاجتماعية ، فقد مرّوا بظروف مادية صعبة للغاية ، ولم يجدوا المعيل لهم سوى الالتجاء لصندوق المعونة الوطنية لمساعدتهم.

وبعد أن قضى المذكور كامل المدة في السجن وعانى ما جعله يبدو غير قادر على العمل حاول استغلال ما كان قد استثمره قبل دخوله السجن وقد كان هذا الاستثمار مخفيا على العائلة ،وقد تبدو هذه الطريقة إحدى الطرق التي يستخدمها المهربون ،حيث دائما لا يسجلون جميع الممتلكات والاستثمارات بأسماءهم خوفا من المصادرة من قبل الحكومة ،فقد تبين أنه يمتلك سيارة نقل خاصة(pick-.up)،وقطيع من الأغنام ،وبعض العقارات والأبنية في المدينة حيث بدأ العمل بها واستثمارها .

الحالة رقم ٨: (ف. ف. م)

المدعو :(ف. ف.م) من مواليد منطقة البادية الشمالية الشرقية ،يبلغ من العمر ٣٧عام ،متزوج من زوجتين ،ولديه (خمسة)أبناء ،عمل المذكور بأعمال ونشاطات التهريب

لفترة من الزمن . كان متخصصاً بتهريب الأسلحة والمخدرات ،وبحكم الأصول الاجتماعية فقد استفاد من علاقات القرابة مع ممن يقيمون في سوريا ،حيث كان يتعاون معهم في تسهيل مهمة إخراج البضاعة عبر الحدود السورية وإدخالها للأردن ،أصيب المذكور إصابة بالغة في القدم والظهر جراء تبادل إطلاق العيارات النارية في إحدى عمليات التهريب ،وقد أدخل للمستشفى وتم إجراء مجموعة من العمليات له استغرقت وقتا من الزمن والكثير من المصروفات العلاجية والأدوية المختلفة.

وقد عملت العوائد المادية التي كان يجنيها من نشاطات التهريب هذه إلى تغير الكثير من أوضاعه المادية والاجتماعية على السواء ،فقد استقر بمنزل من الحجر بعدما كان يقيم في بيت من الشعر ،واشترى الكثير من الأراضي والعقارات ،سواء داخل منطقة البادية أو خارجها ،وامتلك سيارتين خاصتين به ،وتزوج ثلاث مرات ،وهو يمتلك الكثير من المخازن المؤجرة في المنطقه والتي تدر عليه دخلا ماديا ثابتا ،وقد سافر المذكور لأكثر من بلد مثل :سوريا ،لبنان،تركيا،مصر،السعودية،الإمارات .وقد كانت أكثر هذه السفرات تتم لإتمام بعض الصفقات ،وأحيانا كانت سياحية للاستجمام.

بعد استقرار أوضاع المذكور المادية ،وتشديد الرقابة على الحدود اتجه للأعمال الخيّرية داخل منطقته التي يسكن فيها ،ووسع نطاق عمله ليشمل مجمل مناطق البادية الشرقية ،فقد أصبح هذا الشخص خلال فترة قليلة من الوقت من الأشخاص المعروفين على مستوى المملكة بأعماله الخيرية التي كان يحققها عن طريق الجمعية الخيرية التي يرأسها وهو لا يزال يعمل وينشط بهذه الأعمال ،فالجمعية التي كان هو نفسه الممول الأول والأوحد لها ولا يزال، أصبحت الآن من أكبر الجمعيات العاملة والناجحة في منطقة الباديه ومحافظة المفرق بشكل عام ،فهي تقدم المساعدات للفقراء والمحتاجين ،وتقدم القروض للطلبة الدارسين

بالجامعات ،وتشكل استقطاباً شعبياً لمن أراد خوض الانتخابات المختلفة البلديـــة أو النيابيـــة ،وبذلك فقد وصل هذا الشخص إلى احترام وتقدير كبير داخل مجتمعـــه ،وأصـــبح ذا مكانـــة اجتماعية مرتفعة.

الحالة رقم ٩: (ب.م.ع.غ)

المدعو: (ب.م.ع.غ) ولد في سوريا .عمره (٤٣عاما) ولديه ستة أبناء كان مقيما في سوريا ، وقد ارتحل للإقامة في الأردن وتحديدا في منطقة الرويشد الحدوديـــة ، عمـــل هـــذا الشخص بالتهريب ، فقد مارس هذا العمل نظرا لصعوبة امتلاكه إلى مهنة أو حرفة ، ولعـــدم امتلاكه أية ممتلكات من الممكن أن يستغلها مثل: الأغنام، أو الأراضي الزراعية.

سجن المذكور لمدة ثلاث سنوات جراء ادانته بتهريب الدخان عـــن طريـــق الحـــدود السورية ،وبعد خروجه من السجن عاد للعمل بالتهريب إلا أنه لم يوفق كثيرا ولم يجني المال أسوة بالكثير ممن عملوا بهذه النشاطات ،فقد كان هذا الشخص ينفق ما يجنيه بشراء السيارات الحديثة ،ويسرف كثيرا على هذه السيارات ،حتى أنه لم يقم ببناء بيت ثابت من الطـــوب لـــه ولأبنائه ،فهو لا يزال للآن يسكن (خربوش من الخيش)هو وأبنائه ،ونتيجة لعـــدم اتقانـــه أي مهنة أو أي أملاك ،ولتشديد الرقابة على الحدود فقد بدء يعمل بالمزارع هو وأبنائه الذين تـــم سحبهم من المدارس لمساعدته في تحقيق قوتهم اليومي لهم ،والاحتياجات الأخرى من ملـــبس ومأكل ومسكن.

الحالة رقم ١٠: (ص.ع.ش):

المدعو :ص.ع.ش من مواليد البادية الشمالية الشرقية ،وتحديدا في منطقة الحميدية على طريق بغداد ،وهو متزوج ،وعمره ٣٧عام ولديه ثلاثة أبناء ،عمل هذا الشخص بتهريب الدخان والمحروقات عن طريق الحدود العراقية ،وجراء هذه الأعمال قبض عليه وأودع فـــي السجن وحكم عليه مدة ثلاث سنوات قضاها بعيدا عن أهله وأبنائه وزوجته التي كانت تقـــيم عند والده ووالدته في نفس المنزل .

بعد خروجه من السجن لم يترك المذكور أعمال التهريب ونشاطاته بل عاد لهذه الأعمال مرة أخرى .لكن الحظ ظل يعانده فكانت خسائره أكثر من الأرباح التي يجنيها ،فلم يستطع هذا الشخص الذي لا يزال يقيم عند أهله ويعمل بتهريب المحروقات من بناء مسكن خاص به ،ولم يستطيع أن يطور تجارته أو يمتلك أية ممتلكات ذات قيمة تذكر ،وظل على حالته القديمة ،فهو للآن يعاني من أوضاع مادية واجتماعية ونفسية صعبة للغاية ويتعرض بين فترة وأخرى لملاحقة السلطات نتيجة لتهريب المحروقات فقد أصر هذا الشخص على وضع (خيمة) خاصة بجالونات وبراميل المحروقات على جانب الطريق الرئيسي بجانب منزل والده وهذا ما جعل السلطات الرسمية تداهمه في كل مرة وتصادر كميات المحروقات التي بحوزته.

بسم الله الرحمن الرحيم

ملحق رقم (٢)

استبانة البحث

جامعة اليرموك
كليـــــة الآداب
قسم علم الاجتماع

أخي الكريم/ أختي الكريمة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

يقوم الطالب خالد الشرفات بدراسة تهدف الى التعرف على (**النشاط الاقتصادي غيـــر الرسمي (التهريب) والحراك الاجتماعي في البادية الشمالية الشرقية**)، لذا يرجـــى التكـــرم بالإجابة عن جميع أسئلة الاستبيان التالي بدقة وموضوعية، وسوف يتم استخدامها للأغراض العلمية فقط، وهي استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير من جامعة اليرموك.

ولكم جزيل الشكر والعرفان

الباحث

خالد فياض الشرفات

رقم الاستبيان:

تاريخ تعبئة الاستبيان:

اسم القرية:

المعلومات الشخصية:

١- الجنس:

ذكر ☐ أنثى ☐

٢- العمر:

☐ من ١٨ سنة -٣٤ سنة ☐ من ٣٥ سنة -٦٤ سنة ☐ اكثر من ٦٥ سنة

٣- مكان الولادة:

☐ نفس البلدة ☐ منطقة البادية الشمالية الشرقية ☐ داخل الأردن

٤- الحالة الاجتماعية:

☐ أعزب ☐ متزوج من زوجة واحدة ☐ متزوج من أكثر من زوجة

☐ مطلق ☐ أرمل

٥- المستوى التعليمي:

☐ أمي ☐ ثانوية فما دون ☐ دبلوم ☐ بكالوريوس فأعلى

٦- المهنة:

☐ وظيفة حكومية ☐ وظيفة خاصة ☐ أعمال حرفية

☐ متقاعد ☐ أعمال أخرى

أولاً: المهربات وطرق تهريبها

س١: أعط نسبة من (١٠٠%) للطرق والوسائل المستخدمة في عمليات التهريب:

١- عن طريق الدواب (الحمير، البغال، الجمال) ....

٢- عن طريق نقلها ذاتياً على الأقدام ....

٣- عن طريق نقلها بالسيارات الخاصة بكل سلعة ....

س٢: أعط نسبة من (١٠٠%) للسلع الأكثر مروراً عبر الحدود طريق التهريب:

١- المخدرات.....................

٢- الأغنام ....

٣- الأسلحة ومعداتها.............

٤- الدخان ....

٥- المحروقات...................

س٣: تجري عملية تهريب الدخان عبر الوسائل التالية:

١- الدواب.

٢- البكبات.

٣- GMC.

٤- الشاحنات الكبيرة.

٥- غير ذلك.

س٤: تجري عملية تهريب المخدرات عبر الوسائل التالية:

١- الدواب.

٢- البكبات.

٣- GMS.

٤- الشاحنات الكبيرة.

٥- غير ذلك.

س٥: تجري عملية تهريب الأسلحة ومعداتها عبر الوسائل التالية:

١- الدواب.

٢- البكبات.

٣- GMS.

٤- الشاحنات.

٥- غير ذلك.

س٦: تجري عملية تهريب الأغنام عبر الوسائل التالية:

١- البكبات.

٢- GMS.

٣- الشاحنات.

٤- جلبها مشياً على الأقدام.

س٧: تجري عملية تهريب المحروقات عبر الوسائل التالية:

١- السيارات الشاحنة.

٢- سيارات GMS.

٣- صهاريج نقل المحروقات.

ثانياً: ضع إشارة (×) أمام الإجابة التي تراها مناسبة:

الرقم	فقرات أسباب التوجه نحو التهريب	نعم	لا
١	الأوضاع المادية الصعبة		
٢	البطالـــــــــــــة		
٣	تؤثر العلاقات القرابية بين المهربين وأقاربهم خارج الحدود في زيـــادة ظـــاهرة التهريب		
٤	الرشاوي والمحاصصة مع أفراد شرطة البادية لها دور في زيادة ظاهرة التهريب		
٥	العلاقات القرابية بين المهربين ورجال شرطة البادية وحرس الحدود تزيـــد مـــن ظاهرة التهريب		
٦	الإهمال من قبل حرس الحدود وعدم الجاهزية له دور في زيادة ظاهرة التهريب		
٧	وقوع البادية الشمالية الشرقية على ثلاث مناطق حدودية يزيد من حدوث ظـــاهرة التهريب		
٨	التأثر بما وصل إليه المهربون من أوضاع اجتماعية ومادية نتيجة التهريب يشجع الأخرين على ممارسته		
٩	وجود علاقات بين المهربين والتجار خارج الحدود يزيد مـــن حـــدوث ظـــاهرة التهريب		
١٠	تمتع بعض المهربين بعلاقات على مستوى عال من بعض المسؤولين يزيـــد مـــن حدوث ظاهرة التهريب		
١١	وجود شبكات ممتدة خاصة بعملية التهريب يزيد من حدوثها		
١٢	امتلاك بعض المهربين للأموال التي تمكنهم من السفر الى الخـــارج يزيـــد مـــن حدوث ظاهرة التهريب		
١٣	غلاء أسعار الأعلاف وبالتالي ترك العمل برعي الماشية من أسباب اللجوء الـــى التهريب		
١٤	انتشار الفقر بين سكان البادية الشمالية يزيد من ظاهرة التهريب		

ثالثاً: ضع إشارة (×) أمام الإجابة التي تراها مناسبة:

الرقم	فقرات آثار التهريب على المهربين	نعم	لا
١	استبدال المهربون بيت الشعر بالطوب او الحجر من آثار التهريب على المهربين		
٢	شراء سيارات خاصة للعائلة نتيجة التهريب		
٣	تعليم الأبناء في الجامعات والكليات من آثار التهريب بين المهربين		
٤	المشاركة في حل النزاعات العشائرية من آثار التهريب على المهربين		
٥	المشاركة في التوسط لدى الدوائر الحكومية لتوظيف بعض أبناء العشيرة من آثار التهريب على المهربين		
٦	عمل الولائم والعزائم للوجهاء والمسؤولين من آثار التهريب على المهربين		
٧	ميل المهربون الى الزواج من امرأة ثانية تعتبر من آثار التهريب		
٨	ميل المهربون الى توسيع المضافات تعتبر من آثار التهريب		
٩	ظاهرة انتقال أبناء المهربين للإقامة في المدينة تعتبر من آثار التهريب		
١٠	يعمل أبناء المهربين بالأعمال التجارية الرسمية كنتيجة للتهريب		
١١	يُعطي المال الفرصة لتأمين حياة أفضل له ولأبنائه نتيجة للتهريب		
١٢	الاهتمام بقيم مادية مثل، الادخار والاستثمار كنتيجة للتهريب		
١٣	الاهتمام بقيم الاستهلاك الجديدة والبذخ والإسراف كنتيجة للتهريب		
١٤	بروز المهربين كفئة منبوذة وغير محترمة		
١٥	بروز المهربين كفئة متميزة بامتلاكها للأموال		
١٦	أدى التهريب الى التوجه الأفراد نحو العمل الحكومي		
١٧	بروز (نمط إنتاجي مختلط) يجمع ما بين الأعمال		
١٨	بيع قطيع الماشية الذي كان يمتلكه والتخلص من عملية الترحال كنتيجة للتهريب		
١٩	أصبح التفكير بالمستقبل المهني أكثر إلحاحاً عند المهربين		
٢٠	شراء الأراضي والعقارات وإقامة بعض المشاريع كنتيجة للتهريب		
٢١	من آثار التهريب على المهربين تعرضهم للسجن والاعتقال، والإصابات البليغة، والموت أحياناً		

ملحق رقم (٣)

قائمة برموز اسماء الاخباريين وتاريخ ميلادهم ،وطبيعة عملهم ،ومكان اقامتهم

رقم الاخباري	رمز الاخباري	تاريخ الميلاد	مكان الاقامة	العمل
١	م.ع.ش	١٩٥٩	دير القن/ البادية الشمالية الشرقية	مربي اغنام
٢	ع.ش.م	١٩٥٦	أم الجمال/ البادية الشمالية الشرقية	تاجر اغنام
٣	ث.ع.م.ع	١٩٧٣	الرويشد/ البادية الشمالية الشرقية	تاجر
٤	ع.غ.ر.ش	١٩٦٧	الصفاوي/ البادية الشمالية الشرقية	متقاعد من قوات البادية
٥	ع.هـ.ع.ش	١٩٦٨	البستانة/ البادية الشمالية الشرقية	تاجر
٦	ض.ع.غ.ش	١٩٥٤	الجدعا/ البادية الشمالية الشرقية	ربة بيت
٧	ز.ن.غ.ز	١٩٦٥	الحميدية/ البادية الشمالية الشرقية	تاجر
٨	م.م.س.م	١٩٧٠	روضة الامير حمزة/ البادية الشمالية الشرقية	تاجر
٩	خ.ع.ن	١٩٤٤	الرويشد/ البادية الشمالية الشرقية	تاجر
١٠	ح.ع.خ	١٩٤٧	الرويشد البادية الشمالية الشرقية	تاجر
١١	ع.م.س.ش	١٩٢٠	الجدعان/ البادية الشمالية الشرقية	ربة بيت
١٢	م.ج.غ	١٩٥٥	منشية الغياث/ البادية الشمالية الشرقية	تاجر
١٣	ن.م.ع	١٩٧٠	ام القطين/ البادية الشمالية الشرقية	متقاعد من قوات البادية
١٤	ج.غ.د.س	١٩٦٩	صبحا/ البادية الشمالية الشرقية	تاجر اغنام
١٥	ح.ع.ش	١٩٦٣	الصفاوي / البادية الشمالية الشرقية	متقاعد من قوات البادية

ABSTRACT

Al Shurafat, Khaled Fayad. (٢٠٠٦). (The Illegal Economical Activity and Social Mobility in the Northeastern Badia). Supervisor: Prof. Dr. Abdel Aziz Ali Al KHaza'leh

The purpose of the present study was to identify effect of an illegal economical activity on the social mobility with the northeastern Badia. Specifically, this study attempted to answer the main research question of: How did the illegal economic activity affect social mobility in the northeastern Badia?

To achieve study goal, the researcher used the case study approach. Ten case studies working within this illegal economic activity were chosen in cooperation with the concerned government agencies to make sure of their practice in that field of activity. A ٤٢-items questionnaire was developed and tested for validity and reliability and shown to a judgmental panel of experts from the Yarmouk University in both departments of Sociology and Anthropology. The instrument was administered to a sample (n=٤٠٠) selected by the random accidental method. Results showed the following:

١- There was an evident effect of the illegal economic activity (trafficking) on causing social mobility within the northeastern Badia (study's region).

٢- There was an increasing social mobility affected by trafficking in the northeastern Badia represented by children education, stability, governmental employment, employment in some crafts, ascending the social ladder to an advantaged social status.

٣- There was an increased social mobility affected by trafficking activities in the northeastern Badia as represented by that monies collected as a result of trafficking activity, in many cases, were not so effectively invested in more productive forms of investment. Severe hurt afflicted many traffickers, imprisonment and causing death to many others was another factor.

A number of suggestions were recommended:

١- Government should develop more investment projects producing employment opportunities for local labor force in order to divert them away from the Illegal economic activities (trafficking).

٢- Developmental programs and plans should be in place to limit down poverty and unemployment rates in that region. Noteworthy, the northeastern Badia is among most poorly pockets of poverty throughout the Kingdom with very high poor numbers.

٣- It is critical to raise public awareness to how dangerous trafficking activities are. This could be made by an effective collaboration between the Public Security, Badia & Border Guards forces; people and civil organizations; Ministry of Social Development, and other government authorities in the region, where local residents could be learned about size of loss incurred by traffickers such imprisonment, arrest, detrimental hurts, and death in many cases.

٤- Those once were imprisoned, or badly damaged as a result of being involved in such activities should be rehabilitated and integrated once again in society as productive, belonging, and good individuals. That could be done by certain research effects made by the Ministry of Social Development in cooperation with Ministry of Health, National Aide Fund, and other concerned security agencies.